

شَـرْحُ شُـروطِ لا إلهَ إلا اللّهُ

المُسَمَى

رِعايَةُ العُهُودِ والوَفاءِ بالعُقُودِ

لِمَا للا إلهَ إلّا اللّهُ منَ الشُرُوطِ

تأليف

خالد بن علي المرضي الغامدي

شَرْحُ شُرُوطِ لا إلَه إِلّا اللّهُ

المسمى

رِعايَة العُهُودِ والوَفاءِ بِالعُقُودِ

لِمَا لِلا إلَه إلّا اللّهُ مِنَ الشُرُوطِ

شرح شروط لا إله إلا الله

المسمى

رعاية العهود والوفاء بالعقود

لما لا إله إلا الله من الشروط

تأليف

خالد بن علي المرضي الغامدي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقا وردت

فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آلة وصحبه وسلم تسليماً كثيرا إلى يوم الدين .

وبعد :

فهذا شرح متين على شروط لا إله إلا الله بين الموسع والمختصر، كتبته لما دعت إلى تصنيفه الضرورة ، وخرج أهل الشرك بصورة غير مألوفة ، بمعاداتهم المستأجرة هدموا أركان الدين وتوحيد رب العالمين، ظهرت رؤوس المفسدين من أهل الردة والنفاق، وانصبت الفتن علينا في هذا الزمان صباً، وما ذلك إلا للبعد عن لا إله إلا الله وعدم القيام بشروطها والعمل بمقتضاها، فحصل التلاعب بالدين وترقيق التوحيد وإماتة الإسلام، وفسر كل حزب الدين بما يوافق هواه ويمشي مع مصالحه.

والعجيب أن كل هذا يحصل بمباركة المرجئة ، فلطالما قاموا بإخراج الدين من لباس العز وما يريده الله وجعله كالثوب السابري ، ويا كم سعوا في طمس كلمة التوحيد وجعلها مجردَ شعارٍ زائف ! ! فأنكروا أن يكون لها شروطاً أصلاً ، أو أن شروطها لا تعْدُ أن تكون قلبية لا أثر لها ، فأبطلوا لوازمَها ومقتضياتِها بل وحتى أصلَ مضمونِها .

مما أوجب علينا البيان في هذا الباب العظيم الكتابة فيه ، حمية للدين ورداً على المخالفين، وليعلمَ العقلاء أنه لا يسعُ أهل العلم إلا بيان التوحيد للناس كلما فتروا فيه وصدأت قلوبهم عنه وأعرضوا من درسه وفهمه فضلاً عن العمل به ، وإن أعظمَ ما يجب عليهم كشف أباطيل المبطلين وزيغ المفسدين نصرنا الله عليهم بقوته وعزته .

هذا وإن من فضل الله تعالى علي أني قمت بشرح هذه الشروط مع نواقض الإسلام أثناء شرحنا لكشف الشبهات في دورة شرعية عام ١٤٢٢هـ ثم قام بعض الإخوة بجمع المشروح وأرادوا إخراجه ، ولما كان كثيرٌ من الملقى درساً لا يصلح إخراجه بطريقة مؤلف من جهة ومن جهة أخرى كان في الشرح شيء من التوسع الذي قد يستغنى عنه بالمختصر المفيد والتقعيد التي يفهمه اللبيب، رأيتُ الكتابة فيها وعقدَ العزمِ على إخراج ما سبق شرحه على طريقة مؤلف مع ذكر إضافات وتقريرات لم نذكرها في الدروس . وإن مما زادني حرصا على وضع هذا الكتاب أنه ومع الأهمية البالغة لهذه الشروط إلا أنها لم تحض بالشرح ولم تعط حقها في البيان والتأليف .

أما منهجي في الشرح فأولاً: أعرف الشرط ثم أذكر الأدلة عليه والدلالة على شرطيته ثم النقولات من كلام أهل العلم في كونه شرطا ثم علاقته ببقية الشروط ثم تقسيمه لأصل وكمال ثم نذكر أركانه العملية والاعتقادية أو نوعه إن كان من أحدهما ثم صوره ولوازمه ثم مجالاته ومتعلقاته ثم أمثلته وتطبيقاته في التوحيد والشرك والإيمان والكفر ثم ما يناقضه والكفر المتعلق به والناقض له ثم النواقض التي سبَبُها الإخلال به، ثم موقف المخالفين منه ومسائل عقدية أخرى.

وقبل الشرح قدمت بتمهيدٍ عن حقيقة الشروط وتعريفها ، ثم المسائل المتعلقة بلا إله إلا الله ،وبيان أهميتها ، وموقف المشركين والمرجئة منها، وخطورتهم على الدين .

هذا وأسأل الله التيسير والتوفيق بمنه وكرمه ، وأن ينفع بهذه الرسالة أهل التوحيد والإيمان ويرد بها باطل أهل الزيغ والنكران ، ويجعلها جهاداً فيه لإعلاء كلمته وقربةً حين نلقاه ، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد، والحمد الله رب العالمين .

المبحث الأول

حقيقة الشروط

وأهميتها ومنزلتها ومكانتها

المسألة الأولى : حقيقة الشروط والمراد منها والمقصود بها :

المراد بشروط لا إله إلا اللهُ والمقصود منها أن الإسلامَ وقبولَ العمل ودخول الجنة متوقف عليها ولاتصح العبادةُ بدونها وتنعدمُ بانعدامها وتنتفي صحتُها إذا انتفت هذه الشروط ويحصل فيها من الخلل بقدر الإخلال بها ، فالأمر جدٌّ خطير لأنَّه يتعلق بالإيمان والكفر والجنة والنار.

المسألة الثانية : مُتَعلَقُ الشروط :

أولاً: تتعلق هذه الشروط بكلمة التوحيد لا إله إلا اللهُ وبالتالي هي متعلقةٌ بأنواع التوحيدِ الثلاثةِ: الألوهيةِ والربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ .

فلا بدَّ من العلمِ بألوهيةِ اللهِ وربوبيتهِ وحدهُ واليقينِ بذلك وحبتِها والصدقِ فيها وقبولِها والانقياد لها والإخلاصِ له سبحانه بها .

ثانيا: تتعلق هذه الشروط بشهادة أن محمداً رسولُ الله .

فلا بدَّ من العلم بها وبما تقتضيه هذه الشهادة ولابدَّ من تيقُنِها والصدقِ فيها ومحبتها وقبولها وإخلاصِ المتابعة للرسولِ صلى الله عليه وسلم والانقياد بها .

وسنأتي على وجْهِ تعلقِ كلِّ شرطٍ من الشروط بهذه الشهادة في محله إن شاء الله .

ثالثا: أن هذه الشروط متعلقةٌ بالإسلام من حيث الأصل .

فلا بدَّ من العلم به والإخلاص لله فيه واليقين به وقبوله والانقياد له ومحبته وتصديق كلَّ ما اشتمل عليه وجاء النص به .

رابعا: كما أن الشروط تدخل في الإيمان من حيث أنه لا يصح بدونها ومن ناحية دخولها فيه .

كما تدخل في العبادة والدين وبقية المسميات الشرعية فلا بدَّ من الإتيان بهذه الشروط حتى تكونَ هذه الأمور عند الله مقبولة .

هذا كله يؤكد أهمية هذه الشروط ومكانتَها ورتباطها وتعلقها بالدين كلِّه والحمد لله الذي هدانا لها ، ونسأله مزيد التوفيق فيها وتحصيل الكمال منها .

المسألة الثالثة : أهميةُ هذه الشروط :

تظهر أهمية شروط لا إله إلا اللهُ جليةً في كون التوحيد والدين كله لا يُقبل إلا بها ، وأن الناطق بالشهادتين لا يدخل الجنة إذا لم يأت بها ، فكلمة التوحيد لا تنفع ولا تعتبر إذا لم يأت صاحبُها بحقوقها ولوازمها ، وذلك لا يكون إلا مع التزام هذه الشروط .

لأن هذه الشروط هي من حقيقة كلمة التوحيد وهي حقها الذي أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وأن دخول الجنة والإنتفاع بهذه الكلمة متوقف عليها .

كما أن هناك جملة من الخصائص لهذه الشروط تبين أهميتها وعظمَ مكانتِها .

ومن ذلك :

١- أن كل كفر على وجه الأرض سببه الإخلال بهذه الشروط إما بزوالها جميعها أو بعضها أو فقدان معناها .

٢- أن الجاهل بها جاهل بحقيقة الإسلام ودين الله تعالى وما يريده سبحانه منا .

٣- أن من ترك واحدا منها فهو خارج من الملة .

٤- أن العبد لا يدخل الجنة إلا بها .

٥- كثرة الخالفين فيها وتنوع الأخطاء والمخالفات المتعلقة بها من المرتدين والمنافقين والمبتدعة والفسقة

٦- وجود من ينكرها ويسعى في محاولة إلغائها والحط من شأنها وإطفاء نورها أو تحريف معناها والمراد منها كما هو حال مرجئة هذه الأزمنة .

المسألة الرابعة : الأدلة على اعتبار الشروط :

دلت أدلة الكتاب والسنة على شروط لا إله إلا الله من حيث الأصل وأن كلمة التوحيد بدونها مثل عدمها لا يعتد بها ولا تنفع صاحبها .

وهذه الأدلة على قسمين :

القسم الأول: الأدلة الخاصة ببعض الشروط وهذه سنذكرها في محلها منها :

١- قال تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ** ﴾ .

وقوله ﷺ : " من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة "

٢- قوله ﷺ :" غير شاك فيها " وقوله ﷺ : " موقنا من قلبه " .

٣- قوله ﷺ : " خالصا من قلبه " وقوله صلى الله عليه وسلم : "مخلصا " .

٤- قوله ﷺ : " صادقا من قلبه " وقوله صلى الله عليه وسلم : " صدقا "

٥ـ قوله ﷺ : " أحبُّ إليه مما سواهما ".

٦ـ قوله ﷺ : " من قبل مني الكلمة التي عرضتها على عمي ".

٧ـ قال تعالى : ﴿ **ومن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إلى اللَّهِ وَهوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُروَةِ الوُثقَى** ﴾ لقمان:٢٢.

وقوله ﷺ : " أطاع بها قلبه وذلَّ بها لسانه " .

القسم الثاني: الأدلة العامة لجميع الشروط :

وقد دلت على اعتبار هذه الشروط ووجوبها وتوقف فائدة كلمة التوحيد على العمل بها أدلة كثيرة وهذه الأدلة اختلفت دلالاتها.

الدليل الأول: الأدلة التي نصت على أن لـ (لا إله إلا الله) حقوق ظاهرة من أخل بها لم يستفيد من كلمة التوحيد .

ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله " رواه البخاري .

الأدلة التي دلت على توقف نفع كلمة التوحيد على العمل بمقتضاها والإيمان بكل فروعها كما عند مسلم وابن حبان " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله " .

وهذه الأحاديث دلت على المقصود من جهات:

١ـ قوله ﷺ : " حتى يشهدوا ":

والشهادة تقتضي الإلزام والالتزام ، وهي بهذا الاعتبار تقوم على القول والعمل ، والأمر لا يطلق عليه أنه شهادة ولا يسمى بها إلا إذا كان مقترنا بلوازم وشروط ، وإلا لم يصح إطلاق الشهادة عليه ، ألا ترى أن الله تعالى كذَّب المنافقين في ادعائهم الشهادة بالرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه رسول حقا ، وذلك حين لم يقوموا بشروط الشهادة ولوازمها من الانقياد والمحبة وبقية اللوازم والشروط ، فتأمل هُديت للحق .

٢ـ قوله ﷺ : " فإذا فعلوا " :

والشاهد في (إذا) والتي هي أحد أدوات الشرط الدالة عليه ، مما يدلنا على أن هناك شروط لهذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد .

قوله ﷺ : " فإذا فعلوا " :

ففي قوله فعلوا : جعل التوحيد قولاً وعملاً وأن الانتفاع بكلمة التوحيد مقترن بشروط عملية لهذه الكلمة وأن التوحيد ليس مجرد قول وإنما العبرة باجتماع القول والعمل ، وأنه مشروط بالفعل ولا يقال أنهم فعلوا ذلك إلا مع إتيانهم بالأركان والشروط التي نص عليه في هذا الحديث وغيره.

٤ـ قوله ﷺ : " وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة " :

ووجه الدلالة في أنه رَتَّب الجزاء، الذي منه عصمة الدم والمال في الدنيا ، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة، على أمور زائدة على النطق بالتوحيد وهي أوصاف كثيرة وأفعال مختلفة تدل بمجموعها على شروط لا إله إلا الله.

٥ـ قوله ﷺ :" إلا بحقها " :

وهذه اللفظة تدل على أن كلمة التوحيد ليست مجردَ قول بل لها حقوق لا تصح إلا بها ولا تقوم إلا عليها، وهذه الحقوق هي الشروط؛ لأن كلا من الحق والشرط ينعدم الحكم بانعدامه ويتوقف عليه فمقتضاها وأركانها وشروطها هي حقوقها.

٦ـ قوله ﷺ :" أمرت أن أقاتل الناس حتى " :

أن الرسول ﷺ أمر بقتال الناس، الكفار، والمشركين، أهل الكتاب، والمرتدين من المسلمين حتى يأتوا بشروط لا إله إلا الله وحقها القائم على مقتضاها، وأركانها والداخلة في الجملة في شروطها، كما دلت هذه الجملة على أن الأصل في التعامل مع المخالف الكافر سواء كان أصليا أو مرتدا هو القتال والتكفير، والحرب، وليس السلم وأن كل ذلك واقف على شروط لا إله إلا الله عملا وتركا وبالتالي عصمة للدم وهدرا.

٧ـ قوله ﷺ :" ويؤمنوا بي وبما جئت به " :

ووجه الدلالة على الشروط في قوله :" ويؤمنوا بي وبما جئت به " ظاهر في اعتبار الإيمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فكل الدين يجب الإيمان به، والإيمان قول وعمل ولا تعتبر كلمة التوحيد بدون ذلك.

الدليل الثاني: عن بشير بن الخصاصية قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم لأبايعه، فاشترط علي: شهادة أن لا إله إلا الله أن محمدا عبده ورسوله وأن أقيم الصلاة وأن أوتي الزكاة وأن أحج حجة الإسلام وأن أصوم رمضان وأن أجاهد في سبيل الله فقلت يا رسول الله أما اثنتين فوالله لا أطيقهما الجهاد والصدقة فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حركها وقال:" لا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة إذا ؟ " قلت: يا رسول الله أنا أبايعك فبايعته عليهن كلهن " رواه أحمد في المسند.

وهذا الحديث نص في أن للإسلام وكلمة التوحيد شروطا لا تقبل إلا بها.

والشاهد الأول: في قوله (فاشترط) :

حيث نص الحديث على أن الدخول في الإسلام والمبايعة عليه له شروط وهذا أمر مقرر عند الصحابة وعلِموه من الرسول صلى الله عليه وسلم.

الشاهد الثاني: قول الرسول ﷺ (فبم تدخل الجنة):

مما يدل على أن لا إله إلا الله لا تدخل صاحبها الجنة إلا بشروط منها الانقياد، والعمل بالجهاد والصدقة.

قال ابن رجب:" ففي هذا الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج ".

الدليل الثالث: قول الله تعالى للخليل:﴿ **قَدْ صَدَّقْتَ الرُؤيا** ﴾ الصافات:١٠٥.

وقال عن الصديق: ﴿ **والذي جاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بهِ** ﴾ الزمر: ٣٣.

فدل على أن التصديق القائم على التوحيد والإيمان لم يكن مجرد قول واعتقاد وإنما قائم على أركان وشروط كاملة، منها العمل والانقياد والذي قام به كلٌ من الخليل والصديق.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾الممتحنة٤. وقوله تعالى:﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾البقرة:١٣٠-١٣١.

ومعلوم أن الخليل قامت به أفعال من الكفر بالطاغوت والانقياد والاستسلام لله والصدق والمحبة، وهذه هي الشروط.

الدليل الخامس: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران ١٨.

وجه الشاهد ومحله: قائما بالقسط والقسط قائم بالشهادة بالتوحيد، على أحد التفسيرين وهنا يدل على اقتران قرائن وأمور معها لا تُقبلُ كلمة التوحيد إلا بها.

الدليل السادس: إجماع الصحابة: أعظم من فهم التوحيد الذي بُعث به الرسول ﷺ ودعا إليه وأول من آمن بإمام الموحدين صديق هذه الأمة رضي الله عنه وذلك زمن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد موته، وهو القائم بقتال المرتدين.

فتأمل بيانه واستنكاره للصحابة الذين توقفوا في قتال مانع الزكاة لكونهم يقولون الشهادتين فردّ عليهم الصديق الشبهة وبين أن لـ لا إله إلا اللهُ حقوق وشروط لا تنفع صاحبها إلا بهذه الشروط واستدل على هذا الأصل بقول الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بحقها والزكاة التي هي من الانقياد، من حقها،
والامتناع الذي قام به مانع الزكاة يناقض حقها، فأقروا لذلك وأجمعوا عليه، فصار إجماعا يجب المصير إليه.

الدليل السابع: من العقل:

لو أن مجرد النطق بلا إله إلا الله تنفع قائلها من دون أن يعمل بمقتضاها ويلتزم بشروطها لَما تَرَدّدَ كفار العرب ولا هرقل ولا أهل الكتاب ولا غيرهم من النطق بها، ولكن علموا منها مالم يعلمْه علماء السوء من المرجئة في زماننا، وأنها متضمنة للانقياد والقول والعمل.

المسألة الخامسة: وُرُودُ الشروط عند السلف ومعرفتهم بها:

وقد تنوعت عبارات السلف وأهل العلم في تعبيرهم عن الشروط، ومن هذه العبارات غير التصريح بلفظ الشرط:

الحقوق ـ الأركان ـ الفروض ـ القيود ـ حقائق ـ أصل الإيمان وروحه وحقيقته ـ وكون الإسلام والتوحيد لا يقبل إلا بأمور.

ـ قال الحسن البصري رحمه الله للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم.

قال شهادة أن ألا إله إلا الله منذ سبعين سنة قال الحسن:" نِعْمَ العدّة إن لـ (لا إله إلا الله) شروطا فإياك وقذف المحصنات " وروى أنه قال للفرزدق " هذا العمود فأين الطَّنَبُ ".

رواه ابن أبي شيبة في مُصنّفه وابن سعد في طبقاته وغيرهم وأورده ابن رجب في كتابه التوحيد وروي بألفاظ مختلفة.

الشاهد في قول الحسن (إن لـ لا إله إلا الله شروطا) مما يدل على أن عبارة: (شروط لا إله إلا الله) عبارات سلفية سنية وليست خلفية بدعية.

ـ قيل للحسن البصري: إن ناسا يقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة قال: " من قال: لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة " أخرجه الأصفهاني في كتاب الحجة في بيان المحجة.

وحقها وفرضها هي شروط لا إله إلا الله والشروط من حقها وفرضها.

ـ قال وهب بن منبه لمن سأله أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة:" قال بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك " رواه البخاري.

والأسنان هي بمعنى الشروط وهما بمعنى واحد.

ـ قال ابن بطة في الإبانة:" فتضمنت هذه الآية أوصاف الإيمان وشرائطه ".

ـ قال الإمام الطبري عن تكلم المنافق بـلا إله إلا الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا** ﴾ البقرة: ١٧:" لم يكن لها أصل في قلبه ولا حقيقة في عمله فسُلِبها المنافقُ عند الموت ".

وذكر ابن رجب في كتاب التوحيد تفسيرات السلف للأحاديث التي فيها " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ":

فقالت طائفة من السلف عنها: أنها منسوخة بالفرائض والحدود.

وقالت طائفة: بل جاءت مقيدة في أحاديث أخرى مُخلِصاً مُستَيقناً.

وقالت طائفة: هي محكمة ولكن ضُمَّ إليها شرائط.

وقال الحسن ووهب: المراد بهذه الأحاديث أن شهادة أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، وهي مقتضية لذلك ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه وقد يتخلف الحكم والأثر عن مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع وهذا القول هو الأظهر.

ـ ودل كلام ابن رجب على إثبات الشروط لـلا إله إلا الله تصريحاً، وأن اليقين والصدق والإخلاص من شروطها، وأن السلف كانوا يصرحون بذلك.

قلت بل ردَّ العلماء شبهَ المرجئة في تجريدهم لا إله إلا الله من الشروط من ذلك:

قول ابن خزيمة:" ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار جاز للجهمية الاحتجاج بأحاديث أُخرى ".

وردَّ الآجري في الشريعة احتجاج المرجئة بأحاديث من قال لا إله إلا الله دخل الجنة.

وكذا ابن منده وابن العكبري وابن رجب.

وفي ترتيب المدارك للقاضي عياض:" قال الإمام مالك:" وإني لأذكر بهذه الآية قول المرجئة إن الصلاة ليست من الإيمان ".

وقال القاضي عياض في الإكمال مقرراً ما قَعدَّه المازري في رواية" يبتغي بها وجهُ ":

" هذه الزيادة تُخرِسُ غلاة المرجئة ".

وقال القرطبي في المعجم:" وقد زاد البخاري قيداً (صدقا من قلبه) وهي زيادة حسنة تنص على صحة ما تضمنته الترجمة المتقدمة وعلى فساد مذهب المرجئة ".

وقد رد العلماء على المرجئة في إنكارهم أن لـلا إله إلا الله شروطاً وبينوا فساد مذهبهم، وسيأتي مزيد في تفصيل ذلك عند شرحنا للشرط السابع الانقياد في تكفير السلف لتارك العمل والمكتفي بالقول، وإنكارهم على من حكم بإسلامه، وأقوال أهل العلم في ذلك.

أمّا تصريح المتأخرين بالشروط فأكثر من أن يُحصر.

فمن كلام الحنفية:

ـ قال العيني في عمدة القاري:" قال ابن المنير: العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به".

ـ قال الخجندي الحنفي في مفتاح الجنة:" ولا إله إلا الله هي كلمة الإخلاص ولاكن لا تنفع قائلها عند الله وفي الدار الآخرة إلا بشروط: العلم، اليقين، الإخلاص ".

ومن كلام المالكية:

ـ قال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري عند حديث أمرت أن أقاتل الناس:" فمن أقرَّ بما عليه حرُم دمه وماله، إلا بظهور نقض شرائط ما أقرَّ به بعد الإقرار بجملته قوتل، وذلك هو الحق الذي كشف عنه قوله صلى الله عليه وسلم إلا بحقها ".

ـ قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمونَ** ﴾ الزخرف: ٨٦ بعد بيانه أن الشهادة بالحق لا تنفع إلا مع العلم:" شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها أن يكون الشاهد عالما بها ".

ـ قال ابن أبي جمرة الأزدي في بهجة النفوس عند حديث أسعد الناس بالشفاعة:" وفيه دليل على أن من اعتقد الإيمان دون النطق لا يسعد ولا تناله الشفاعة، لأنه صلى الله عليه وسلم شرط في ذلك التَّلفظ، والشرط إذا عُدمَ، عدم المشروط ".

قال التتائي في تنوير المقالة:" واعتبر النطق باللسان لأنه إما شرط في الإيمان أو شطر منه ".

ـ قال الغلاوي في فرض العين:" بل يشترط النطق فيه بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ".

ـ قال محمد حبيب الجكني في فتح المنعم شرح مسلم:" فالتصميم القلبي دون نطق بالشهادتين لا يكفي في الإسلام إذ النطق شرط فيه فلا تجري عليه أحكامه الظاهرة وكذا لا ينفعه في الباطن إذا أظهر خلافه ".

ومن كلام الشافعية:

ـ قال الإمام البغوي في شرح السنة:" إذا أتى بكلمة التوحيد يُحكم بإسلامه ثم يُجبرُ على سائر شرائط الإسلام ".

ـ قال ابن حجر في فتح الباري:" وفي الحديث اشتراط النطق بكلمتَي الشهادة لتعبيره بالقول في قوله من قال ".

ـ قال البيهقي في الاعتقاد:" شرط الوفاة على الإيمان حتى يستحق دخول الجنة ".

ـ قال الخطابي في معالم السنن:" الإخلاص وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معا ".

المسألة السادسة: أول من استقرأ هذه الشروط السبعة:

قدمنا في كلام أهل العلم من السلف من بعدهم إقرارهم واعترافهم ومعرفتهم بهذه الشروط وتعبيرهم عنها بمصطلحات وعبارات متنوعة بل إن لفظة شروط وشرائط لا إله إلا الله وردت في كلامهم.

أما جمع الشروط وحصرها في السبعة المذكورة واستقراء العدد المحدد بسبع من النصوص لا أعلم أحدا ذكره قبل الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب عليهم رحمة الله حيث أنه السابق لهذا الجمع وأول من جعل شروط لا إله إلا الله سبعة وقد استقراها من نصوص الوحي، ثم استدل لها وشرحها بعده الشيخ حافظ الحكمي في معارج القبول.

قال عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد:

" لابدّ في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:

أحدها: العلم المنافي للجهل

الثاني: اليقين المنافي للشك

الثالث: القبول المنافي للرد

الرابع: الانقياد المنافي للترك

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك

السادس: الصدق المنافي للكذب

السابع: المحبة المنافية لضدها ".

وقال في رسالة أخرى:" وقد قُيدت لا إله إلا الله في الأحاديث الصحيحة بقيود ثقال، لابدّ من الإتيان بجميعها: قولا، واعتقادا، وعملاً، فمن ذلك حديث عتبان الذي في الصحيح:" فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله "، وفي حديث آخر:" صدقا من قلبه "، " خالصا من قلبه "، مستيقنا بها قلبه "، " غير شاك "، فلا تنفع هذه الكلمة قائلها إلا بهذه القيود إذا اجتمعت له مع العلم بمعناها ومضمونها كما قال تعالى: ﴿ **إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ الزخرف: ٨٦.

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ محمد:١٩. فمعناها يقبل الزيادة لقوة العلم وصلاح العمل فلا بُدَّ من العلم بحقيقة معنى هذه الكلمة علما ينافي الجهل بخلاف من يقولها وهو لا يعرف معناها ولا بُدَّ من اليقين المنافي للشك فيما دلت عليه من التوحيد ولا بُدَّ من الإخلاص المنافي للشرك فإن كثيرا من الناس يقولها وهو يشرك في العبادة وينكر معناها ويعادي من اعتقدها وعمل بها، ولابُدَّ من الصدق المنافي للكذب، بخلاف حال المنافق الذي يقولها من غير صدق، كما قال تعالى: ﴿**يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾ الفتح:١١. ولا بُدَّ من القبول المنافي للرد، بخلاف من يقولها ولا يعمل بها،

ولا بد من المحبة لما دلت عليه من التوحيد والإخلاص وغير ذلك والفرح بذلك، المنافي لخلاف هذين الأمرين، ولا بد من الانقياد بالعمل بها وما دلت عليه مطابقة وتضمنا والتزاما، وهذا هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله دينا سواه "(١).

وقد تبع هذا الإمام أهل العلم ووافقوه في استقرائه وجمعه لهذه الشروط ولم يُعرف له مخالف من أئمة التوحيد مما يجعل ذلك إجماعا منهم يخرج منه المبتدعة والصوفية والمرجئة فلا عبرةَ بمخالفتهم ولا يعني تأخرُ استقراء هذه الشروط أنها بدعة أو لا أهميةَ ومنزلة لها أو ينقص من قدرها بل هذا يدلنا على أن الخيرَ والعلم محفوظ في أمة محمد ﷺ إلى قيام الساعة.

المسألة السابعة: وَجْهُ حصرِ الشروط في السبعة:

يكفي أن نعلم أن هذه الشروط قد دلّ على أصلها الشرع ووردت مُبينة في النصوص واستخرج أهل العلم أوجهَ الدلالات من كونها شروط، وميزوا بين ما هو شرط وما ليس كذلك، إلا أنه لا يمنع من تلمس الحكمة في وجه حصر الشروط في هذه الأوصاف السبعة، وذلك والله أعلم أن العلم أساس العمل وبدونه لا يتحقق العمل، فمن عمل بالجهل ولم يعلم فهو عامل بغير ما أراده الله فكأنه لم يعمل.

وأمّا اليقين والصدق والإخلاص فهي أساس التوحيد، فلا يُتصور توحيد مع الكذب أو الشك أو الشرك.

وبالمحبة يحصل الانقياد والقبول. وبهما يحصل الذلُّ لله والخضوعُ وتمامُ العبودية.

فإذا زالت هذه الأوصاف وحلَّ بدلٌ عنها البغض والشرك والرد والشك والنفاق والترك والجهل أو أحدها لم تتحقق معرفة الله ولا عبادته وطاعته والتقرب إليه وبذلك لم تحصل الغاية التي من أجلها خلق الخلق.

وكل شرط يتضمن جملةً من أمور الدين، وكل أعمال الدين والإيمان لا تخرج عن هذه السبعة الشروط، ولا يُتصور وجود التوحيد بدونها، وأيُّ كفرٍ فإن سببه الإخلال بها، أو فقدان أحدها

هذا وسنأتي على وجه اشتراط كل شرط من الشروط في محله، والدلالاتُ الشرعية والعقلية على اعتباره شرطا لكلمة التوحيد إن شاء الله تعالى.

المسألة الثامنة: الأولى أن ترتب الشروط حسب تواردها وضهورها في العبد:

فأولها العلم ثم اليقين ثم الصدق ثم الإخلاص ثم المحبة ثم القبول ثم الانقياد. فآخرُ المراتبِ وأظهرها الانقياد، وهو عبارة عن ثمرة لهذه الشروط مجتمعة، فإذا لم يظهرِ الانقياد أو حصل به خلل فإن ذلك دليل على خلل مسبق وباطن في الشروط السابقة أو بعضها أو إحداها.

---

(١) الدرر السنية ٢٤٣/٢. ومجموع الرسائل ٢٨/٢.

المسألة التاسعة: إدخال أمور ليست من الشروط:

أدخل البعض في الشروط ما ليس منها:

كالنطق بالشهادتين والتكلم بها ـ الموت عليها ـ العمل بها ـ الكفر بالطاغوت ـ الرضا ـ الإقرار ـ الخوف ـ التوكل ـ الرجاء وغيرها من العبادات القلبية.

أما النطق بالشهادتين والتكلم بها فإن هذا ليس من الشروط لأمور:

الأولى: أن هذا من حقيقتها ومقتضاها وليس من شروطها وسيأتي.

الثاني: أن الكلام في شروط صحةِ قول لا إله إلا الله ومتى ينتفع بها قائلها والموت عليها، فالكلام عن شروط المتكلمين بها والمدعين لها، أو المشركين والكافرين الذين يريدون قولها، فيقال لا يُقبل منكم قولها إلا بشروط ولا تنفعكم عند الله وتدخلكم الجنة إلا بشروط، إذاً الشروط متعلقة بمن قالها ومات عليها.

وقول من قال أن من شروط كلمة التوحيد أن يقولها، مَثَلُ ذلك لو قلنا في الصلاة أن من شروطها أن يصليَ وكذا الوضوء أن من شروطه أن يتوضأ، لأن هذا من حقيقتها وركنها، فالصحيح أن يقال لا يصح الوضوء والصلاة أو من توضأ وصلى لا يقبل منه إلا بشروط، ومثل ذلك في كلمة التوحيد.

الثالث: أن التلفظ بالشهادتين والنطق بها ركن وشطر التوحيد والشطر الآخر اعتقادها والعمل بها وهذا الركن الذي هو النطق والتكلم داخل في عموم الشروط وبالأخص شرط القبول تضمنا والصدق والعلم استلزاما وكذا الانقياد.

اعتراض وجوابه:

لو قيل إن النطق ثبت بنص الحديث وعلق الحكم عليه في قوله حتى يقولوا.

لقلنا: أن هذا دليل على اعتبار النطق وركنيته لا أنه شرط فالنطق بها لا يَدخل المرء الإسلام إلا به وسيأتي الفرق بين الشرط والركن، فالنطق تاركه يكفر ولكن ليس بشرط بل ركن، والشرط هو الصفة التي وردت في النص (من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) فالشرط في الإخلاص وليس في القول.

ولو قيل أن هذا مثلَ قولنا من يحب لا إله إلا الله من شرطه الانقياد مع أن المحبة من شروطها.

لقلنا: أن المحبة وبقية الشروط دلت الأدلة الشرعية والعقلية على كونها شروط ويتحقق فيها ضوابط الشروط، ثم يقال العلاقة منفكة فقد يحب الإنسان لا إله إلا الله ولا ينقاد وقد ينقاد ولا يحب فلا تقبل منه لعدم اجتماع الشروط، أما النطق فلا يقال فيه ذلك إذ لا ينفك ولا جهة منفكة فالكلام على من نطق بلا إله إلا الله لا يقبل منه إلا بشروط.

وقد لا تكون هناك ثمرة للخلاف أو ثمرة لكن ضعيفة لأن الاتفاق بين القولين الحكم محل إجماع.

أما الموت عليها والموافاة عليها وعدم الردة عنها:

والاحتجاج بحديث (ومات عليها).

فالجواب عن ذلك هو نفس الأجوبة والأوجه السابقة.

وأمّا العمل بها والكفر بالطاغوت:

فإن هذه أولاً من الحقيقة والركنية، ثم هي داخلة في عموم الانقياد الذي هو شرط.

أمّا الإقرار: فهو داخل في القبول وسيأتي في بابه.

وأمّا الرضا: فهو داخل في الانقياد وسيأتي.

أمّا التوكل والخوف والصبر وغيرها والاستدلال عليها:

بمثل قوله تعالى: ﴿ **إنْ كُنْتُم آمَنْتُمْ بالله فَعَليهِ تَوَكلوا إن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ** ﴾ يونس:٨٤.

وقوله: ﴿ **إنّما ذلكُم الشيطانُ يُخَوِفُ أولياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَخافونِ إن كُنتُم مُؤمنينَ** ﴾ آل عمران:١٧٥.

فالجواب: أن هذه من العبادات هي وغيرها سواء القولية أو العملية كالصلاة، وهي داخلة في الركنية التي هي عبادة الله وحدة، وفي العموم هي تدخل في الانقياد لـلا إله إلا الله والاستسلام لله بالطاعة وهي داخلة في التوحيد، والكلام عن شروط التوحيد وليس في أفراده وأعماله وصوره وأركانه، ومن قال أن هذه العبادات من الشروط فهذا لجهله المركب بحقيقة الشرط، لأن مثل هذه مثل لو قلنا من شروط الصلاة أن يصلي الظهر والعصر والمغرب...

وإن وجود مثل هذا الفهم للشروط يُخشى منه إيجاد الأصول الإرجائية المُسقطة للشروط والمُلغية لها، وذلك بالقول أن دين الله وأفراد العبادات كلها شروط، فمن ترك فردا منها وعملا معينا، فإمّا أن يكفر فيقعَ الحاكم بتكفيره في مذهب الخوارج، أو لا يكفر، وبالتالي تصبح هذه الشروط لا مكانة لها، ويصير مثلها مثل المستحبات والسنن والواجبات وغيرها، فيسقط العمل بالشروط والفائدة منها ومن ثَمَّ الإنكار بعد ذلك على من يكفر بمخالفة أصولها، وقد رأينا هذا القول الخبيث الموجه للتوحيد المندس فيه بيانا عيانا في زماننا.

المسألة العاشرة: ردُّ شبهةِ بدعيةِ الشروط:

وجد في زماننا من أتباع كل ناهق وناعق من فروخ الصوفية القبورية والمرجئة الجهمية من ينادي بإلغاء هذه الشروط، ويزعم بدعيتها، وعدم وجوبِها ولا كفر تاركها(١)، وأنها لم تكن من نهج السلف، ولا هي من منطوقهم، وليس هدف هؤلاء المبتدعة إتباع منهج السلف وإنما إغلاق باب الردة وأحكام المرتد، وسد مصراع التكفير الذي لا يقوم الإسلام إلا عليه والذي أمر الرسول ﷺ به وجعله

الأصل حتى يلتزم الناس التوحيد وكلمته قولا وفعلا، وذلك حين أخبر بقوله ﷺ :" أمرت أن أقاتل الناس " الحديث.

وهذه الدعوة الإرجائية العميّة البدعية نردُّ عليها من أوجه:

أولاً: أن الشروط قد دل على أصلها واعتبارها نصوص الكتاب والسنة، فالعلم والانقياد والإخلاص واليقين والمحبة والصدق والقبول والكفر بالطاغوت دلت النصوص عليها وذكرنا جزءا منها وسنأتي على أدلة كل شرط دلّ عليه الشرع في محله.

ثانيا: أن السلف وعلماء أهل السنة ذكروا أن لـلا إله إلا الله شروطا، منهم الحسن البصري ووهب بن منبه وابن بطة وغيرهم كما قدمنا.

ثالثا: أن علماء الإسلام أجمعوا على أن قول هذه الكلمة بدون العمل لا تنفع قائلها وأن عدم القيام بحقها والانقياد لها والاستسلام بها والإتيان بكل ما تدل عليه من ركن وشرط والالتزام بمقتضاها يجعلها لاغية، بل وجعلوا مخالف ذلك من المرجئة وكفروا من قال به، وسيأتي كلامهم في مبحث تارك العمل في شرط الانقياد.

رابعا: أن زعم هؤلاء أن السلف لم يذكروا هذه الشروط في سياق واحد ويجمعوها بهذا الجمع، فيقال لهم إن السلف كانوا مقرين بها وقد عبروا عنها بعبارات مختلفة تدلُّ عليها، ولو سلمنا أنهم ما ذكروها لفظا فقد بينوها من جهة المعنى، وما كان السلف ليحكموا بإسلام من لم يعمل بها وينقاد ويخلص ويقبل، وسنذكر من نصوص كلامهم في باب الانقياد على ما قدمنا ما يثبت هذا الأصل.

---

(١) استدل هؤلاء المرجئة ببعض العمومات مثل حديث " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة " وأن دخول الجنة متعلق بمجرد القول ولو لم يوجد عمل وقد أجبنا عنها في ردنا على المرجئة وكتابنا الرد على الأشاعرة .

خامسا: أن القول في شروط لا إله إلا الله مثله مثل القول في بقية الاستقراءات الاصطلاحية مثل أقسام التوحيد وشروط الحج والزكاة والصلاة والصيام والنكاح والبيع والحدود، وهذه كُتُبُ السلف والخلف ملئت بشروط العبادات مما لم ينطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا السلف على هذه الطريقة ومع ذلك لا يُبدعُ من أتى بها واستقرأها بل يُعتبر ذلك من علو كعبه وسعة علمه إذ قعَّد للدين قاعدة دلت عليها النصوص وهذا الإمام الشافعي أثني عليه الأئمة من الإمام أحمد ومن بعده إلى زماننا حين وضع الرسالة في العام والخاص والمطلق والمقيد والمنطوق والمفهوم والمُجْمل والمُبَين وغير ذلك من القواعد التي يدرس بها العلم ويُتوصل بها إلى فهمه.

ومن أراد التشغيب على هذا الاستقراء لشروط كلمة التوحيد، فعليه أن يَطردَ قاعدتَه ويردَّ كل استقراء ذكره أهل العلم، ولو طَرَدَ أصله هذا لهدم كتب أهل العلم جميعا، وليردَّ كذلك ما ذكروه من حصر الكبائر وشعب الإيمان وشروط العبادات والمعاملات ومبطلاتها وأقسام الحديث والسنة إلى صحيح وحسن وضعيف ومرفوع وموقوف وعام وخاص وهل مع هذا النَّقْضِ وغيره سيبقى لمدعيه شيء من الدين فضلا عن أبواب العلم والشرع.

المسألة الحادية عشرة: مَنْ نَظَمَ الشروط:

١ـ نظمها الشيخ سليمان بن سحمان الخثعمي ت ١٣٤٩ في داليته المسماة بالأشعة(١).

ومن لم يقيدها بكل شروطها	كما قاله الأعلام من كل مهتدي
فليس على نهج الشريعة سالكا	ولكن على آراء كل ملدد
فأولها العلم المنافي لضده	من الجهل إن الجهل ليس بمسعد
فلو كان ذا علم كثير وجاهلاً	بمدلولها يوما فبالجهل مرتدي
وثانيها وهو القبول وضده	هو الرَّدُّ فافهم ذلك القيد تُرشد
كحال قريش حين لم يقبلوا الهدى	وردوه لما أن عتوا في التمرد
وقد علموا منها المرادَ وأنها	تدل على توحيده والتفرد
فقالوا كما قد قاله الله عنهم	بسورة صاد فاعلمنَّ ذلك تهتدي
فصارت به أموالهم ودماؤهم	حلالا وأغناما لكل موحد
وثالثها الإخلاص فاعلم وضده	هو الشرك بالمعبود في كل مقصد
وإخلاص أنواع العبادة كلِّها	كذا النفي للشرك المفند والند

(١) هذه الرسالة المسماة: أشعة أنوار التوحيد والمعروفة بالدالية على طريقة نظم وهي في غاية النفاسة وقد يسر الله بفضله علينا القيام بشرحها والتعليق عليها ولعل الله أن ييسر بكرمه إخراجها مع حواش وتعليقات أخرى على كتب التوحيد وأئمة الدعوة ضمن كتاب قراءات في كتب التوحيد.

كما أمر الله الكريم نبيه — بسورة تنزيل الكتاب الممجد
ورابعها شرط المحبة فلتكن — مُحباً لما دلت عليه من الهدي
ومن كان ذا حب لمولاه إنما — محبته للدين شرط فقيد
ومن لا فلا والحب لله إنما — يتمُّ بحب الدين دين محمد
فعادِ الذي عادى لدين محمد — ووالِ الذي والاه من كل مهتدي
واحبب رسول الله أكملَ مَنْ دعا — إلى الله والتقوى وأكملِ مُرشد
أحبَّ من الأولاد والنفس بل ومن — جميع الورى والمال من كل أتلد
وطارفه والوالدين كليهما — بآبائنا والأمهات فنفتدي
واحبب لحب الله من كان مؤمنا — وابغض لبغض الله أهل التمرد
وما الدين إلا الحب والبغض والولاء — كذاك البراء من كل غاوٍ ومعتدي
وخامسها فالانقياد وضده — هو الترك للمأمور أو فعل مفسد
فتنقاد حقا بالحقوق جميعها — وتعمل بالمفروض حتما وتقتدي
وتترك ما قد حرَّم الله طائعا — ومستسلما لله بالقلب تُرشد
فمن لم يكن لله بالقلب مسلما — ولم يك طوعا بالجوارح ينقد
فليس على نهج الشريعة سالكا — وإن خال رشدا ما أتى من تعبد
وسادسها وهو اليقين وضده — هو الشك في الدين القويم المحمدي
ومن شك فليبك على رفض دينه — ويعلم أن قد جاء يوما بموئد
ويعلم أن الشك ينفي يقينها — فلا بدَّ فيها باليقين المؤبد
بها قلبه مستيقنا جاء ذكره — عن السيد المعصوم أكمل مرشد
ولا تنفع المرء الشهادة فاعلمن — إذا لم يكن مستيقنا ذا تجرد
وسابعها الصدق المنافي لضده — من الكذب الداعي إلى كل مفسد
وعارف معناها إذا كان قابلا — لها عاملا بالمقتضى فهو مهتدي
وطابق فيها قلبه للسانه — وعن واجبات الدين لم يتبلد

ومن لم تقم هذي الشروط جميعها بقائلها يوما فليس على الهدي

إذا تم هذا واستقر فإنما حقيقته الإسلام فاعلمه ترشد

وإن له فاحذر هديت نواقضا فمن جاء منها ناقضا فليجدد

فقد نقض الإسلام وارتد واعتدى وزاغ عن السمحاء فليتشهد.

٢ـ ونظمها الشيخ حافظ في سُلَّم الوصول:

وبشروطٍ سبعةٍ قد قُيِدَتْ وفي نُصوصِ الوحي حَقاً وَردتْ

فإنَّهُ لم يَنتفعْ قائلُها بالنطقِ إلا حيثُ يَسْتكملها

العلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبَّه

٣ـ ونظمها أحدهم بقوله:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وَصِدْقُكَ مَحبَّةٌ وانقيادٌ والقبولُ لَها

٤ـ كما نظمها أحدهم في نظم قال فيه:

شروطُ هذي الكلمةِ ثمانيهْ فلتعِها كل قلوب واعيهْ

الكفر بالطاغوت فاجفُ غيًّا العلم إثباتا بها ونفيا

ثم اليقين نابذا للشَّكِّ بَعْدُ القبول مُنْقِضاً للتركِ

فالانقياد ظاهرا وباطنا طوعا لها للامتناع بائنا

فالصِّدقُ من قرارة الفؤاد لا باللسان وحدَّهُ فناد

يليه إخلاصٌ ينافي الشِّركا يا حَبَذا نفسٌ تَفوحُ مِسْكا

فحبُّها وحبُّ أهلَها كما بُغضُ الذي عن نَهجَها قد أحْجَما

من يُصْبِحَنْ لربه موحِّدا لجنة عالية يَدْخُلْ غَدا.

المسألة الثانية عشرة: هذه الشروط ليس المقصود حفظها دون العمل بها:

قال الشيخ حافظ:" وهذه الشروط السبعة لم ينتفع قائلها بالنطق مجرداً إلا حيث يستكملها أي هذه الشروط السبعة، ومعنى استكمالِها اجتماعها في العبد والتزامُه إياها بدونِ مناقضةٍ منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عدَّ ألفظها وحفظها، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له اعددها لم يحسن ذلك وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيرا فيما يناقضها والتوفيق بيد الله.

المسألة الثالثة عشرة: قيامُ جميعِ العباداتِ على أركانٍ وشروطٍ ونواقضٍ:

الصلاة لها شروطها وأركانها وواجباتها ومبطلاتها التي هي نواقض وموانع لصحتها، والوضوء كذلك له شروط وفروض وأركان ونواقض، وكذلك بقية العبادات كالحج والصيام والزكاة.

فإذا كان هذا حال جميع العبادات لها شروط وموانع وفروض وأركان وواجبات ونواقض، فما ظنك بالشهادتين وما هو اللائق بها وبالتوحيد الذي هو الأصل الذي تقوم عليه جميع العبادات بل ولا تصح إلا به، فالشهادتان أولى أن لا تكون كلمة جوفاء وأن لا يكون المراد مجرد التلفظ بها فحسب دون اقتران العمل، بل اللائق هو أن يتعلق بها شروطٌ ولوازمٌ وقيود ثقال.

إذا فما بال مرجئة الزمان والدين، جردوا التوحيد من شروطه ونواقضه وأركانه فمن قال لا إله إلا الله قولا مجردا حكموا بإسلامه وأداموا الأمن والإيمان عليه ولو لم يأتي بأركانها وشروطها بل ولو اخترم هذه الكلمة جميع النواقض فإنه يبقى عندهم مؤمن معصوم الدم استدلالا ضالا منهم بحديث:" من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ".

المسألة الرابعة عشرة: قيام الشروط على الجانب القلبي والجانب العملي:

شروط لا إله إلا الله منها ما هو اعتقادي باطن كالعلم ومنها ما اجتمع فيه الاعتقاد والعمل الظاهر مثل الإخلاص العملي، والصدق العملي والقولي، والمحبة العملية القائمة على الموالاة والمعاداة، والكفر بالطاغوت، والانقياد العملي.

وقد جردَّ المرجئة من هذه الكلمة الجانب العملي في أركانها فضلا عن شروطها وهو معظمها.

المسألة الخامسة عشرة: انقسام الشروط إلى ما يسقط عند الإكراه أو الجهل وما لا:

الشروط منها ما لا يسقط بحال ولا يقوم به مانع لا إكراه ولا جهل ولا غيره كالمحبة ومنها ما يسقط عند الإكراه المحقق وهو الانقياد الظاهر والكفر بالطاغوت.

المسألة السادسة عشرة: انقسام الشروط إلى أصل وكمال يتفاوت الناس فيه:

كل شرط من شروط كلمة التوحيد قائم على أصل وكمال، الأصل يكفر من نقضه أما الكمال فلا يكفر من أخلَّ به وإنما ينقص توحيد من قدح فيه، والتوحيد الذي هو أصل هذه الشروط هو الآخر منه الأصل والكمال كما هو مقرر عند أهل السنة.

وهذا الكمال يتفاوت الناس في تحقيقه، بل ويزيد وينقص في قلب كل مؤمن على قاعدة الإيمان يزيد وينقص.

ومما يدل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥.

وقول الرسول ﷺ :" والله إني لأعلمكم بالله وأمثلكم له ".

وقوله تعالى عن الخليل:﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قلبي ﴾ البقرة: ٢٦٠. أي يزيد يقيني.

وسمي الصديق رضي الله عنه بذلك لمزيد الصدق واليقين عنده وأدلة كثيرة جدا غير ذلك.

المسألة السابعة عشرة: دخول أركان لا إله إلا الله ومقتضاها في الشروط:

تدخل أركان لا إله إلا الله في الشروط من جهات:

الأولى: دخولها من جهة العلم:

حيث أن من شروط كلمة التوحيد العلم بها وبمعناها وبأركانها، فمن جهة العلم بالله وتوحيده والكفر بالطاغوت ووجوب ذلك داخل في شرط العلم.

الثانية: دخولها من جهة العمل:

إذ أركان لا إله إلا الله والتي تقوم على توحيد الله وعبادته وحده والكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك وأهله داخلة في الشروط من أوجه:

أولا: دخول الأركان في الإخلاص:

فحقيقة الإخلاص قائمة على التوحيد بعبادة الله وحده والبراءة من الشرك وهذه هي الأركان، فصار شرط الإخلاص يدل على الأركان بالمطابقة.

ثانيا: دخول الأركان في الانقياد:

لأن الانقياد يتضمن التوحيد والعمل به والكفر بما يخالفه وبكل ما يناقضه.

ثالثا: دخول الأركان في المحبة:

فالمحبة لكلمة التوحيد مستلزمة لبغض الشرك والبراءة من أهله والكفر بالطاغوت.

كما تدخل الأركان في بقية الشروط بطريق اللزوم والاقتضاء.

تنبيه: الشروط تدخل في الأركان من جهة أنها عبادات مستقلة فتدخل في الأركان من حيث العمل بها، فمن هذه الحيثية تدخل في الركن الأول الإيمان بالله وعبادته وحده، فالمحبة واليقين وبقية الشروط هي

شروط من جهة وهي في نفس الأمر عبادات يدخلها التوحيد والشرك، وكذا هي داخلة في مسمى الإيمان فتزيد وتنقص، وكلامنا عنها هنا من جهة كونها شروطا للتوحيد لا يصح بدونها.

المسألة الثامنة عشرة: العلاقة بين الشروط والأركان والفارق بينهما:

أن الشروط خارجة عن ماهية الحكم وحقيقة الشيء، وأنكر البعض هذا المعنى وجعل الركن والشرط بمعنى واحد، وهذا من الخلل في فهم الشرط وعدم التفريق بينه وبين الركن والماهية.

وبيان ذلك بالمثال: فالركوع في الصلاة ركن فيها وليس هو خارج عن أفعالها بينما الوضوء الذي هو شرط لها خارج عنها، فالصلاة شيء وهو شيء آخر وهذا بخلاف الركوع الذي هو جزء منها، ومثل ذلك لا إله إلا الله فالنطق بها والعمل بها وما تتضمنه من الدعاء والرجاء وبقية أفراد العبادة فهي داخلة في التوحيد وهي ركن فيه وجزء منه، وهذا بخلاف العلم بها وقبولها وبقية شروطها فهي شيء زائدة عن التوحيد خارجة عنه، ألا ترى أننا نقول العلم بالتوحيد والانقياد للتوحيد وقبول التوحيد ومحبة التوحيد والصدق في التوحيد واليقين والإخلاص فيه، ولا نقول مثل ذلك في الأركان وأفراد العبادات التي هي أجزاء التوحيد فلا نقول الكفر بالطاغوت للتوحيد والدعاء للتوحيد والصلاة للتوحيد، وإنما نقول الكفر بالطاغوت من التوحيد والدعاء والصلاة والعبادة من التوحيد.

تنبيه: الخلاف بين قولنا الشرط ركن أو الركن شرط وأنه خارج عن الماهية أو أنه داخل فيها جزء منها، هو خلاف لفظي ولا مشاحة في الاصطلاح. لأن الجميع يقولون أن تاركه كافر ولا توحيد معه وإسلامه باطل.

لكنما الأصوب والأضبط ما قررناه من كونها شروط تكون قبل الحكم ومعه، وليست جزءاً منه ومن ذات ماهيته، وإنما هي زائدة عنه خارجة منه، فليست من الحكم نفسه ولا هي ركن فيه لا تكون قبله ولا مستقلة بذاتها عنه وإنما هي منه لا تكون إلا معه وهذا ضابط الركن المفارق للشرط من هذه الحيثية.

تنبيه: لا يفهم من قولنا في حقيقة الشرط مذهب المرجئة أن الأعمال والعبادات شرط في الإيمان وليست ركن فيه بل التوحيد وشروطه من الإيمان وهي ركن فيه، وإنما الكلام في مكانة الشروط من المشروط الذي هو التوحيد وهو كقولنا في مثل شروط الصلاة وأركانها وكذا بقية العبادات.

المسألة التاسعة عشرة: تعلق الشرك بالشروط:

جميع الشروط يدخلها الشرك بما في ذلك العلم فيكون لله ولغيره وعلم بالله ممدوح وعلم بغيره مذموم كالعلم بالدنيا وللدنيا، والانقياد كما يكون لله يكون لغيره كما يصرفه المشركون لمعبوداتهم، ومثله المحبة والإخلاص والقبول والصدق واليقين.

المسألة العشرون: ما يوصف الله تعالى به منها:

يوصف الله سبحانه بالعلم والصدق والمحبة والقبول. ولا يوصف باليقين ولا بالإخلاص ولا بالانقياد.

المسألة الحادية والعشرون:

كل شرط له لوازم ومضمون، ويتعلق به نواقض وقوادح وموانع.

وسيأتي ذلك مبينا عند كل شرط في محله.

المسألة الثانية والعشرون: علاقة الشروط ببعضها وترابطها وتلازمها وانفكاك العلاقة التلازمية:

الشروط متلازمة ولا يكفي وجود بعضها دون بعض، بل لا يمكن انفرادها عن بعض، ولو تصورنا إمكانية وجود أحد الشروط منفردا عن البقية فإن ذلك لا يعتبر به، فلا تصح منفردة ولا تقبل من المتصف بها إذا لم تحصل جميعها.

فإنه قد يوجد الشرط اللغوي الاصطلاحي لوحده دون بقية الشروط فلا يكون هو الشرط الشرعي التام الكامل المطلوب والمقبول والذي صفته وضابطه إن يكون مستلزما لبقية الشروط مقترنا بها.

فمثلا قد يقبل العبد لا إله إلا الله ولكن لا ينقاد لها ولا يعمل بمقتضاها ويسمى هذا كفر الإعراض وكفر الامتناع والتولي، والعكس كفر النفاق.

وقد يقبل العبد التوحيد ويحبه ولكن لا يخلص فيه أو يجهله أو يشك في مقتضاه وحقيقته مثل جهلة عباد القبور وكثير من مشركي زماننا.

والعكس قد يعلم ويتيقن بالتوحيد ولكن لا يقبل مثل أكثر كفار العرب وغيرهم وكل من كان كفره كفر عناد.

وقد يحب التوحيد ولا يقبله مثل هرقل وأبو طالب وقد يقبله ولا يحبه ولا يَصْدُق فيه وهؤلاء هم المنافقون.

وقد يقبل ولا يخلص وهؤلاء هم المشركون.

فالقبول بهذه الصفة أو المحبة على تلك الحالة وغيرها من الشروط إذا انفردت لا عبرة بها وليست هي الشرط الشرعي المطلوب.

فالشروط متلازمة من حيث الأصل، فمن كان عنده يقين حقا لزم ذلك أن ينقاد ويحب التوحيد ويأتي ببقية الشروط، كما أن من أحب حقا لزم أن ينقاد ويتيقن ويخلص ومن انقاد حقا لزم أن يحب ويتيقن.

فالشروط متلازمة من حيث المبدأ والأصل وهذا من قواعد التلازم.

لكن من حيث الحقيقة والظاهر فإن الجهة قد تكون منفكَّة فقد يوجد عند شخص شرط دون الآخر كمن عنده يقين بلا إله إلا الله ولكن لا ينقاد لها مثل إبليس موقن بالله وبالتوحيد ومنعه الكبر من الانقياد.

والعكس فقد ينقاد الشخص ويدخل في الإيمان والإسلام ظاهرا بل ويحبه وربما يخلص ويَصْدُق في الظاهر ويقبل إلا أنه يكون عنده ريب في قلبه بموعود الله وشك في التوحيد فلا يظن الساعة قائمة ولا يوقن بكون التوحيد ولا إله إلا الله حقاً وصدقاً فيحصل له من الريب فيها والشك في قلبه مما لا يستطيع دفعه.

فهذا يدل على أصل عظيم وهو أنه ليس كل من حصل له شرط من الشروط لوحده كاليقين أو المحبة أو القبول أو غيرها أنه يعتبر مؤمنا ويدخل بهذا الشرط في الإسلام.

المسألة الثالثة والعشرون: تلازم الظاهر والباطن في الشروط:

أي خلل في الشروط من جهة الباطن فإنه لابد وأن تظهر آثاره في الظاهر، كما أن ما يظهر من مخالفات للدين في الظاهر مما تقوم به الجوارح فإن ذلك دليل على وجود نقص وخلل في الباطن بقدره، وهذا على القاعدة التلازمية عند أهل السنة خلافا للمرجئة الذين يتصورون وجود من هو مؤمن في الباطن مع قيامه ظاهرا بالكفر.

المسألة الرابعة والعشرون: بيان خطأ من زعم تعلق الشروط بالآخرة:

ظن بعض من تأثر بالإرجاء أن هذه الشروط ليست شروطا في قبول الإسلام الظاهر في الدنيا وإنما هي في دخول الجنة والنجاة من النار ونفع صاحبه في الآخرة.

وهذا القول يحتاج لتفصيل:

فالإسلام والتوحيد والإيمان له ظاهر وباطن، فالظاهر هو الذي يحقن الدم ويعصم صاحبه ويجري عليه أحكام الإسلام ولذلك المنافقون حُقنت دماؤهم لذلك وأما الآخرة فلا بد من اجتماع الظاهر والباطن وهذا الإسلام الحقيقي القائم على الانقياد وغيره.

وكذلك شروط لا إله إلا الله منها المتعلق بالباطن ومنها المتعلق بالظاهر، عليه فالباطن يصح القول فيها بما قال هؤلاء وأما المتعلقة بالظاهر فلا، إذ لا بد من تحققها والتثبت من حصولها للحكم ببقاء الإسلام، ويظهر ذلك في الانقياد وظهور آثار المحبة ولوازمها وأفراد وصور الإخلاص وعدم فعل شيء من النواقض والتي تركها من مستلزمات الشروط وسيأتي كلام السلف في عدم الحكم بإسلام من لم يظهر منه الانقياد والإذعان والاستسلام والعمل الظاهر.

وما قال هؤلاء هذا القول إلا لظنهم الخاطئ أن الشروط مرتبطة بالقلب ولا يتعلق شيء منها بالعمل.

ومما يبطل ما ذهبوا إليه ويدل على أن الشروط تتعلق بالظاهر وأحكام الدنيا والتي منها القتال وعدم الحكم بإسلام من خالفها:

١ـ قوله ﷺ :" أمرت أن أقاتل الناس ....فإذا فعلوا ذلك عصموا ".

والحديث فيه دلالة ظاهرة على أن الشروط قائمة بأفعال ظاهرة، وأن الأمر متعلق بأمر الدنيا وليس خاص بالآخرة كما زعم هؤلاء لأن الصلاة والإيمان بكل ما جاء به الشرع وعدم مخالفة حقها أمور ظاهرة ودنيوية.

٢ـ كذلك قتال أبي بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة وتكفيرهم وعدم اعتباره لنطقهم بالشهادتين وصلاتهم واستدلاله على ما ذهب إليه بحديث:" إلا بحقها "، وهذا محل الشاهد وهو أن شروط لا إله إلا الله والتي هي بمعنى حقها متعلقة بأحكام الدنيا، وهذا الذي عليه العمل عند الصحابة وهذا ما فهموه من دين الله تعالى لا ما فَهِمتْهُ المرجئة ولسوء معتقدها قالته.

المسألة الخامسة والعشرون: درجات القوادح والموانع والنواقض لهذه الشروط:

القوادح التي تقدم ذكرها في شروط لا إله إلا الله على درجتين.

الأولى: ما يقدح في أصلها ويزيلها وبطلها:

وهي نواقض الإسلام والكفر الأكبر بأنواعه.

الثانية: ما يقدح في كمالها من غير أن ينقض أصلها:

وهي المعاصي والكفر الأصغر والشرك الأصغر.

وهذه المسألة مبنية على القاعدة الواردة في مسألة سابقة وسيأتي أمثلة وأدلة لها.

المسألة السادسة والعشرون: رجوعُ كلِّ نواقض الإسلام إلى الإخلال بالشروط:

كل كفر في العالمين وجميع نواقض الإسلام الحاصلة من المرتدين ترجع إلى انعدام الشروط أو بعضها. وإليك بيان ذلك:

١ـ الشرك بالله ودعاء غير الله ناقض لشروط لا إله إلا الله جميعها.

٢ـ الحكم بغير ما أنزل الله واعتقاد أن هدي الخلق أكمل من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه يوجد من يسعه الخروج من شريعة الله، راجع لنقض شرط القبول والإخلاص والانقياد وغيره.

٣ـ الإعراض عن الدين ينقض شرط الانقياد والقبول.

٤ـ بغض الدين أو الرسول صلى الله عليه وسلم أو شيء مما جاء به وسبه راجع إلى نقض شرط المحبة والقبول.

٥ـ الاستهزاء بالدين ينقض شرط الانقياد له.

٦ـ عدم تكفير المشركين والشك في كفرهم ينقض شرط العلم والإخلاص واليقين وغيرها.

٧ـ مظاهرة الكفار وموالاتهم ينقض شرط الانقياد والمحبة.

٨ـ السحر ينقض شرط العلم والصدق والإخلاص وغيرها.

وكل ناقض وردة وكفر فإنه راجع إلى نقض شروط لا إله إلا الله جميعها أو واحد منها، ولهذا كانت دراسة شروط لا إله إلا الله تقي الوقوع في الكفر والردة عن جهل، وإن العلم بهذه الشروط والعمل بها حصن منيع من كل كفر وردة، وأي كفر إنما كان حصوله بعد نقض هذه الشروط أو شيء منها.

المسألة السابعة والعشرون: الكفر المتعلق بكل شرط:

كل شرط يتعلق بمخالفته ونقضه كفر معين، وفي تركه يحصل نوع من أنواع الكفر، إما الجحود وإما التكذيب أو الشك أو الترك أو الامتناع أو الإعراض أو الجهل.

شرط العلم: يقابله كفر الجهل وكفر التكذيب.

شرط اليقين: يقابله كفر الشك والريب.

شرط الصدق: يقابله كفر النفاق.

شرط الإخلاص: يقابله كفر الشرك والرياء والإيمان بالطاغوت وتولي الكافرين.

شرط المحبة: يقابله كفر البغض والكره وشرك المحبة.

شرط القبول: يقابله كفر الرد ومنه التكذيب والجحود والاستحلال والإنكار.

شرط الانقياد: يقابله كفر الإعراض والتولي والترك وكفر الامتناع والإباء والاستكبار.

قاعدة: التفريق بين صفة الكفر وبين حقيقته وسببه ونوعه:

يوجد فرق حين نقول الكفر المتعلق بفقدان الشرط والكفر المتعلق بالإخلال به فصفة الكفر تتعلق بفقدان الشرط مثل كفر الجحود عند فقد القبول، وكفر الإعراض والامتناع عند فقدان شرط الانقياد، وكفر النفاق عند فقدان شرط الصدق والإخلاص، وكفر الشك والريب عند فقدان شرط اليقين.

أما سبب الكفر ونوعه وحقيقته فتتعلق بالإخلال بنوع وفرد من الشرط مثل كفر الحكم بغير ما أنزل الله أو الشرك بالله فسببه عدم القبول أو عدم الانقياد أو عدم المحبة وهكذا.

فيمكن أن يقال كفر الجحود والإعراض والتكذيب والشك والنفاق أجناس يندرج تحتها أنواع وأفراد وأوصاف، وكل كفر لا بد أن تكون صفته على أحد هذه الصفات والأنواع الخمس.

المسألة الثامنة والعشرون: عدم اجتماع الشروط مع النواقض:

لا تجتمع الشروط مع النواقض كما لا يجتمع الكفر والإسلام ولا التوحيد والشرك، فلا توحيد لمن يوالي الكفار ولا توحيد لمن يعبد القبور ويستغيث بالأموات ولا توحيد لمن يشرع القوانين ولا توحيد لمن يتحاكم إلى غير شرع الله تعالى ويطيع المشركين.

ولا توحيد لمن يهزأ بالدين أو بالرسول ﷺ أو بشيء مما جاء به. ولا توحيد لمن يبغض الدين وأهله ولا توحيد لمن لم ينقد للشريعة ويلتزم بها وهكذا.

والتوحيد من الإيمان وهو قول وعمل واعتقاد وهو إيمان بالله وكفر بالطاغوت وكل منهما مرتبط بالقول والعمل.

وللمرجئة في ذلك مذهب يخالف المسلمين بل يستنكره اليهود والمشركون حيث خالفوا في جانب الإيمان وجانب التوحيد وجمعوا بين مذهب جهم وابن كرام فتوحيدهم وإسلامهم غير دين المسلمين وتوحيدهم.

المسألة التاسعة والعشرون: المخالفات في الشروط:

١- من ينكر بعض هذه الشروط وليس جميعها وعلى رأسها الانقياد.

٢- من يجعلها متعلقة بالآخرة دون أحكام الدنيا.

٣- من يجعلها متعلقة بالقلب دون الجوارح، ويجعلها قائمة بالباطن دون الظاهر.

٤- من زاد فيها ما ليس منها، أو يدخل فيها أفراد العبادات.

٥- من زعم أنها شرط كمال.

٦- من زعم تساوي كل المسلمين فيها.

٧- إدخال بعضها في بعض من دون تفريق، كمن جعل القبول والانقياد بمعنى واحد ومن جعل الصدق والإخلاص شرطا واحدا.

٨- من يعتقد اشتراط حصولها ووجوب اكتمالها عند الدخول في الإسلام ، وأن النطق ليس كافيا في قبول الإسلام، حتى ظن هؤلاء أنه لا يُحْكَمُ بإسلام الشخص الداخل في الدين إلا بعد أن يفهم هذه الشروط ويحققها ولم يفرقوا بين المصر والممتنع على عدم قبولها والجاهل بها المحتاج لمعرفتها ومن ثَمَّ يلتزمها أو يمتنع عنها.

٩- من يقول أن شروط لا إله إلا الله اصطلاح متأخر خلفي مُبتدع لم يكن معروفا عند السلف، ويُبدِّع من يقول بها.

١٠- من يُدخلُ في الشروط ما ليس منها فابتدع شروطا مثل التكفير باللازم والبيعة للإمام أو من كَفَّرَ بآحاد الأعمال وبالذنوب عموما وكفر عموم المسلمين حتى يتبين منهم، وجعلوا الأصل في أهل لا إله إلا الله الكفر، وكفروا الحاكم بغير ما أنزل الله والمحكوم عليه مطلقا، كما هو مذهب الخوارج وحال خوارج زماننا الجدد.

المسألة الثلاثون: الشروط عند الفِرَق والمخالفون فيها:

مبدأ الشروط تؤمن به معظم الفرق من حيث الأصل إلا أنها تفسرها على أصولها الفاسدة فتنكر بعضها أو تزيد عليها ما ليس منها أو تحرف معناها.

وإليك ما عندهم:

١- المرجئة بأصنافها ودرجاتها خالفوا فيها وأجمعوا على إخراج العمل منها وإنكار الانقياد العملي، فاقتصرت الأشاعرة على الصدق والعلم، والماتريدية على الصدق والقبول والإقرار وبعضهم يجعلها شروط كمال لإجراء الأحكام الدنيوية، والكرامية يشترطون النطق، وتفرد غلاة المرجئة بإنكار جميع الشروط العملية والعلمية حيث أنكرت الشروط من أصلها وزعمت أن قول لا إله إلا الله مجرد عن العلم بها والعمل بها وعدم الإتيان ببقية شروطها يكفي في دخول الجنة والنجاة من النار، واستدلوا بحديث البطاقة والجهنميين وغيره وقالوا ليس لهذه الكلمة شروط أصلا، وقد أجبنا عن استدلالهم الفاسد بالأحاديث السابقة.

٢- الخوارج يدخلون في شروط لا إله إلا الله ما ليس منها فابتدعوا شروطا مثل التكفير باللازم والبيعة، والتكفير بترك آحاد الأعمال وبالذنوب عموما، وتكفير عموم المسلمين حتى يتبين منهم، وجعلهم الأصل في أهل لا إله إلا الله الكفر.

٣- القبورية المشركة من الصوفية بطوائفها والرافضة: حيث أنكروا التوحيد وأحلوا محله الشرك وعبادة القبور، فانقادوا للشرك وقبلوه وأحبوه وأبغضوا التوحيد بل وتشمئز قلوبهم إذا وُحِّدَ الله، ونزلوا شروط كلمة التوحيد بالشرك فهدموا لا إله إلا الله وهدموا أركانها وشروطها جميعا، ومن اشترط منهم لكلمة التوحيد شروطا فقد جعلها متعلقة بالربوبية واعتقاد تفرد الله بالتأثير والخلق والقدرة والاستقلال في ذلك دون الألوهية واستحقاقه العبادة وحده.

٤- المشرعون والحاكمون بغير ما أنزل الله حيث نقضوا شروط لا إله إلا الله والتي منها الانقياد والقبول والإخلاص لله في العبادة والحكم.

٥- الموالون للكفار حيث نقضوا شروط المحبة والقبول فضلا عن ركن الكفر بالطاغوت والانقياد.

٦- المرتدون وكذا الكفار عموما نقضوا شروط لا إله إلا الله.

٧- العلمانيون نَحَّوا هذه الشروط ولم يعملوا بها فعزلوا الدين والتوحيد عن دنياهم.

٨ـ الليبراليون تركوا الانقياد لله وأرادوا التمرد باسم الحرية وفكوا رباط الانقياد والقبول والذل لله وحده.

٩ـ المعطلة جعلوا من شروطها إنكار الصفات.

١٠ـ القدرية جعلوا من شروطها إثبات العدل وتنزيه الله عن الظلم وذلك بإنكار القدر وخلق أفعال العباد.

١١ـ الجبرية جعلوا من شروطها إنكار الأسباب وتأثيرها وأفعال العباد وقدرتهم.

١٢ـ الفلاسفة جعلوا شروطها مجرد الإيمان بوجود الله.

هذه بعض المسائل والقواعد الهامة قدمناها بين يدي الشروط كالتمهيد لها.

واللّه المعين وحده هو حسبنا ونعم الوكيل.

المبحث الثاني

التعريف بالشرط

المسألة الأولى: تعريف الشرط في اللغة:

الشروط جمع شرط: بسكون الراء وفتحها.

والشرط بسكون الراء: إلزام الشيء والتزامه في المعاملات والبيع والعبادات وغيرها.

ويجمع على شروط وشرائط.

والشرط بفتح الراء العلامة.

وجمعه أشراط ومنه: أشراط الساعة أي علاماتها ومن ذلك سمي المَشْرط لكونه صار له أثر وعلامة وسميت الشرطة بذلك لأن لهم علامة تميزهم وتلازمهم.

المسألة الثانية: تعريف الشرط في الاصطلاح:

عرَّفه القرافي بأنه: ما يلزم من عدمه عدم الحكم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته.

وقيل وصف ظاهر منضبط دل الدليل الشرعي على توقف الحكم على وجوده ولا يلزم من وجوده وجود من غير إفضاء إليه وبنحو هذا عرفه الطوفي.

شرح التعريف:

قولنا (وصف) احترازا من الذوات فإنها لا تكون شروطا فالمحبة وهكذا الانقياد وبقية الشروط تعتبر من قبيل الصفات.

وقولنا (ظاهر) يخرج الوصف الخفي فإنه لا يصح أن يكون شرطا.

وقولنا (منضبط) يخرج ما لا ينضبط فإنه لا يمكن أن يكون شرطا ولا يتوقف الحكم عليه.

وقولنا (دل الدليل الشرعي) يثبت أن الشروط مرجعها الشرع ويخرج بذلك الشروط العقلية والعرفية واللغوية.

وقولنا (توقف الحكم على وجوده) معناه أن الحكم والمشروط يتوقف وجوده على وجود الشرط فلا يمكن وجود الحكم مع انتفاء الشرط.

وبعبارة أخرى (وينتفي الحكم عند انتفائه) أي أن الحكم ينعدم وينتفي عند انتفاء الشرط وعُدِمَ وجوده.

وهي نفس عبارة (ما يلزم من عدمه العدم) وأخْرِجَ بهذا الاحتراز المانع لأن المانع لا يلزم من عدمه شيء .

وبالمثال يتضح التعريف: المحبة في كلمة التوحيد والطهارة في الصلاة.

فهي صفات منضبطة ظاهرة دلت الأدلة الشرعية على عدم صحة كلمة التوحيد إذا عدمت المحبة لها، وكذا عدم صحة الصلاة إذا انعدمت الطهارة فيتوقف حكم صحة الصلاة والتوحيد على شرطهما وأنه ينتفي الحكم وينعدم ولا يعتبر به لو وجد إذا انعدم الشرط، فلا صلاة بلا طهارة ولا توحيد بلا محبة.

وقولنا (ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم):

أي أنه لا يلزم من وجود الشرط وجود الحكم فقد يوجد الشرط ولا يوجد الحكم فقد يتوضأ إنسان ويتطهر ولكن لا يصلي وكذلك قد يحب الإنسان كلمة التوحيد ولكن لا يخلص أو لا ينقاد لها أو يشرك فلا يكون موحدا.

وأخرج بهذه الجملة: السبب لأن السبب يلزم من وجوده وجود الحكم.

وأخرج المانع لأن المانع يلزم من وجوده العدم.

وعبر عن هذه الجملة بعبارة بديلة تؤدي نفس المعنى وهي (من غير إفضاء إليه).

أي من غير تأثير وذلك أن وجود الشرط لا يلزم منه وجود المشروط ولا عدمه.

وأضاف البعض (لذاته):

وقصدوا أنه لا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته احترز به من مقارنة الشرط وجود السبب فيلزم الوجود واحترازا من مقارنة الشرط قيام ووجود مانع فيلزم العدم، فيكون عدم الوجود عند قيام المانع وليس لذات الشرط وكذا الوجود عند وجود السبب لا لذاته.

المسألة الثالثة: المناسبة بين المعنى الاصطلاحي واللغوي:

سمي الشرط شرطا لكونه علامة على المشروط ملازما للحكم.

فالمحبة علامة ملازمة على التوحيد والطهارة علامة ملازمة للصلاة.

المسألة الرابعة: أقسام الشرط:

ينقسم الشرط إلى خمسة أقسام:

١ـ الشرط الشرعي: وهو المقصود هنا.

٢ـ الشرط العقلي: مثل اشتراط الحياة للأكل والعلم.

٣ـ الشرط العادي: كوضع السُلَّم والدرج لصعود السطح.

٤ـ الشرط اللغوي: وهو ما يسمى بأسلوب الشرط وتركيبه وله أدواته اللغوية:

كقولهم: إن جاء زيد فأكرمه.

وذهب ابن القيم وغيره إلى أن الشروط اللغوية من قبيل الأسباب.

٥ـ الشرط الجعلي: وهو ما كان مصدره اشتراط المكلف وليس الشرع، كالشروط في البيع وفي النكاح وهي غير شروط البيع الشرعية كمن يشتري متاع بشرط نقله.

وتنقسم إلى شروط صحيحة وشروط باطلة وفاسدة.

والشرط الشرعي ينقسم إلى أقسام باعتبارات:

أولا: ينقسم باعتبار الصحة والوجوب إلى:

١ـ شرط صحة: وهو ما جعل الشارع وجوده شرطا لصحة العبادة والحكم كالإسلام للحج والطهارة للصلاة، وجميع شروط لا إله إلا الله شروط صحة.

٢ـ شرط وجوب: وهو ما يتوقف وجوب الحكم على وجوده مثل القدرة والحرية شرط لوجوب الحج، والطهارة من الحيض شرط لوجوب الصلاة.

٣ـ شرط أداء: مثل النائم تجب عليه الصلاة وهو غير مكلف بها حال نومه حيث رُفع التكليف عن النائم.

٤ـ شرط إجزاء: مثل حج العاجز يُجزئ ولا يجب عليه وكالصلاة التي فقد الخشوع منه تجزئ مع الإثم.

ثانيا: الشرط منه ما يتعلق بالقلب مثل العلم واليقين والنية.

ومنه ما يتعلق بالأعمال الظاهرة مثل الانقياد واستقبال القبلة في الصلاة.

ثالثا: ينقسم الشرط إلى ما يسقط بالأعذار وما لا يسقط:

فالطهارة شرط لصحة الصلاة تسقط عند عدم القدرة، أما النية والإسلام فلا تسقط مطلقا، ومثل ذلك شروط لا إله إلا الله الانقياد يسقط عند العجز والإكراه، وغيره لا يسقط بحال لكون محله القلب.

رابعا: وينقسم الشرط إلى شرط في مقدور المكلف ومن فعله وما ليس كذلك:

فالطهارة من فعل المكلف ومقدوره، ودخول الوقت ومضي الحول للزكاة شرط ليس من مقدور المكلف.

خامسا: وينقسم إلى ما هو مطلوب للشرع مثل الطهارة وما ليس كذلك مثل مضي الحول وملك النصاب في الزكاة.

سادسا: وينقسم باعتبار ارتباطه بالسبب والمسبب إلى شرط للحكم وشرط للسبب:

فشرط السبب: كمرور الحول فإنه شرط مكمل سبب وجوب الزكاة.

وشرط للمسبب المناسب للحكم مثل الشهادة في النكاح وموت المورث وحياة الوارث سبب الإرث.

المسألة الخامسة: الفرق بين الشرط والركن:

أولا: تعريف الركن:

في اللغة: مادة (رك ن) تدل على القوة فركن الشيء جانبه الأقوى.

ومن ذلك قوله تعالى عن لوط: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾هود:٨٠.

أي عزة وقوة، وقوله تعالى عن فرعون: ﴿ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ الذاريات:٣٩

بقوته وجنوده وسلطانه وعشيرته وأركان الإنسان جوارحه.

وفي الاصطلاح: هو ما توقف الشيء على وجوده وقام عليه وكان جزءاً من حقيقته.

وبتعريف آخر: هو ما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود مع دخوله في الماهية (حقيقة الشيء).

فالركوع في الصلاة تتوقف الصلاة على وجوده وتقوم عليه وهو جزء من حقيقتها وماهيتها ويلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود.

ثانيا: الفرق بين الشرط والركن:

١ـ يتفق الشرط والركن:

أن كلا منهما يتوقف عليه وجود الشيء وينعدم الحكم ويبطل بانعدامهما.

٢ـ ويختلفان:

في أن الشرط أمر خارج عن حقيقة الشيء وماهيته أما الركن فهو جزء من حقيقته.

فالركوع في الصلاة ركن فيها وهو جزء من حقيقة الصلاة وداخل في ماهيتها وأفعالها.

والوضوء شرط في الصلاة وهو أمر خارج عن حقيقتها وليس من أفعال الصلاة وماهيتها.

ويتفق الوضوء والركوع على أن الصلاة لا تصح بدونهما ولا يتحقق وجودها الشرعي إلا بهما، وهذا في حالة عدم وجود العجز.

ومثل ذلك الكفر بالطاغوت ركن في التوحيد وجزء منه وعمل داخل فيه.

والمحبة تكون للتوحيد وهي شرط في التوحيد خارجة عنه.

المسألة السادسة: العلاقة بين الشرط والسبب:

السبب في اللغة: هو ما يتوصل به إلى مقصودٍ ما.

ومن هذا يسمى الطريق والباب والحبل أسبابا.

وفي الاصطلاح: هو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم لذاته.

أو هو وصف ظاهر منضبط جعله الشارع علامة على الحكم ودليلا عليه وربط وجودَه بوجودِه.

هذا وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن السبب والشرط مؤداهما ومدلولُهما واحد وأن معناهما متفق.

ومثلوا لذلك دخول الوقت هو من شروط الصلاة ومن أسبابها وقال بعضهم أن الشرط اللغوي والعادي من قبيل الأسباب.

وقال العز بن عبد السلام في القواعد: أن أكثر ما يعبر بلفظ الشرط عن الأسباب أو عن أسباب الأسباب وذكر أمثلة لذلك منها قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة:١٩٤، فالاعتداء المقابل سببه الاعتداء الأول ومن شرط جوازه وجود الاعتداء الأصل الأول فكانا بمعنى واحد.

والحق أنهما متقاربان ولكن بينهما فروق كما سيأتي.

الفرق بين السبب والشرط:

١ـ أن السبب يلزم من وجوده وجود المُسبَّب إلا لمانع.

أما الشرط فلا يلزم من وجوده وجود المشروط.

مثل الإسلام والنطق بالشهادتين سبب لعصمة الدم والطهارة شرط للصلاة فإذا وجد الإسلام وجدت عصمة الدم أما الطهارة فقد توجد ولا يصلي الشخص ولكن ليقرأ القرآن أو يطوف ونحوه.

٢ـ أن عدم السبب ليس مانعا من وجود المُسبَّب لجواز وجوده بسبب آخر.

أما الشرط فإن عدمه مانع من وجود المشروط.

ومثال هذا الفرق أن النطق بالشهادتين سبب في تحريم الدم وعدم هذا السبب ليس مانع من وجود المُسبَّب (عصمة الدم) لجواز وجوده بسبب آخر كالأمان والذمة للكافر، بينما الطهارة وهي شرط في صحة الصلاة وعدمها مانع من وجود هذا المشروط (الصلاة).

٣ـ السبب يتعلق به وجوب المُسبَّب (الحكم) ووجوده.

أما الشرط فيتعلق به وجود المشروط (الحكم) دون وجوبه، فهو ليس مُوجِبا للحكم مؤثرا فيه، وإنما هو مكمل لتأثير السبب، أما المؤثر فهو السبب، فالسبب يتوقف عليه المُسبَّب من حيث الوجود والتأثير، أما الشرط فيتوقف عليه المؤثر وهو السبب من حيث التأثير لا الوجود.

٤ـ الشرط مقارن للحكم لا يفارقه ولا ينفك عنه أما السبب فلا تلزم فيه المقارنة فقد يتأخر حكم الشيء عن سببه.

٥ـ السبب يثبت الحكم ابتداء بوجوده فلا يكون انعدام الحكم قبل وجود السبب مضافا لسبب باعتبار أنه نفي الحكم قبل وجوده بل انعدم لانعدام سببه أما الشرط فمغير للحكم بعد وجود سببه فكان مانعا من ثبوت الحكم قبل وجوده كما يكون مثبتا وجود الحكم عند وجوده.

٦ـ أن السبب مناسبته في ذاته أما الشرط مناسبته في غيره ولم يرتض البرماوي وابن النجار في الكواكب هذا الفارق.

المسألة السابعة: علاقة الشرط بالمانع:

تعريف المانع في اللغة:

من المنع ضد الإعطاء، والمانع هو الحائل بين الشيئين، والممنوع المحروم ومنه منعه كذا ومنعته منه.

والمانع في الاصطلاح:

ما يلزم من وجوده العدم، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته.

وهناك علاقة بين المانع والناقض:

فنواقض الإسلام أو الوضوء هي موانع تمنع صحته وأثره.

والمانع له أقسامه:

فمنه مانع للحكم ومنه مانع للسبب.

ومنه ما يمنع ابتداء الحكم ومنه ما يمنع دوامه دون ابتدائه.

ومنه ما هو مطلوب للشارع مثل الإسلام مانع من هدر الدم وما هو غير مطلوب للشرع وهو أكثر الموانع مثل الكفر مانع من عصمة الدم.

الفرق بين الشرط والمانع:

١ـ أن الشرط ضد المانع فالمانع يلزم من وجوده عدم الحكم والشرط يلزم من عدمه عدم الحكم ووجوده يتوقف عليه وجود الحكم.

٢ـ أن عدم الشرط يمنع من وجود الحكم أما عدم المانع فلا يلزم من عدمه وجود الحكم.

٣ـ أن المانع أقوى من الشرط فالمانع يبطل عمل الشرط فلا يعمل الشرط إلا إذا انتفى المانع.

٤ـ أن الشرط علامة على مشروطه (الحكم) أما المانع فليس علامة على ممنوعه (الحكم).

٥ـ أنَّ الأصل في المانع العدم أما الشرط فلا بد من التحقق من وجوده.

فإذا شككنا في المانع فالأصل عدمه، ومثاله إذا شككنا هل المسلم كفر ووقع في الردة فالأصل عدمه، وإذا شككنا في وجود الشرط مثل إسلام الحربي لعصمة دمه فإنه لا بد من التحقق من وجوده وكذا الطهارة إذا شككنا في وجودها فلا نقدم على الصلاة وهذا الفرق ذكره القرافي في الفروق، إلا أنه عند التحقيق لا فرق بينهما فكل منهما الأصل فيه العدم عند الشك فيه وما ثبت بيقين فلا يزول إلا بيقين ولا يزول بالشك.

٦ـ أن الشرط مكمل لمشروطه ومشتمل على المناسبة، والمانع ليس مكملا لممنوعه ولا مناسبا له.

مسألة: العلاقة بين عدم المانع والشرط:

هما بمعنى واحد فعدم المانع يعتبر شرطا ولا فرق بينهما، فكل منهما وجوده يتوقف الحكم عليه، وعند عدمهما وانتفائهما ينتفي الحكم.

إلا أن القرافي في الفروق حاول التفريق بينهما في قاعدة المشكوك فيه وكونه ملغياً، والحق أنه لم يأت بفارق معتبر.

المسألة الثامنة: قواعد ومسائل في الشروط:

قاعدة: أن الأحكام توجد بوجود وتوفر الأسباب والشروط وانتفاء الموانع، وتنتفي الأحكام بانتفاء الأسباب والشروط أو وجود الموانع.

قاعدة: لا فرق بين انتفاء شرط واحد أو انتفاء جميع الشروط، كما أنه لا فرق بين وجود مانع أو أكثر في انتفاء الحكم.

وهذه القاعدة المقصود منها رد مزاعم المرجئة الذين يشترطون انتفاء جميع الشرط ووجود جميع الموانع لإجراء الأحكام.

قاعدة: أن الشك في الشرط يلغي أثره ويستلزم التحقق من وجوده.

فالشك فيه يقضي بعدم ثبوت الحكم إذ الأصل عدمه، فلو شك في ردة المسلم لاشتراط استحلال دمه فإن الأصل عدمها، وكذا لو شك في إسلام الكافر لاشتراط العصمة فإنه لا يثبت الحكم مع الشك.

وعند المالكية كما في الذخيرة: الشك في الشرط مانع من ترتب المشروط والشك في المانع لا أثر له، أي لا يؤثر على بقاء الأصل ولا يعتد به ، فلو شك في الرضاع المانع للنكاح فالأصل عدمه.

قاعدة: أن الشرط لا تتحقق فائدته ولا يثبت العمل به إلا عند انتفاء وجود المانع.

فالمانع والناقض يبطل العمل بالشرط ويزيل ثبوت الحكم.

قاعدة: حكم الشرط:

الأصل أن تحصيل الشرط واجب في الشرع إذا كان الحكم والمشروط واجب، فكلمة التوحيد واجبة وشروطها واجبة والصلاة واجبة وشروطها واجبة في الأصل والتي هي متعلقة بفعل المكلف كالطهارة.

قاعدة: جواز تقديم الحكم قبل تحقق الشرط، ومن ذلك جواز الكفارة بعد اليمين وقبل الحنث إذا أراده وكتقديم الزكاة قبل مضي الحول.

قاعدة: المرادفات للشرط:

من الأمور التي تقارب الشرط في المعنى: السبب والدليل والعلامة والعلة.

فكل هذه الأمور يتوقف الحكم عليها وهي علامة ملازمة له.

قاعدة: خصائص الشرط:

أنه وصف ومنضبط وظاهر ومكمل لمشروطه وخارج عن حقيقة الحكم ويتوقف عليه وجود الحكم ويلزم من عدمه عدم الحكم.

قاعدة: الشرط هو من أنواع الحكم الوضعي:

والحكم هو إثبات أمر لأمر آخر.

وله أنواع: الحكم الشرعي والعقلي والعادي:

والحكم الشرعي ينقسم إلى:

١ـ تكليفي: وهو المتعلق بأفعال المكلفين:

وهو خمسة أحكام: الواجب والمحرم والمستحب والمكروه والمباح ويزيد البعض العفو.

٢ـ وضعي: وهو خطاب الله المتعلق بجعل الشيء سبب للشيء أو شرطا له أو مانعا منه أو كون الفعل صحيحا أو فاسدا أو إعادة أو قضاء أو أداء أو عزيمة أو رخصة.

قاعدة: شروط الأصل والفرع وشرط الحكم والسبب:

لكل شرط سبب ومانع كما أن لكل سبب ومانع شروطا.

فلبعض الأحكام أركان وشروط والشروط والأركان لها شروط.

مثل الطهارة شرط للصلاة وللطهارة شروط، وكذا الركن له شروط مثل شروط الطواف في الحج وشروط الركوع والسجود.

قاعدة: تداخل الشروط:

الشروط لا تتداخل كما تتداخل الأسباب، وتقدم في الفرق بين السبب والشرط.

قاعدة: تخلف الشرط عند الضرورة والعجز وقد يصح الحكم إذا سقط الشرط:

الشرط شرط في الحكم وقد يسقط عند الضرورة والعذر والاضطرار مثل سقوط الطهارة عند العجز والانقياد والكفر بالطاغوت عند الإكراه.

ومنه ما لا يسقط مطلقا وهو المتعلق بالقلب مثل النية والقبول والمحبة والعلم.

قاعدة: بطلان الشرط:

يبطل الشرط عند تعلق مانع به أو حصول ضده.

حصول ضده مثل: الحدث للطهارة والبغض للمحبة.

أو تعلق مانع به مثل: حصول ناقض من نواقض الإسلام فإنه يبطل الشروط، وكذا لو وجدت شروط الصلاة لكن حصل مانعاً كالحركة أو الأكل في الصلاة فإنها تبطل الصلاة ولو كانت الشروط متوفرة.

قاعدة: تعارض الركن والشرط:

إذا تعارض الركن والشرط ولم يمكن اجتماعهما فإن الذي يقدم هو الشرط.

مثاله: لو أن شخصا عارٍ هل يسجد أم يومئ فالسجود ركن وستر العورة شرط فإنه يقدم ستر العورة. كذا لو أن أسيرا قيد على جهة تخالف القبلة على جدار، يستطيع أن يستقبل القبلة من غير ركوع أو يركع من غير استقبال القبلة فيقدم الشرط وهو استقبال القبلة.

قاعدة: تزاحم الشروط وتعارضها:

مثل من لم يجد لباسا يستر العورة في الصلاة إلا لباسا نجسا لوجب عليه لبسه.

المسألة التاسعة: مسائل أصولية:

هناك مسائل متعلقة بأسلوب الشرط يبحثها علماء أصول الفقه منها:

دلالة المنطوق ودلالة مفهوم المخالفة في الشرط، وردهم على الحنفية في إنكارهم لمخالفة الشرط وعدم قولهم بمفهوم المخالفة فيه وأنه لا دليل على انتفاء الحكم المشروط عند انتفاء الشرط.

كما يبحثون تخصيص العموم بالشرط وهو أحد المخصصات المتصلة (الشرط ـ الاستثناء ـ الصفة ـ الغاية ـ بدل البعض).

ويبحثون مسألة تعدد الشرط والمشروط واتحادهما واتصال الشرط بالمشروط وتقدمه وقاعدة تزاحم الشروط. ومسائل أخرى في أبواب الدلالات.

المسألة العاشرة: مسائل لغوية:

طرق معرفة الشرط:

ضابط الشرط هو ما يزول الحكم المشروط بزواله.

أدوات الشرط:

للشروط أدوات في اللغة تسمى أدوات الشرط وأساليبه.

وقد حصرها أهل اللغة وقسموها إلى:

اسمية وحرفية وظرفية. وإلى عاملة وغير عاملة.

فالأدوات العاملة نحويا:

إن ـ إذا ـ ما ـ من ـ أي ـ مهما ـ أين ـ أنى ـ حيثما ـ أيان.

والأدوات الغير عاملة:

إذا ـ كيف ـ لو ـ لولا ـ لوما ـ لمَّا ـ أما .

أركان الشرط:

يتكون الشرط من أداة الشرط وفعل الشرط وجواب الشرط وجزائه ويقترن بالجواب فاء الجواب وإذا الفجائية.

حالات الشرط مع جوابه:

الحالة الأولى: أن يكون الشرط وجزاؤه مضارعين وهذا أقوى صوره.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ﴾ الأنفال: ٣٨

الحالة الثانية: أن يكونا ماضيين ومثاله: ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾ الإسراء: ٨ .

الحالة الثالثة: أن يكون الشرط ماضيا والجواب مضارعا.

كقوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ الشورى: ٢٠ .

الحالة الرابعة: عكس الثالثة وهو أن يكون الشرط مضارعا والجواب ماضيا.

ومثاله قول الرسول ﷺ :" من يَقُمْ ليلةَ القدر غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه ".

والعامل إعرابيا في فعل الشرط الأداة وفي الجواب أيضا على الصحيح.

وعملها الجزم لاختصاص أدوات الشرط بالدخول على الأفعال ذكره الأنباري في أسرار العربية.

ودخول حرف الجر لا يبطل عملها بخلاف النواسخ وإذا الظرفية فيبطلها، ويدخل الاستفهام والقسم عليها ولا يبطلها.

وقد يدخل على الشرط شرط ويسمى اعتراض.

والأصل أن أداة الشرط لها الصدارة وقد يتقدم معمولي الشرط والجزاء على الأداة عند البعض.

ولا يجوز حذف أداة الشرط أما فعله وجوابه فيجوز حذفهما إذا فهما وكانا معلومين ودل عليهما السياق.

وهذه المباحث اللغوية والقواعد الأصولية تعين على فهم ضابط الشرط وحقيقته الشرعية، كما يستعان بهذه المسائل اللغوية في الرد على المبتدعة وعلى رأسهم المرجئة

المبحث الثالث

مسائل الشهادتين

معناها وأركانها وشروطها ونواقضها ومبطلاتها

ولوازمها وإعرابها وفضائلها

ذكرنا في هذا الفصل رؤوس المسائل المتعلقة بالشهادتين والتوحيد إشارة، وقد تركنا التوسع في البيان إلى كتابنا التوحيد وحقيقة الشرك، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

.

المسألة الأولى: حقيقة الشهادة ومراتبها:

الشهادة غير معتبرة إلا إذا شملت أربع مراتب.

الأولى: علم الشاهد بها ومعرفته لها واعتقاد صحة ما شهد به وثبوتها عنده.

الثانية: تكلم الشاهد بذلك ونطقه بها.

الثالثة: أن يُعلِمَ الشاهد غيره ما شهد به ويخبره به ويبينه له.

الرابعة: أن يلتزم بمضمونها ويلزم غيره بما شهد به ويأمره بها ويحكم به ويقضي به.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع علمه بذلك سبحانه وتعالى وتكلمه به وإعلامه وإخباره وبيانه لخلقه وأمرهم وإلزامهم به، وكذا شهادة المسلم بالتوحيد لا بد أن تقوم على هذه المراتب الأربع كما هو مقرر عند أهل السنة وذكره ابن القيم وابن أبي العز.

المسألة الثانية: دخول الشهادتين في الإسلام والإيمان:

تدخل لا إله إلا الله في الإيمان القائم على الجانب الاعتقادي القلبي الباطن.

وتدخل في الإسلام القائم على الجانب العملي الظاهر.

المسألة الثالثة: معنى كلمة لا إله إلا الله:

لا معبود بحق إلا الله هذا معنى هذه الكلمة ودلالتها، ومضمونها الذي دلت عليه إنه لا معبود بحق إلا الله وأن كل معبود غير الله فهو معبود باطل وعبادته شرك وكفر وفساد.

لأن الإله معناه المعبود ونفى الله أن يكون هناك معبود يستحق العبادة والألوهية غيره سبحانه وتعالى وأن الآلهة والمعبودات التي يعبدها المشركون كلها باطلة فاسدة.

المسألة الرابعة: شهادة أن لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد:

دلت لا إله إلا الله على التوحيد لكونها قائمة على الحصر والذي هو النفي والإثبات وهذا هو التوحيد فلا يسمى الأمر توحيدا إلا إذا كان فيه أسلوب الحصر النفي والإثبات، نفي الألوهية والعبادة عن كل من سوى الله وإثباتها لله وحدة وحصرها عليه.

هذا وقد دلت كلمة التوحيد لا إله إلا الله على توحيد الألوهية بالمطابقة وعلى توحيد الربوبية والصفات بالتضمن والملازمة.

المسألة الخامسة: أركان لا إله إلا الله:

لها ركنان: النفي والإثبات:

الركن الأول: النفي في (لا إله) : نفي الألوهية والعبادة (الكفر بالطاغوت):

والمقصود به نفي كل إله ومعبود عُبد في هذه الدنيا، والنفي ليس متعلق بالوجود والماهية والكونية وإنما النفي متعلق بالأحقية والاستحقاق، أي أن الله تبارك وتعالى لا ينفي وجود آلهة تعبد وإنما ينفي وجود آلهة تستحق العبادة، أعني أن المنفي المعبودات بحق فلا توجد، أما التي تعبد بظلم وضلال وباطل فكثيرة ولذلك سمى الله الأصنام آلهة والهوى إله لكونه يعبد ولكن يعبد بغير وجه حق.

فجاءت هذه الكلمة لتنفي كل هذه المعبودات، ولتحرّم صرف أي عبادة لأي مخلوق من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والأصنام والأوثان والأحجار والأشجار والنار والملائكة والجن والحيوان والأنبياء والأولياء والدنيا والهوى والنفس وغيرها مما يعبده الخلق، فيجب أن تكون عبادته لله وحده ويجب أن يَكْفُرَ بألوهية وعبادة كل ما سوى الله ويُكفّرَ من يعبده ويقاتله.

وهذا الركن لا يَدْخلُ المرءُ الإسلامَ إلا به ولا تُقبلُ كلمة لا إله إلا الله إلا بالإتيان به، فكم من الناس ممن يدعي الإسلام ويعبد الله ولا يعبد غيره لكن لا ينفي العبادة عن غير الله ولا يكفر بعبادة غير الله ولا يتبرأ من الآلهة والمعبودات التي تعبد من غير الله ولا يكفّر أصحابها، فتراه يرى عباد القبور فلا يتبرأ منهم ويرى من يذبح للجن وللقبور ولا يكفرهم وتراه يرى من يستغيث بالرسول ﷺ الأموات ولا يكفر به وبعبادته ولا يعاديه، فهذا لا يدخل صاحبه في الإسلام ويعتبر ناقض لأحد ركني لا إله إلا الله.

وإذا أردت أن تفهم هذا الأصل فتدبر قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٥٦ .

فانظر كيف قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله.

ويا لله كم من جاهل يجهل هذا الأصل من مشركي زماننا من عباد القبور وممن يوالي الكافرين ويركن إليهم ويرتمي في أحضانهم ولا يعاديهم ولا يتبرأ منهم كذا من يشرّع القوانين ويحكم بغير ما أنزل الله، ولم يعلم هؤلاء المرجئة الجهلة والقبورية المشركة والفئام الضالة أن كفار العرب كانوا يعبدون الله بل وبعضهم لم يكن يعبد الأصنام وإنما كان كفره وشركه عدم كفره بالمعبودات والآلهة والبراءة منها ومن أصحابها، وتأمل إن شئت قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ ص: ٥ . وانظر إلى كلام قريش للرسول ﷺ نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة، وطلبهم منه أن لا يذكر آلهتهم بسوء ولا يسفه أحلامهم ولا يشتم آلهتهم ولا يكفر آباءهم، أوَ لم يكن الرسول ﷺ يتحنث في غار حراء حتى وصل عمره ٤٠ سنة لا يعبد الأوثان ولم يكن أحد يعاديه ويؤذيه ولمّا أمر بهجر الأصنام والكفر بها وهجر الرجز وعداوتها وعداوة أصحابها بودر بالعداء منهم وقاتلوه، فدين التوحيد لا يقوم إلا بالبراءة من المشركين والمرتدين وتكفيرهم ومن ظن أن الإسلام مجرد دين سلام ووئام فليس معه من الإسلام شيء.

ثم انظر إلى جواب الرسول ﷺ حين سأله عمرو بن عَبَسَة بماذا بعثت فقال ﷺ :" بالكفر بالأوثان وصلة الأرحام " وفي رواية: كسر الأوثان، وهو أشد من مجرد الكفر بها لأنه كفر مع جهاد . وعباد السلام الأعوج في زماننا لا يريدون إلا الثاني دون الأول.

ثم ألا ترى أن الله أثنى على إبراهيم وأمرنا بالاقتداء به لما كفر بالمعبودات، وكفّر أصحابها كما في قوله تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ الممتحنة: ٤ .

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ البقرة: ١٣٠.

وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ الشعراء: ٧٥ـ٧٧. فتبرأ من كل معبود عبده قومه إلا الله عز وجل.

واعلم أخي المبارك أني ما سقت هذا الكلام وقررته بالبيان إلا لكثرة المشاغبين حول هذا الأصل من مرجئة هذا الزمان وأذناب عباد الأوثان ممن يدعي السلفية والتوحيد، والتوحيد يلعنه، فهم يريدون دينا لا موالاة فيه ولا براء ولا تكفير ولا جهاد، وأن من قال لا إله إلا الله لا يكفر مهما فعل ولو أشرك وعبد القبور والأموات ولو حكم بالقوانين الوضعية ولو والى المشركين وظاهرهم على المسلمين، ولم يعلموا أن كل واحدة من هذه وغيرها تنقض لا إله إلا الله وتبطل معناها وتفسد مدلولها ولا تنفع قائلها.

الركن الثاني: الإثبات (إلا الله) إثبات الألوهية والعبادة لله وحده (الإيمان بالله):

والمقصود بهذا الركن إثبات العبادة بجميع صورها وأفرادها وأركانها لله وحده المعبود بحق لا شريك له، والقيام بواجبه سبحانه من عبادته وحكمه، والانقياد لأمره، ومحبته وولايته وعدم الاستكبار والاستنكاف عن عبادته ومن الأدلة عليه:

﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ الصافات: ٣٥.

﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ غافر: ٦٠.

المسألة السادسة: قيام كلمة لا إله إلا الله على ثلاث مقامات:

والنسك والتعبد ويدخل فيه معظم العبادات القلبية والبدنية، والحكم، والولاء والبراء.

المسألة السابعة: مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله:

قولها باللسان والعمل بمقتضاها والالتزام بما دلت عليه من عبادة الله وحده وطاعته والإذعان لأمره والانقياد لشرعه والتسليم لرسوله ﷺ والكفر بعبادة كل ما سواه وترك كل العبادات المبتدعة وعدم

صرف شيء من العبادات لغير الله والبراءة من المشركين والكفار ومعبوداتهم وكفرهم.

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب: فاللهَ الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم وأصله وأسه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله واعرفوا معناها وأحبوها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوا من أحبهم.

المسألة الثامنة: كلمة التوحيد قول واعتقاد وعمل:

لما كانت لا إله إلا الله من التوحيد والتوحيد من الإيمان، والإيمان قول وعمل، كانت لا إله إلا الله تقوم على ثلاثة أركان.

الأول: قولها باللسان والنطق بها وهذا الذي يدخل بها المرء في الإسلام ويعصم به الدم والمال للحديث: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ".

ولا يعذر أحد عن التكلم بها إلا الأخرس، والأعجمي يُلقن بها ويُفهم معناها.

الثاني: اعتقاد معناها بالقلب بتصديقها ومحبتها وقبولها واليقين بها.

ومن اختلَّ فيه هذا الشرط فهو المنافق الذي يقولها بلسانه ويكفر بها بقلبه بأي نوع من أنواع الكفر المتعلق بالقلب من التكذيب أو الشك أو البغض ونحوه.

الثالث: العمل بها والالتزام بمقتضاها وأركانها وعدم ارتكاب فعل يخل بها أو ينقضها بل عليه أن ينقاد لها ويخلص فيها.

هذا وقد استشكل البعض حديث:" من قال لا إله إلا الله دخل الجنة " مع كونها قول وعمل وقد جعل المرجئة هذا الحديث عمدتهم في باطلهم الذي أصلوه وهو أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة مهما عمل فلا يكفر ولا يخلد في النار وقد أجبنا عليه في ردنا على المرجئة والأشاعرة.

المسألة التاسعة: هل لفظ الجلالة (الله) مشتق أو جامد:

القول الأول: أن اسم الجلالة (الله) عَلَمٌ على الذات المقدسة موضوع له تبارك وتعالى فهو لفظ جامد وليس مشتق.

القول الثاني: أنه مشتق من الإله المعبود.

وقال بهذا سيبويه والخليل والكسائي والفراء ونصره ابن القيم في البدائع وهذا ما يفهم من كلام ابن عباس رضي الله عنه قال: " الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين " رواه عنه ابن جرير.

المسألة العاشرة: إعراب كلمة لا إله إلا الله:

لا نافية للجنس واسمها مبني معها على الفتح وهو (إله) والخبر محذوف تقديره بحق، وإلا أداة استثناء ولفظ الجلالة (الله) مستثنى وهو مرفوع والعامل فيه هو العامل في الخبر لأنه بدل منه أو عطف أو صفة والعامل لا النافية للجنس.

المسألة الحادية عشرة: متى تنفع كلمة لا إله إلا الله صاحبها:

لا تنفع هذه الكلمة صاحبها وقائلها إلا إذا قالها بلسانه واعتقد معناها بقلبه وعمل بمقتضاها بجوارحه ولا يكون ذلك إلا إذا أتى بثلاثة أمور:

١ـ الإتيان بأركانها: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

٢ـ العمل بشروطها السبعة.

٣ـ عدم الإخلال بها ولا الإتيان بناقض من نواقضها.

وهذه القاعدة النافعة تخص المسلم الملتزم بها، أما الكافر فيدخل في الإسلام بمجرد قولها ثم إذا دخل في الإسلام والتزم به وعرّف بأركانه وقواعده طولب بذلك بأن لا ينقضها وأن يتقيد بشروطها وأركانها فإن التزم وإلا اعتبر مرتدا كافرا.

المسألة الثانية عشرة: شروط لا إله إلا الله:

لهذه الكلمة سبعة شروط لا تصح شهادة أحد وتوحيده إلا بها وهي: العلم واليقين والصدق والإخلاص والمحبة والقبول والانقياد.

المسألة الثالثة عشرة: نواقضها:

لـ لا إله إلا الله نواقض كثيرة تبطلها وقد عدّ منها الإمام محمد بن عبد الوهاب عشرة نواقض وهي: الشرك ـ اتخاذ الوسائط والشفعاء ـ بغضها ببغض الله أو رسوله أو دينه أو شيء مما جاء به ـ الاستهزاء بها أو بالدين ـ الحكم بغير ما أنزل الله باعتقاد أن هدي غير الرسول ﷺ أفضل من هديه وحكمه ـ من ظن أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ ـ السحر ـ مظاهرة الكفار على المسلمين ـ عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم ـ الإعراض عن الدين وعدم تعلمه والعمل به.

المسألة الرابعة عشرة: دلالات لا إله إلا الله على الدين:

تدل كلمة التوحيد على التوحيد مطابقة.

وتدل على الإيمان بالله والربوبية والصفات والولاء والبراء تضمنا.

والمقصود أن لا إله إلا الله تدل على الدين كله بأحد الدلالات الثلاث.

وتدل على بقية أركان الإيمان الخمسة وأركان الإسلام الأربعة الباقية ملازمة.

المسألة الخامسة عشرة: فضائل لا إله إلا الله وخصائصها ومكانة التوحيد وأهميته:

كلمة التوحيد يدخل المرء بها في الإسلام ويدخل بها الجنة وينجو من النار ويُحقن دمه وعليها قامت السموات والأرض وبها يحصل الأمن والسعادة والرضا في الدنيا والآخرة.

وهي أول واجب على العبد وهي الغاية من خلق الخلق قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ الذاريات: ٥٦.

وهي دعوة جميع الأنبياء والرسل يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ الأنبياء ٢٥.

قال ابن القيم رحمه الله في الداء والدواء عن كلمة التوحيد:" هي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات وفُطر عليها جميع المخلوقات وعليها أسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على جميع العباد وهي الكلمة العاصمة لهم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر والنار وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به والحبل الذي لا يصل إلى الله إلا من تعلق بسببه وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد وبها انفصلت دار الكفر من دار الإسلام وتميزت دار النعيم من دار الشقاء ".

وقال في طريق الهجرتين: اعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها فليس لهذه الحاجة نظير تقاس به فلا صلاح للعبد إلا بإلهه ولا تطمئن الدنيا والقلوب إلا بذكره " إلى آخر كلامه.

هذا وقد أفرد ابن عبد الهادي رسالة في فضائل كلمة التوحيد وجمع لها مائتي فائدة.

كذلك أفرد الإمام محمد بن عبد الوهاب لفضل التوحيد بابا في كتاب التوحيد.

ومما يبين أهمية التوحيد أن القرآن جاء كله دعوة إليه ولتحقيقه.

المسألة السادسة عشرة: غربة التوحيد وأهله في زماننا:

ما أشدَّ غربة التوحيد في زماننا وما أقلَّ أهله أرباب الجهاد لأجله بالسنان واللسان والبيان، وما أعظمَ الكثرةِ المُخالفةِ له.

فيا لله كم من وثن يعبد، وقبرٍ ومشهدٍ يعظم وله يسجد، وكم من مخلوق ضعيف يُدعى من غير الله وإليه يُصمد، وكم من طاغوت يُتحاكم إليه وبقانونه وتشريعه الكفري يُحمد، وكم من مشركٍ يُوالى ويُظاهر ويُقصد، وكم من موحد مجاهد يحارب ويعان عليه ويعضد، ولا حول ولا قوة إلا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد، اللهم اجعلنا من أهل التوحيد واجنبنا وذرياتنا الشركَ إلى الأبد.

المسألة السابعة عشرة: تفسير لا إله إلا الله عند المخالفين:

١ـ معنى كلمة التوحيد عند المتكلمين من أشاعرة وماتريدية ومعتزلة ورافضة وغيرهم: [لا قادر على الاختراع إلا الله] [ولا رب إلا الله] وهم بذلك يفسرونها بالربوبية وبرجع ذلك لجهلهم بمعنى الإله الذي هو المعبود فيفسرونه بالخالق والمخترع والرب والقادر.

٢ـ معناها عند الفلاسفة: [لا مُتحيَر فيه إلا الله].

٣ـ معناها عند الحلولية والاتحادية وأصحاب الوحدة: [لا موجود إلا الله] فالله عندهم هو عين الوجود.

٤ـ معناها عند القبورية والصوفية: [لا إله في الوجود إلا الله].

ويعتبرون الإله والمعبود هو الذي يعتقد فيه أنه يخلق ويدبر ويؤثر، أما دعاء الأولياء والاستغاثة بهم وطلبهم فهذا ليس عبادة، كذلك القول بأن الأولياء لهم القدرة على النفع والتدبير من باب السبب لا التأثير والله أقدرهم على ذلك كرامة لهم هذا ليس عندهم من العبادة الشركية في شيء.

المسألة الثامنة عشرة: فصل في الكفر بالطاغوت أحد ركني لا إله إلا الله:

أولا: معنى الطاغوت:

في اللغة: مشتق من فعلوت وهي أحد الأوزان الدالة على المبالغة مثل جبروت وملكوت.

والطاغوت صيغة تستخدم للمؤنث والمذكر وتطلق على المفرد فجمعها طواغيت وكذا طاغوت، والطواغي جمع طاغية قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا** ﴾ الزمر: ١٧.

وشرعا: هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

وسمي طاغوتا لأنه طغى أي زاد عن حده وتجاوز الحد ومنه طغيان الماء ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾ الحاقة: ١١. الآية أي تجاوز حده وزاد.

ثانيا: ضوابط الطاغوت وصفاته:

من ادعى صفة من صفات الله الخاصة به سبحانه كالعبادة والألوهية والربوبية أو علم الغيب أو العلم الشامل أو التشريع والحكم أو القدرة التامة أو النفع والضر أو الكمال.

وليس كل كفر ولا كل كافر طاغوت فالطاغوت هو ما زاد عن الحد في الكفر والظلم وطغى وتجبر.

ثالثا: أقسام الطاغوت ورؤوسه وصوره وأنواعه:

وهو ثلاثة أقسام: طاغوت الإتباع وطاغوت العبادة وطاغوت الطاعة.

فكل ما عُبد من دون الله فهو طاغوت وكل ما أطيع من دونه فهو طاغوت وكل ما أتبع من دون الله فهو طاغوت.

قال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين معرفا الطاغوت بأنه:" كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ".

وعلى هذا التعريف فالطاغوت ثلاثة أقسام:

١ـ المعبود قال تعالى:

﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا** ﴾ الزمر: ١٧. ﴿ **وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ** ﴾ المائدة: ٦٠.

٢ـ المتبوع قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ** ﴾ البقرة: ٢٥٧. ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾ النساء: ٧٦. ﴿ **يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ** ﴾ النساء: ٥١.

٣ـ المطاع والمتحاكم إليه قال تعالى:﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ** ﴾ النساء: ٦٠.

رؤوس الطواغيت:

قال ابن سحمان:" طاغوت حكم وطاغوت عبادة وطاغوت طاعة ومتابعة ".

وجعل إمام الدعوة رؤوسها خمسة: الشيطان والمشرع والحاكم بغير ما أنزل الله ومدعي علم الغيب ومدعي الألوهية الداعي لعبادة نفسه أو من يرضى بذلك.

ومن صور الطواغيت: التعصب المذهبي والتقليد ورد النص لقول الشيخ وكذا المحاكم القانونية والتشريعات الكفرية والتحاكم للأعراف والسلوم القبلية وكذا الوطنية والقومية بجعلها أديان ومعبودات مطاعة يُوالى فيها ويُعادى.

أنواع الطواغيت:

١ـ الجماد مثل الأصنام والمحاكم القانونية والتلفاز وكل ما صد عن دين الله ولذلك سميت اللات والخَلَصَة طواغيت.

٢ـ الأحياء والعواقل من الشياطين والسحرة ومدعي استحقاق الألوهية أو علم الغيب.

٣ـ الأمور المعنوية فيسمى كل ما صد عن دين الله وعبادته طاغوتاً وقد سمى ابن القيم المجاز والتأويل طاغوتاً ومثلها في زماننا طاغوت المصلحة.

رابعا: أهمية الكفر بالطاغوت ومنزلته من الدين والإيمان:

أول ما افترض الله على عباده الكفر بالطاغوت وإلي ذلك دعت جميع الرسل كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت** ﴾ النحل: ٣٦.ويعتبر الكفر بالطاغوت الركن الأعظم في التوحيد إذ التوحيد لا يسمى توحيدا إذا لم يقم على النفي وهو الكفر

بالطاغوت، وإذا كان التوحيد لا يتحقق بدونه فإن الدين لا يصح ولا يقبل الإسلام إلا به، وقد نص العلماء على هذا الأصل وحكموا الإجماع عليه.

وقد قال سبحانه: ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ البقرة: ٢٥٦. والعروة الوثقى هي لا إله إلا الله. ومفهوم الآية أن من لا يكفر بالطاغوت لا يعتبر مستمسكا بلا إله إلا الله ولا هو ممتثل لها.

ومن لم يكفر بالطاغوت فهو كافر غير مسلم ووجه ذلك أن الكفر بالطاغوت ركن في التوحيد لا يقبل ولا يصح إلا به.

فلا يجتمع إيمان بالله مع إيمان بالطاغوت، لأن الرب عز وجل هو الإله الحق يجب الإيمان به ومن الإيمان به أن يكفر بكل إله سواه ومن آمن بإله غيره واعترف بالطاغوت وآمن به فقد كفر بالله ولا محالة.

فالقاعدة أنه لا يجتمع إيمان بالله مع إيمان بالطاغوت فإذا آمن بأحدهما كفر بالآخر.

وتارك الكفر بالطاغوت على درجتين:

تارك الأصل وهذا كافر. وتارك الكمال وهو عاصي.

ويكون الكمال بالمبالغة في اعتزال الطاغوت والتفاني في عداوته ومجانبته قدر الاستطاعة.

خامسا: علاقة الكفر بالطاغوت بأركان لا إله إلا الله وشروطها ونواقضها:

الكفر بالطاغوت هو أحد ركني لا إله إلا الله، فهو يقابل بالنفي في لا إله إلا الله:

فلا إله هي بمعنى الكفر بالطاغوت، والكفر بالطاغوت هو أحد ركني التوحيد وهو ركن النفي فيها والمتضمن (لا إله) الذي معناه نفي الألوهية بجميع أفرادها وخصائصها عن كل أحد من الحكم والتنسك والتقرب والدعاء والتشريع والمحبة والموالاة وغيرها كل ذلك يجب نفيه والبراءة منه إذا كان في غير الله، والكفر به.

فائدة: تقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله:

جاءت نصوص بتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله كقوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ** ﴾ البقرة: ٢٥٦. وجاءت آيات بتقديم الإيمان غلى الكفر بالطاغوت قال تعالى: ﴿ **أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ النحل: ٣٦.

والكفر بالطاغوت مقدم على الإيمان بالله وهو بأن يكفر بكل إله سوى الله عز وجل ثم يبدأ بإثبات الألوهية لله عز وجل، وهذا مقتضى لا إله إلا الله والبدء بالنفي قبل الإثبات من وسائل الحصر. وقدم الله عز وجل الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله لأهميته وحتى لا يظن أحد أنه سيدخل في الدين أو يُقبل منه

إيمانه وإسلامه وهو لم يحقق الكفر بالطاغوت، وكذا هو من باب التحلية بعد التخلية، إذ قبل التوحيد لا بد من إزالة الشرك والتطهر من شوائبه وأدرانه.

ويدخل الكفر بالطاغوت ضمنا في شروط لا إله إلا الله من جهات:

من جهة المحبة لله وبغض الطاغوت وعداوته.

ومن جهة الإخلاص القائم على التوحيد ونفي الألوهية الباطلة والطاغوت. ومن جهة الانقياد

علاقة الكفر بالطاغوت بالنواقض:

يتعلق بالشرك عموما من جهة عبادة الطاغوت وإقراره وهذا من الشرك، ويتعلق بناقض الامتناع عن تكفير المشركين وتصحيح مذهبهم فإن من لم يكفر المشركين يعتبر غير كافر بالطاغوت، ويتعلق بموالاة الكفار ومظاهرتهم إذ أن هذا من أعظم صور الإيمان بالطاغوت وعدم الكفر به والبراءة منه.

وعموما فالإيمان بالطاغوت يعتبر من نواقض لا إله إلا الله الهادم لأركانها وشروطها.

سادسا: الكفر بالطاغوت يكون بالقول والاعتقاد والعمل:

كما أن الإيمان قول وعمل كذلك الكفر بنوعيه المشروع والممنوع يكون قولا وعملا.

فالإيمان المشروع: هو الإيمان بالله وقدره وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر.

والكفر الممنوع: هو الكفر بالله وبرسله وكل ما أمر الله أن نؤمن به.

والإيمان الممنوع: هو الإيمان بالطاغوت.

والكفر المشروع: هو الكفر بالطاغوت:

❁ الكفر بالطاغوت المتعلق بالقلب والاعتقاد يكون ببغضه وكرهه.

❀ والكفر بالطاغوت المتعلق بقول اللسان يكون:

بشتمه وسبه وتكفيره وتبيين ضلاله وكفره ودعوة الناس للكفر به وتنفير الناس عنه. وتعليم الناس ذلك.

﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** ﴾ الكافرون: ١-٢.

❀ والكفر بالطاغوت المتعلق بالعمل والجوارح يحصل:

بمجانبته ومفارقته واعتزاله واجتنابه وعداوته وعدم الإقامة معه في مجالسه بل والهجرة من عنده، وجهاده والسعي في إزالته والقضاء عليه وإهانته وتبيين فقره وعوره فبهذا كله تتحقق صفة الاجتناب والواردة في وصف المؤمنين ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ** ﴾ الزمر: ١٧.

وصفة الكفر بالطاغوت تقتضي ستره وتغطيته وتكون بالبراءة منه واجتنابه.

سابعا: صفة الكفر بالطاغوت:

هو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله عز وجل وتتركها وتبغضها وتكفّر أهلها وتعاديهم.

وقد بين الإمام محمد كيفية الكفر بالطاغوت في خمسة أمور:

اعتقاد بطلانها وتركها وبغضها وتكفير أهلها ومعاداتهم.

مقتضيات الكفر بالطاغوت:

١- الجهاد والقتال وقتل كل طاغوت وهذا من أعظم معاني الكفر بالطاغوت وما شُرع القتال إلا لهذا الأصل ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾ الأنفال: ٣٩. والفتنة الشرك والكفر.

٢- الولاء والبراء.

٣- الهجرة من دار الطواغيت والكفرة وعدم الإقامة عندهم ولا السفر إليهم، وهجرهم ومجانبتهم واعتزالهم ومفارقتهم وعدم مخالطتهم.

٤- تكفير الطواغيت والمرتدين والمشركين.

٥- التحذير منها ودعوة الناس إلى الكفر بها.

٦- تكسيرها وهدمها وإزالتها وقد كسر الرسول ﷺ الأصنام، ولم يستبق طاغوتا لا حيا ولا جماداً، فأمر بتكسير الأصنام وقتل طواغيت الكفر وأئمته وأمر بهدم القباب وقطع التمائم وكل هذا من الكفر بالطاغوت.

وهذه الأمور من لوازم الكفر بالطاغوت ومقتضياته وهي أيضا مما يتضمنه الكفر بالطاغوت.

ثامنا: المخالفون في الكفر بالطاغوت:

١ـ المؤمن بالطاغوت.

٢ـ العابد للطاغوت.

والفرق بين الإيمان بالطاغوت وعبادته: أن عبادة الطاغوت تتضمن الإيمان به فهي شاملة له فمن عبد الطاغوت فقد آمن به ولا بد. أما المؤمن بالطاغوت فليس بالضرورة أن يكون يعبده فقد يكون مقرا به أو لا يكفره أو لا يتبرأ منه أو لا يتعرض له أو لا يبغضه أو لا يعاديه وكل هؤلاء يصدق عليهم مسمى الإيمان بالطاغوت، فمجرد ترك عداوة الطاغوت والبراءة منه يستوجب أن يكون صاحبه مؤمنا به

[أي بالطاغوت].

٣ـ المخالط للطاغوت الغير معادي له ولا المجانب، والمجابه المفاصل له.

٤ـ المدافع عن الطاغوت والمجاهد عنه.

٥ـ المحارب لمن يكفر بالطاغوت مع اعترافه بأن هذا طاغوت ولكن ينهى عن معاداته وتكفيره والكفر به وهذا من الكفر الصراح وهذا أخطر الأنواع وأشدها ضرراً على التوحيد وذلك لتلبيسه على الناس كما بين ذلك أئمة الدعوة.

٦ـ المنكرون لعقيدة الكفر بالطاغوت القائلين كذبا وزورا: إن الله لم يتعبدنا بتكفير الناس.

المسألة التاسعة عشرة: فصل في التوحيد:

مسألة: تعريف التوحيد في اللغة:

❁ التوحيد: مصدر وحّد يوحدُ توحيداً، ومعناه الإفراد والتمييز والاختصاص وما لا ثاني له ولا مثيل.

❁ والواحد ضد الشريك والتثنية والجمع، فالواحد هو الذي لا يقبل الانقسام ولا يثنى فليس له ثاني ولا شريك له ولا مثيل ولا نظير.

والشرك ضد التوحيد وليس التشبيه، ووجه ذلك أن التشبيه داخل في الشرك والشرك قسمان التعطيل والتشبيه وكلاهما ينقضان التوحيد. والشرك لا يحصيه إلا الله كما قال ابن القيم.

❁ والتوحيد على وزن تفعيل وهي للنسبة لا للجعل:

أي نسبة الوحدانية واستحقاق العبادة والربوبية لله الواحد الأحد مثل التصديق والتكذيب نسبة الصدق والكذب للمصدق والمكذب.

❁ انتقد بعض أهل العلم كالسفاريني في لوامع الأنوار عبارة أئمة اللغة بكون التوحيد هو جعل الشيء واحدا لأن الله عز وجل وحدانيته من لوازم ذاته وصفة من صفاته القائمة به وليس بجعل جاعل.

والصحيح أن مقصودهم بعبارة جعل الشيء واحدا فعل المكلف الذي يوحد الله لا يشرك به ففلان قام بتوحيد الله وفلان قام بالشرك أي نسبة الشريك مع الله وإثبات المستحق للعبادة.

❁ التوحيد شرعا: هو إفراد الله بكل ما يستحقه وما يخصه.

وهو إفراد الله بالألوهية (عبادته) والربوبية والأسماء والصفات.

مسألة: مرادفات لفظ التوحيد:

الإفراد لأن كلاً منهما قائم على أسلوب الحصر الذي يجمع الإثبات والنفي.

ومن المعاني المقاربة للتوحيد الإخلاص والتجريد.

مسألة: المصطلحات المفسرة والمرادفة للتوحيد:

الشهادتان ـ الإيمان بالله ـ التوحيد ـ العبادة ـ الإسلام.

مسألة: ورود التوحيد في النصوص:

قال الرسول ﷺ لعمر رضي الله عنه :" أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك " رواه أحمد وصححه الألباني.

وحديث جابر رضي الله عنه في صفة حجة الوداع وفيه :" فأهلَّ بالتوحيد لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك.." رواه مسلم.

مسألة: أركان التوحيد:

التوحيد قائم على ركنين النفي والإثبات:

الركن الأول النفي:

هو نفي العبادة واستحقاقها ونفي الكمال والربوبية والألوهية والتعظيم والإجلال عن كل ما سوى الله والكفر بعبادة مَنْ دونه، والخلوص من الشرك والبراءة من أهله.

الركن الثاني الإثبات:

إثبات العبادة والدين والألوهية والربوبية والكمال لله وحده.

وهذان الركنان هما ركنا شهادة أن لا إله إلا الله.

وليُعلم أن ذلك مشتق من أصل اللغة فالتوحيد في أصل اللغة لا يطلق إلا على مصطلح يقوم على النفي والإثبات ومثله الإفراد والوتر وأسلوب الحصر.

مسألة: التوحيد أصل وكمال:

أصل التوحيد ومطلق التوحيد:

وهذا المعتبر بدخول الجنة والمنجي من النار والفاصل بين المسلم والكافر المشرك وهو مقتضى الشهادتين والإيمان بالله.

كمال التوحيد المطلق:

وهذا يتفاضل الناس فيه ويزيد وينقص في قلب كل مؤمن وتاركه يعتبر موحدا ولا يعتبر كافرا وهو على درجات منه الواجب الذي يعاقب مخالِفُه ومنه المستحب الذي يثاب فاعله ولا يعاقب المقصر فيه.

مسألة: قوادح التوحيد ونواقضه:

القسم الأول:

ما ينقض التوحيد من أصله ويزيله بالكلية، وهو الشرك الأكبر والكفر الأكبر.

القسم الثاني:

ما ينقص التوحيد ويقدح في كماله، وهو الشرك الأصغر وجميع المعاصي والبدع.

مسألة: يدخل التوحيد في أركان الإسلام وأركان الإيمان

مسألة: أقسام التوحيد:

ينقسم التوحيد إلى أقسام باعتبارات:

❁ التقسيم الأول: ينقسم من حيث آلاته وأركانه إلى عملي واعتقادي وقولي.

وهذا التقسيم راجع لأفعال العباد.

❁ التقسيم الثاني: ينقسم حيث أهميته إلى توحيد كمال وتوحيد أصل.

❁ التقسيم الثالث: أقسامه من حيث من يقوم به ويتعلق به.

توحيد متعلق بالله وهو الخاص بصفاته تعالى وأفعاله ووحدانيته القائمة به.

توحيد متعلق فأفعال المخلوق وهو أن يعبد الله وحده.

❁ التقسيم الرابع: وينقسم من حيث من يتصف به:

١ـ توحيد المرسِل: وهو الله تعالى، وتوحيده يكون في ألوهيته وذلك بعبادته وحده، وفي كماله وأسمائه وصفاته وفي ربوبيته وأفعاله، وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

٢ـ توحيد المُرسَل: وهو الرسول ﷺ ، ويسمى توحيد المتابعة.

وذلك باتباع الرسول ﷺ وطاعته وتحكيمه وتقديم أمره وتصديقه ومحبته، وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله.

❁ التقسيم الخامس: أقسامه من حيث نوعه وجنسه:

توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

والبعض يسمي الثاني والثالث بالتوحيد العلمي الخبري أو المعرفة والإثبات.

والبعض يضيف على الأنواع الثلاثة توحيداً رابعاً هو توحيد المتابعة.

والبعض يضيف على الأنواع الأربعة نوعاً خامساً وهو توحيد الحكم والهدي ويسمى بتوحيد الحاكمية.

وتوحيد الحاكمية في الحقيقة ليس قسما مستقلا لا يدخل في أنواع التوحيد السابقة وإنما هو داخل فيها.

لكن الذي حمل القائلين بإفراده بنوع مستقل أمور منها:

أنه داخل في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الصفات والأسماء وليس كغيره كتوحيد الدعاء والخوف وتوحيد الخالقية داخل في قسم واحد من التوحيد فقط بل هو داخل فيهم جميعا فهو توحيد ذو شعب.

فأما وجه دخوله في توحيد الأسماء والصفات فلأن من أسماء الله الحكم والحكيم والحاكم ومن صفاته الحكم.

وأما دخوله في توحيد الربوبية فلأن الحكم والتشريع والتحليل والتحريم والأمر من أفعال ربوبيته.

وأما دخوله في الألوهية فمن جهة التحاكم إلى أمره وشرعه وحكمه وهذه عبادة من العبد يحبها الله ويأمر بها.

وإفراده لا يعني إنكار أنواع التوحيد الأخرى ولا تجاهلها، والتنصيص عليه وتخصيصه أمر راجع لكثرة الشرك فيه ومثله إفراد العلماء الشرك في الدعوة وإطلاق ابن تيمية توحيد السؤال والطلب والتوكل وتوحيد الخالقية والمالكية.

مسألة: الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية:

١ـ أن الربوبية متعلقة بأفعال الرب عز وجل مثل الخلق والإحياء فهي فعله وصفته والألوهية متعلقة بأفعال المخلوق كالخوف والسجود فهي فعل العبد وصفته.

٢ـ أن توحيد الألوهية متضمن للربوبية وتوحيد الربوبية مستلزم للألوهية وليس متضمن لها.

٣ـ أن توحيد الربوبية متعلق بالاعتقاد والقول والألوهية متعلق بالعمل عمل القلب والجوارح.

٤ـ أن الربوبية توحيدها معرفة وإثبات والألوهية إرادة وطلب وقصد.

٥ـ أن الربوبية متعلقة بالأمور الكونية القدرية كالخلق والتدبير والألوهية متعلقة بالشرع والأمر والنهي والمحبة والرضا.

٦ـ أن الربوبية مشتقة من الرب وهو السيد المربي المتصرف والألوهية مشتقة من اسم الإله وهو المعبود.

٧ـ أن توحيد الربوبية متضمن للإيمان بالله وأنه رب كل شيء وخالقه ومليكه والمتصرف فيه وتوحيد الألوهية متضمن لعبادة الله وحده لا شريك له ونبذ كل ما سواه.

٨ـ أن توحيد الربوبية أقرَّ به المشركون غالبا، وأما الألوهية فوقعوا في الشرك فيه وأنكروا توحيد الله به.

٩ـ أن توحيد الربوبية لا يَدخُلُ من آمن به في الإسلام بعكس توحيد الألوهية فإن من آمن به يدخل في الإسلام.

١٠ـ أن الألوهية والربوبية من الألفاظ التي إذا اجتمعت في اللفظ افترقت في المعنى وإذا افترقت اجتمعت.

١١ـ أن الربوبية دليل على الألوهية والألوهية مدلول للربوبية.

المسألة العشرون: توحيد الربوبية:

مسألة: تعريف الربوبية:

مشتقة من لفظ الرب وهو الله عزَّ وجلَّ.

والمراد بها الاتصاف بصفات الخلق والملك والتدبير وقيام أفعال الرب التي لا تنبغي لغيره ولا تصلح لمربوب مخلوق مملوك مُدبَّر.

قال الأزهري في تهذيب اللغة:" قال ابن الأنباري: الرب يطلق على ثلاثة معاني:

المالك والسيد المطاع والمصلح ".

وعلى ما تقدم فالربوبية لا تخرج عن ثلاثة معاني:

الأول: المالك والصاحب.

الثاني: السيد المطاع والآمر والحاكم والمشرع.

الثالث: المصلح المربي، الراعي، المدبر، الخالق، القائم على غيره، والمتصرف فيه.

قال الراغب:" الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام ".

مسألة: علاقة أسماء الله وصفاته وافعاله بربوبيته:

أسماء الله وصفاته وأفعاله تعالى من الربوبية كما أن الربوبية وأفعالها من صفات الله.

مسألة: قيام الربوبية وأفعال الرب على ثلاثة أفعال:

الملك والخلق والتدبير ويدخل فيها معظم أفعال الله عزّ وجلَّ إذ لم يكن جميعها بما فيها الخلق.

وإن مما يدخل في التدبير: الأمر والنهي والحكم والتشريع والقضاء والقدر وإرسال الرسل والبعث والحساب.

مسألة: أنواع الربوبية:

١- الربوبية العامة: لجميع الخلق وهي المتضمنة لخلقهم ورزقهم وهدايتهم.

٢- الربوبية الخاصة بالمؤمنين: وتكون بتوفيق الله لهم وإعانتهم على طاعته.

مسألة: ما تتضمنه الربوبية:

١- وجود الله عزّ وجلَّ وكمال حياته وقيُّوميته.

٢- أفعاله القائمة على الخلق والتدبير أو الإعداد والإمداد والإعدام وملكه لهم.

٣- أسماءه وصفاته وكماله وجلاله وجماله وتفرده بالكمال وحده.

٤- قضاءه وقدره.

٥- شرعه وأمره وحكمه.

٦- إرساله الرسل من الملائكة والبشر وإنزال الكتب.

٧- بعثه لخلقه بعد إماتتهم وحسابهم وإعداد جزائه لهم من ثواب وعقاب وجنة ونار.

هذه أركان الربوبية السبعة والتي لا يتم إيمان العبد ودخوله الجنة إلا بإيمانه الحق بها.

مسألة: لوازم الإيمان بالربوبية:

١ـ توحيد الله في ألوهيته وعبادته ولذلك كثر الاستدلال على المشركين في عبادة الله بربوبيته وخلقه لهم.

٢ـ موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله فهي من أعظم لوازم ربوبية الله ومحبة كل ما يحبه الله عزّ وجلَّ.

٣ـ الحكم بما أنزل الله والتحاكم لشرعه وأمره.

٤ـ الإيمان بقضاء الله وقدره والصبر عليه والرضا به.

٥ـ طاعة الله وإجلاله وتعظيمه ومهابته والخوف منه وترك معاصيه.

٦ـ متابعة رسوله ﷺ والانقياد له والإذعان لأمره والاستسلام لشرعه والتسليم والرضا به وبدينه.

مسألة: إقرار المشركين الذين بعث فيهم الرسل بتوحيد الربوبية في الجملة:

ذكرنا الكلام في هذه المسألة في كتاب التوحيد وحقيقة الشرك وحققنا القول فيها وأنهم عند التحقيق كانوا مقرين بربوبية الله، بل ووحدوه في الجملة بالربوبية وأفردوا الله بها كما يدل لذلك قوله عز وجل حاكيا منهج المشركين وإقرارهم بربوبية الله وكونه خالقهم ورازقهم في مواضع منها:

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ الزخرف: ٨٧. ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لقمان: ٢٥. ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ الزخرف: ٩.

لكن لا يعني ذلك عدم وجود مخالفات وقوادح عندهم في الربوبية بل عندهم مخالفات من أعظمها:

١ـ اعتقاد بعضهم النفع والضر في الآلهة.

٢ـ إنكار الرسالة والإرسال وإنكار البعث وهي من أفعال الربوبية.

٣ـ التحليل والتحريم والتشريع والحكم بغير ما أنزل الله.

٤ـ عدم التزامهم بلازم الربوبية الذي هو توحيد الألوهية وعبادة الله وحده.

المسألة الحادية والعشرون: توحيد الألوهية:

توحيد الألوهية: هو إفراد الله بأفعال العباد أو بالعبادة.

مسألة: معنى الإله واشتقاقه:

الألوهية والإلهية مشتقة من الإله وهو المعبود المألوه، والألوهية والعبودية بمعنى واحد وهي من المترادفات.

لأن الإله مشتق من فِعْلِ: أَلِه يأْلَهُ إلاهَة وتألُهاً وألوهية بمعنى عَبَدَ يَعبدُ عبادةً وتعبداً.

ويدل لهذا المعنى قراءة ابن عباس: { وَيَذَرَكَ وَإلاهَتَكَ } بكسر الألف، أي يترك عبادتك.

وكل معبود يسمى إله سواء عُبِدَ بحق وعدل وهو الله وحده لا شريك له، أو عُبِدَ بظلم وهو كل معبود سوى الله عزّ وجلّ إذ عبادته تعتبر باطلة وظالمة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما :" اللّه : ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ".

قال الطبري: فالإله هو المعبود وهو الله سبحانه وهو على وزن فعال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب فالإله إذا على معنى ما رواه عن ابن عباس هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل الخلق، وألِهَ اللهَ فلانٌ إلاهةً أي عبده عبادة.

والألوهية صفة من صفات الربوبية.

والألوهية صفة للرب المعبود وللعبد المتأله العابد.

مسألة: أعمال الألوهية:

الخوف والخشية والرهبة والوجل والهيبة والإشفاق والخضوع والخشوع والإخبات والطمأنينة والسكينة والرجاء والرغبة والمحبة والرضا والتوكل والإخلاص والصدق والصبر واليقين والتعظيم والإجلال والأدب والتوبة والإنابة والإوابة والاستقامة والشكر والمدح والحمد والثناء والذكر والتسبيح والاستغفار والقيام والركوع والسجود والنذر والوفاء به والذبح والطواف والحلق والإحرام والحج والتبرك والصيام والصدقة والدعاء والاستعانة والاستعاذة والتوسل والالتجاء والحكم والتحاكم والطاعة والانقياد.

فهذه كلها عبادات وأعمال الألوهية فيجب أن يوحد الله بها ولا تصرف لغيره.

وكل فعل أو قول أو اعتقاد يؤديه العبد ويعبد الله به ويُقرِّبُ إليه مما أمر به ورضيه وأحبه يدخل فيه التوحيد والشرك ويعتبر من أفراد توحيد الألوهية.

مسألة: معنى الألوهية والعبادة عند المبتدعة:

عند المتكلمين المبتدعة أنها مشتقة من أله آله أي القادر على الاختراع منه سميت الآلات لأنها قادرة على الصنع والاختراع، وجعل أصحاب هذا القول الإله بمعنى الفاعل لا المفعول وفسروا الألوهية بالقدرة والخلق والاختراع والربوبية، وهذا القول والفهم الضال هو الذي أوقع القبورية المشركة من الصوفية المشركة والرافضة والمتكلمة من هذه الأمة في الشرك والعياذ بالله حتى جوّزوه وأنكروا على من ينكره.

قال ابن تيمية:" وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه المتكلمون حيث ظنوا أن الإلهية هي القدرة على الاختراع دون غيره وأن من أقرّ بأن الله هو القادر على الاختراع فقد شهد بأن لا إله إلا هو فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون ".

والعبادة عند المتكلمين والصوفية القبورية المشركة لا تسمي عبادة إلا مع اعتقاد النفع والضر في المعبود وإعطائه بعض صفات الربوبية كذلك لا يعتبرون الدعاء والاستغاثة من العبادة إنما العبادة فقط في السجود والصلاة.

والجهل بحقيقة توحيد الألوهية والعبادة والفهم الضال لها أعظم الأسباب التي أوقعت المشركين في الشرك فلم يعلموا حقيقة التوحيد ولا ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به، فظنوا أن اتخاذ الوسائط التي تشفع عنده من الدين الذي أمر به وأحبه وقاسوا الله عز وجل بملوك الأرض المحتاجين للشفاعة.

مسألة: أنواع الكفر في الألوهية:

إنكار ألوهية الله تعالى ـ ترك ألوهية الله فلا يعبده ـ إثبات الألوهية لغير الله تعالى ـ عبادة الله بما لم يشرعه ـ الإعراض عن عبادة الله فلا يذعن ولا ينقاد مع إقراره واعترافه بوجوب عبادته.

مسألة: تارك العبادة والألوهية كافر:

العبادة منها ما تركه كفر كالصلاة والتوحيد ومنها ما تركه محرم كالفروض والواجبات والأركان ومنها ما تركه لا يعاقب عليه كالمستحبات.

ومن ترك العبادة بالكلية فهو كافر كفر استكبار ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠. وداخرين أي صاغرين، والجزاء من جنس العمل، لأنهم لما أن أبوا واستكبروا ولم ينقادوا ويذلوا ويخضعوا لله، عاقبهم بالإذلال والصغار.

وتارك العبادة وقع في ناقض الإعراض عن الدين، وافتقد شرط الانقياد.

المسألة الثانية والعشرون: العبادة:

تعريفها:

العبادة في اللغة: هي الطاعة والذل والخضوع على وجه التعظيم.

قال الأزهري في التهذيب قال ابن الأنباري:" فلان عابد وهو الخاضع لربه المستسلم لقضائه المنقاد لأمره ".

العبادة قد ترادف لفظ الطاعة والإسلام والألوهية والدين والشريعة.

وتطلق العبادة على أمر الله ودينه وعلى فعل العبد لذلك الدين والأمر والشرع.

والعبادة في الشرع:

كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فائدة: كل العبادات القلبية أو البدنية يوجد فيها المعنى اللغوي القائم على الذل والخضوع والانقياد والتعظيم والانكسار لله والغاية منها إخضاع العبد لربه وتذليله لخالقه وانكساره لمولاه ولجوئه إليه وتعظيمه له.

مسألة: أنواع العبودية:

١ـ **العبودية العامة:** ويشترك فيها كل الخلق المؤمن والكافر وهذه عبودية الربوبية يدل لها قوله تعالى: ﴿ **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** ﴾ مريم: ٩٣.

٢ـ **العبودية الخاصة:** وهي المتعلقة بالمؤمنين وهي عبادة الألوهية.

ويدل لها قوله تعالى: ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾ الفرقان: ٦٣. وقوله: ﴿ **تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ** ﴾ ق: ٨.

مسألة: شروط صحة العبادة:

١ـ الإخلاص والتوحيد وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ البينة: ٥. ولا تقبل العبادة إلا بالتوحيد.

٢ـ المتابعة للرسول ﷺ وعبادة الله بما شرع وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﴿ **وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ الحشر: ٧.

ودليل هذين الشرطين: قوله سبحانه: ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ الكهف: ١١٠.

والعمل الصالح الصواب الحسن هو ما كان موافقاً لهدي الرسول ﷺ وأمره وشرعه.

٣ـ الكفر بعبادة ما سواه.

شهادةُ أنَّ محمداً رسولُ الله

المسألة الأولى: علاقتها بالإسلام والإيمان:

شهادة أن محمداً رسول الله داخلة في الركن الأول من أركان الإسلام وكذلك الركن الرابع من أركان الإيمان، الإيمان برسل الله.

والفرق بينهما أن المتعلق بالإسلام هو الإتباع والمتابعة للرسول ﷺ وتصديقه وطاعته وهذا متعلق بالعمل الظاهر والإسلام والانقياد والاستسلام.

أما المتعلق بالإيمان فهو التصديق بالرسل ومحبتهم وهذا متعلق بالباطن والقلب.

فمبحث الإتباع والطاعة للرسول ﷺ تبحث في التوحيد المتعلق بأركان الإسلام.

أما مبحث النبوات ومسائلها المتعلقة بالنبوات فتبحث في أبواب الإيمان والعقائد.

المسألة الثانية: اسم شهادة أن محمداً رسول الله:

يسمى بتوحيد المتابعة أي متابعة الرسول ﷺ .

المسألة الثالثة: وجه دخول شهادة أن محمداً رسول الله في التوحيد:

لأنها قائمة على توحيد الرسول ﷺ وإفراده بعدم إثبات رسول بعده ولا متبوع غيره أذ معناها لا أتبع ولا أطيع إلّا الرسول ﷺ وهذا هو حقيقة التوحيد.

المسألة الرابعة: معنى شهادة أن محمداً رسول الله ومقتضاها:

الإيمان الصادق بأن محمدا ﷺ رسول من رب العالمين وأنها تجب طاعته واتباعه وتصديقه ومحبته والرضا به وامتثال أمره وحكمه وعدم تقديم أحد عليه ولا تفضيل هدي غيره عليه، وأنه ﷺ آخر الرسل.

ومقتضاها:

١ـ تصديقه فيما أخبر.

٢ـ طاعته فيما أمر.

٣ـ واجتناب ما نهى عنه وزجر.

٤ـ وألا يُعبدَ اللهُ إلا بما شرعَهُ.

قلت ومن طاعته ﷺ الإيمان به ومحبته والقيام بحقوقه وأن لا يُبتدع في الدين والشرع وأن يعتقد أنه آخر الرسل وأنه لا تقدم طاعة أحد على طاعته ومعرفة سيرته وهديه ودينه وأن لا نغلوَ فيه ولا نرفعه فوق منزلته ﷺ .

المسألة الخامسة: مكانتها:

لا تصح لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله، ولذلك كانت الشهادتان لا إله إلا الله محمد رسول الله ركناً واحداً من أركان الإسلام وليست ركنين.

المسألة السادسة: أركان شهادة أن محمداً رسول الله:

لها ركنان: الإيمان بالرسالة والعبودية:

الركن الأول: الإيمان بأن محمداً عبد الله:

ويقتضي هذا الركن ألا نغلوَ في الرسول ﷺ ولا نطريه ولا نرفعه عن منزلته التي وصفه الله بها فلا يوصف بصفات الربوبية ولا يعطى حق العبادة ولا ينزَّل منزلة الإله المعبود، وقد وقع الكثير من هذه الأمة في نقض هذا الركن وهدمه فعبدوا الرسول ﷺ من دون الله ودعوه واستغاثوا به بعد موته.

الركن الثاني: الإيمان برسالته:

ويقتضي الإيمان بهذا الركن طاعة الرسول ﷺ والاقتداء به واتباعه وملازمته والانقياد لشرعه والإذعان لأمره والاستسلام لحكمه والتسليم لهديه وتصديق أخباره وتوقيره ومحبته.

المسألة السابعة: لوازمها وحقوقها:

١ـ الحكم بما أنزل الله والتحاكم لهديه ﷺ وسنته وعدم تفضيل هدي غيره على هديه ولا تقديم شيء عليه.

٢ـ موالاة أحبابه المؤمنين به ومعاداة الكافرين به الجاحدين لنبوته أو المعرضين عن سنته.

٣ـ الإتباع والاقتداء وعدم الابتداع فلا نعبد الله إلا بما شرعه لنا رسوله ﷺ .

٤ـ الجهاد في سبيل الله وقتال الكافرين به المنتقصين له ولهديه وقتل سابه عليه الصلاة والسلام.

٥ـ محبته ﷺ وتقديم حبه على محبة النفس والولد والمال.

٦ـ الرضا بكل ما شرع مع التسليم والقبول والانقياد.

٧ـ عدم الوقوع في الغلو فيه والشرك به.

٨ـ كثرة الصلاة والسلام عليه.

المسألة الثامنة: نواقضها:

١ـ عدم الإيمان به ﷺ وجحود رسالته ونبوته.

٢ـ عدم الاعتقاد أنه خاتم الأنبياء والرسل.

٣ـ تفضيل هدي غيره على هديه.

٤ـ عدم التحاكم لأمره وحكمه.

٥ـ عدم التسليم لحكمه وأمره وشرعه.

٦ـ الاستهزاء به أو الاستهزاء بأصحابه أو انتقاصه أو لمزه أو النيل من عرضه أو قذف والديه وأزواجه.

٧ـ بغضه أو بغض أصحابه أو شيء مما جاء به.

٨ـ الإعراض عن سنته.

٩ـ تكذيب أخباره.

١٠ـ اعتقاد وجود من هو أفضل منه كما تقوله الفلاسفة والصوفية الغلاة أو أن النبوة مكتسبة.

١١ـ من ظن أنه يسعه الخروج عن شريعته وسنته أو يوجد من يسعه ذلك.

١٢ـ عبادته والاستغاثة به وطلب الشفاعة منه وغير ذلك من الشرك الذي حصل فيه.

المسألة التاسعة: دخول شروط كلمة التوحيد فيها:

كما أن الشروط السبعة تشترط لصحة كلمة التوحيد كذلك هي تعتبر شروطا لصحة شهادة أنَّ محمداً رسول الله، إذ لا بد من العلم واليقين بها والصدق والإخلاص فيها وقبولها والانقياد لها.

الشرط الأول

العلم

فأولها العلم المنافي لضده   من الجهل إن الجهل ليس بمسعد
فلو كان ذا علم كثير وجاهلاً   بمدلولها يوما فبالجهل مرتدي

المسألة الأولى: تعريفه:

العلم في الأصل هو ما يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، ومن ذلك العلامة والعَلَم والمَعْلَم، والعِلْمُ هو الذي له أثر في المعرفة والاعتقاد، بخلاف الجهل والمجهول الذي ليس له أثر ولا علامة، وعَلِمَ بالشيء إذا شعر به ودرى.

ومن المعاني المقاربة للعلم:

المعرفة والدراية والشعور واليقين والصدق والاعتقاد والإدراك.

والعلم اصطلاحا: هو معرفة الشيء على حقيقته التي هو عليها.

المسألة الثانية: المراد بالعلم شرعا:

المراد بالعلم بلا إله إلا الله:

هو العلم الصحيح الموافق لحقيقة هذه الكلمة العظيمة والمطابق لمدلولها ومقتضاها ومعناها، علما ثابتا ينافي الجهل بها، والعلم بما أثبتته هذه الشهادة من استحقاق العبادة لله وحده، والعلم بما نفته من عدم استحقاق صرف العبادة لغيره.

فالمقصود بالعلم بلا إله إلا الله:

العلم الحقيقي التطبيقي القائم على التصديق العملي والمستلزم للعمل بها، وليس المقصود بالعلم بها العلم النظري المجرد عن العمل بها، فكم ممن يعلم التوحيد ويحفظ الكتب المؤلفة فيه بل ويعلّمه ويشرحه ويشرح النواقض والشروط ثم ينقضها ويخالفها بفعله ولسانه وقلبه ويُحْرَمُ بركة التوحيد ويصير علمه لها وبالاً عليه والعياذ بالله.

المسألة الثالثة: ضد العلم الجهل:

وهو عدم إدراك الشيء على الحقيقة، ومنه البسيط والمركب.

والمراد به هنا عدم العلم بحقيقة التوحيد ومعناه.

المسألة الرابعة: أدلة شرط العلم:

١ـ قال تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ محمد:١٩. فأمر الله رسوله ﷺ بالعلم بكلمة التوحيد.

٢ـ قال تعالى: ﴿ **إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ الزخرف:٨٦. وشهادة الحق هي كلمة التوحيد ولا تنفع من شهد بها إذا لم يكن عالما بها والشهادة قائمة على العلم.

٣ـ قال تعالى: ﴿ **وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ ابراهيم:٥٢.

٤ـ قال تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ آل عمران:١٨.

دلت هذه الآية على اشتراط العلم لكلمة التوحيد من أوجه:

أن الشاهد موصوف بالعلم وهو الله سبحانه ثم الملائكة ثم أولوا العلم مما يدل على وجوب العلم بهذه الشهادة القائمة على التوحيد.

ـ كذلك الشهادة تستلزم العلم بالمشهود عليه إذ لا تصح الشهادة مع الجهل.

وهناك أدلة عامة كقوله سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ فاطر: ٢٨. وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ الزمر: ٩ . وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴾ العنكبوت: ٤٣. وقوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة:٢٢.

وقوله تعالى: ﴿ **وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ سبأ: ٦.

ومن السنة:

١ـ عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال الرسول ﷺ :" من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة " رواه مسلم.

٢ـ وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إذا قال العبد أشهد أن لا إله إلا الله قال الله يا ملائكتي علم عبدي أن ليس له رب غيري أشهدكم أني قد غفرت له " . أخرجه ابن عساكر.

٣ـ وقال الرسول ﷺ :" من علم أن الله ربه وأني نبيه موقنا من قلبه حرمه الله على النار ". رواه ابن خزيمة والبزار .

٤ـ وعن عبادة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته، ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " رواه البخاري.

والشهادة تقتضي العلم بالمشهود والالتزام به.

المسألة الخامسة: أقوال أهل العلم في اشتراط العلم:

ـ قال عمر ﷺ :" إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ".

قلت تأمل كلامه وقارنه بحال المرجئة لما جهلت هذا الأصل العظيم ولم تفهم حقيقة المكفرات وأسباب الردة وقعت في تجويز الشرك وإباحته ولم تكفِّر به.

ـ قال الإمام الشافعي :" فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله " (١).

ـ قال ابن عيينة :" ما أنعم الله على عباده نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله " ذكره عنه ابن رجب في التوحيد.

قال الإمام البخاري في صحيحه:" باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ محمد: ١٩. فبدأ بالعلم ".

وقال العيني في عمدة القاري:" قال ابن المنير: أراد أن العلم شرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به ".

قال الوزير أبو المظفر في الإفصاح:" شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي أن يكون الشاهد عالما بأنه لا إله إلا الله ".

ـ وأفتى الونشريسي من علماء فاس في المعيار المعرب:" من نشأ بين أظهر المسلمين وهو ينطق بكلمة التوحيد إلا أنه لا يعرف المعنى الذي انطوت عليه الكلمة الكريمة لا يضرب له في التوحيد بسهم ولا ينسب إلى إيمان ولا إسلام بل هو من جملة الهالكين وزمرة الكافرين وحكمه حكم المجوس في جميع الأحكام إلا في القتل ".

ـ وقال الميلي في مظاهر الشرك:" مجرد النطق بالشهادتين لا يَطردُ عن ساحة القلب شبحَ الشرك ولا سيما من لُقنهما تقليدا عاديا خاليا من فهم معناها، ولم ينطق المشركون بالشهادتين لأنهم عالمون بمعناها ويرون النطق بهما التزاما لما يدعو إليه الرسول ﷺ ونبذا لما يخالف دعوته ".

ـ وفي البيان والتحصيل سئل الإمام مالك :" في من ارتد بعد أن شهد وأقرَّ بالنبي ﷺ وعرف الفرائض ....وتشهد به بعد العلم به وهو ممن لا يعذر بالجهالة فلم يجب بشيء ".

ـ وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ الزخرف: ٨٦. بعد بيانه أن الشهادة بالحق لا تنفع إلا مع العلم:" شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها أن يكون الشاهد عالما بها".

---

(١) الرسالة ص ٤٨.

ـ وقال الملا علي القاري في التجريد:" ينبغي لكل موقن أن يعتني بشأنها يعني كلمة التوحيد وقد نص الأئمة أنه لا بد من فهم معناها المترتب على علم مبناها وقد قال تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ " محمد: ١٩.

ـ وقال الخجندي في مفتاح الجنة:" واعلم أن لا إله إلا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام وليس المراد قولها باللسان فقط مع الجهل بمعناها ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب والإذعان لها ".

ـ وقال الذهبي :" ولا يعلم العبد أنه لا إله إلا الله حتى يتبرأ من كل دين غير الإسلام وحتى يتلفظ بلا إله إلا الله موقنا بها فلو علم وأبى أن يتلفظ مع القدرة يعد كافرا "(١).

ـ وقال ابن تيمية :" وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله بالنفي مع الإثبات، نفي إلهية غيره مع إثبات إلهيته"

ـ وقال:" فمن شرط الإيمان وجود العلم التام "(٢).

ـ وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب :" والكفار الجهال كانوا يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالعبادة والتبرؤ مما يعبد من دون الله عزّ وجلَّ والكفر به، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر إلا الله ، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله، وقد ذكر الله تعالى أن المشركين كانوا مقرين بالربوبية..... فمن قال لا إله إلا الله ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر كدعاء الموتى والغائبين وسؤالهم قضاء الحاجات والتقرب إليهم بالنذر والذبائح فهو مشرك شاء أم أبى ".

المسألة السادسة: معنى لا إله إلا الله:

معناها: لا معبود بحق إلا الله، ومعنى ذلك الإقرار بإثبات الوحدانية في العبادة لله، وإفراده وحده لا شريك له بها.

ولا يمكن معرفة لا إله إلا الله والعلم بحقيقتها ومدلولها ومقتضاها إلا بعد معرفة معنى الألوهية المشتقة من اسم الإله.

فالإلهية مشتقة من اسم الإله وهو مشتق من الفعل ألِهَ، ومعناه في اللغة عَبَدَ فالإله معناه المعبود، والألوهية هي بمعنى العبادة.

فإذا عرفت معنى الألوهية وأنها بمعنى العبادة، وأن الألوهية ليست هي الربوبية والخلق بل هي العبادة،

وأن العبادة لا تصرف إلا لله ولا يستحقها غير الله فإن العبادة لا بد من بيانها وهي لا تصلح إلا بالتوحيد.

---

(١) السير ٣٠٦/١٤.
(٢) الفتاوي ٥٣٨/٧.

والعبادة ليست هي مجرد السجود والركوع والصلاة، بل العبادة كل ما يحبه الله ويرضاه وكل ما أمر به عباده، فهي تشمل الصلاة والصيام والحج والزكاة كما تشمل الدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة، كما تشمل الخوف والمحبة والرجاء والتوكل والتوبة والإنابة والخشية والرغبة والرهبة والتعظيم، كما

تشمل الحكم والتحاكم والطاعة والانقياد والإتباع، كما تشمل الموالاة والمعاداة والبراءة من المشركين وتكفيرهم.

إذا تبين ذلك فلا يقبل من قائل لا إله إلا الله قولها إلا بعد أن يعلم بمدلولها ويعمل وينقاد لمقتضاها فمن قال لا إله إلا الله وهو يعبد غير الله ويشرك في عبادته فإنه لا ينفعه قولها.

وعلى هذا الأصل يكون الحكم في من يقولها وهو يدعو الأموات والغائبين ويستغيث بهم ويسألهم حاجاته كما يسأل الله ويطلبهم تفريج كرباته ويستشفع بهم فإنه لا ينفعه قولها وهو يصبح على الشرك ويمسي عليه، وكذا من يطوف بالقبور وينحر وينذر لها، وكذلك من يقولها وهو يحكم بغير ما أنزل الله ويتحاكم إلى الطاغوت ويشرع القوانين الوضعية ويسنها ويجلبها لبلاد المسلمين ويلزمهم بها وينحي الشريعة ويستبدلها بالقانون والشريعة الدولية، فإن هذا لا ينفعه قول لا إله إلا الله ولا يعتبر مسلما أصلا بل كافرا مشركا خارجاً عن الملة، ومن يقول لا إله إلا الله وهو يتولى اليهود والنصارى ويوالي المشركين ويناصرهم على المسلمين ويظاهر الكفار على أهل التوحيد ويعادي الموحدين المجاهدين فإن قول لا إله إلا الله لا ينفعه ولا يزيده قولها من الله إلا بعداً وبغضاً.

وكذلك من يقولها وهو ينكر الصفات ويحرفها ويطعن في القدر ويقول بالإرجاء والجبر من المتكلمين ويفسرها بالربوبية والخلق.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب:" والعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا بالطهارة فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت وعبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ".

وقال:" فالله الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم وأوله وأسه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله واعرفوا معناها وأحبوها وأحبوا أهلها ".

وقال:" دين النبي ﷺ التوحيد معرفة لا إله إلا الله محمد رسول الله والعمل بمقتضاها، فإن قيل كل الناس يقولونها، قيل منهم من يقولها ويحسب معناها لا يخلق إلا الله ومنهم من لا يفهم معناها ومنهم من لا يعمل بمقتضاها ولا يعقل حقيقتها وأعجب من ذلك من عرفها من وجه وعاداها وأهلها وأعجب منه من أحبها وانتسب إليها ولم يفرق بين أوليائها وأعدائها ".

وقال الشيخ سليمان في التيسير:" وعباد القبور نطقوا بها وجهلوا معناها ".

المسألة السابعة: وجوب تعلم التوحيد:

أعظم الواجبات على المسلمين تعلم التوحيد ومعرفة حقائقه ومعانيه وما يتضمنه وتحويه أركانه وتدعو إليه لوازمه، ثم بعد هذا العلم يأتي العمل بما علم، فمن لم يعمل بالتوحيد ولا انقاد له فهو كمن لم يتعلمه ولم يعرف معناه أو عرفه وكذّب به وجحده، فالجميع كافر ليس بمسلم، وعلى هذا الأصل قامت الأدلة وحصل الإجماع من علماء الأمة، وكشفوا شبهة أهل الإرجاء وقد كان الرسول ﷺ إذا أرسل أحدا من الصحابة إلى بلد يأمره بأن يدعو أهلها أولا إلى التوحيد ومن ذلك قوله ﷺ :" وليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ".

وفي رواية:" أن يوحدوا الله " وفي رواية:" أن يعبدوا الله وحده ".

وقال ﷺ :" من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة " ويدل بمفهومه على أن من مات وهو لا يعلم التوحيد لا يدخل الجنة.

وقال تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ محمد: ١٩. والأمر للوجوب.

وقال البخاري: باب العلم قبل القول والعمل.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن وسليمان بن عبد الله :" النطق بالشهادتين من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع ".

وقال شيخ الإسلام :" الكفر يكون بتكذيب الرسول ﷺ فيما أخبر أو الامتناع عن المتابعة مع العلم بصدقه مثل كفر فرعون واليهود "(١).

ثم عليه أن يعلِّمَه أبناءه وغيرهم كما يعلمهم الطهارة والصلاة.

المسألة الثامنة:

مما يزيد المسلم علما بكلمة التوحيد معرفته أركانها وإعرابها وشروطها ونواقضها.

فيجب على كل مسلم أن يعلم بكل ما ينقضها ويزيلها ويفسدها ويبطلها ليحذر الكفر والارتداد عن الدين.

كذلك مما يزيد ويعين على العلم بها معرفة فضلها وما أعده الله لأهلها والوعيد لمن خالفها.

المسألة التاسعة: مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله:

تصديقه ومحبته وطاعته واتباعه.

---

(١) درء التعارض ٢٤٢/١.

المسألة العاشرة: قيام لا إله إلا الله على العلم والعمل:

والعمل قسمان عمل القلب وعمل الجوارح.

فمن العمل المتعلق بها محبتها والتيقن بها والإخلاص فيها والصدق وقبولها والانقياد لها ظاهرا بالجوارح.

وهذه هي أركان التوحيد:

قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالقلب.

واعتقاد القلب على قسمين:

قولي وهو العلم والتصديق. وعملي وهو المحبة واليقين والرضا والقبول.

ولا يصح التوحيد إلا بهذه الثلاث وإذا زالت واحدة منها فلا يحكم بإسلام قائلها.

المسألة الحادية عشرة:

لا تقبل كلمة التوحيد إلا بالكفر بالطاغوت والبراءة من المشركين وتكفيرهم وقد فصلنا هذا الباب في موضعه، وسيأتي أيضا في باب المحبة.

المسألة الثانية عشرة: كيفية تحقيق الشهادتين:

١ـ العلم بمدلولها.

٢ـ الالتزام بذلك المدلول.

٣ـ ترك ما يناقض ذلك المدلول.

المسألة الثالثة عشرة: تفاوت الناس وتفاضلهم في المعرفة والعلم بالتوحيد:

والعلم منه الإجمالي الواجب والذي يكفر مفتقده ومنه التفصيلي الكمالي المستحب وهذا يتفاوت الناس فيه ويتفاضلون به.

ومما يدل على التفاضل والتفاوت بالعلم :

قول الرسول ﷺ :" إني أعلمكم بالله ".

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ فاطر: ٢٨.

المسألة الرابعة عشرة: علاقة العلم ببقية الشروط:

العلم يستلزم العمل فشرط العلم يستلزم بقية الشروط بينما الشروط تتضمنه وهو من ملزومها.

وقد تنفك هذه العلاقة اللزومية، فقد يوجد العلم بكلمة التوحيد من غير صدق ولا إخلاص ولا محبة كما هو حال المنافقين أو يحصل العلم لكن من غير انقياد كحال من كان كفره كفر امتناع وإعراض وسيأتي.

ولكن لا يمكن أن توجد بقية الشروط بدون علم، فالعلم أساس الشروط فإذا زال العلم زالت بقية الشروط، لأن من لم يعلم معناها فإنه لا يَصْدُقُ عليه أنه انقاد لها وأحبها ولكن أحب غيرها وانقاد لذلك الذي أحبه، وذلك كحال عباد القبور من الجاهلين بمعنى كلمة التوحيد يدعون الأموات ويعبدونهم من دون الله من غير أن يعلموا أن ذلك شرك ، فجهلهم بالتوحيد جعلهم ينقادون للشرك ويحبونه مع ظنهم أنهم إنما أحبوا التوحيد وانقادوا له فبالتالي هم لم ينقادوا للدين ولكلمة التوحيد ولا هم أحبوها وإنما أحبوا الشرك الذي هو ضدها.

لكن يمكن أن يعلم بها ولا يعمل بمقتضاها ولا ينقاد لها ولا يقبلها ولا يحبها أو لا يخلص فيها أو لا يصدق بها.

المسألة الخامسة عشرة: طرق معرفة التوحيد والأدلة عليه:

للتوحيد طرق تدل عليه وتوصل للعلم الحق به، أعظمها النظر في ربوبية الله وخلقه وكماله في أفعاله وتدبيره وإنعامه.

والنظر في حال المخلوقات التي عبدت وعظمت مع أنها قائمة على الضعف متصفة بالذل والهوان والخضوع لله، وهي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا.

قال ابن سعدي في تيسير اللطيف:" والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله أمور: تدبر أسماء الله وصفاته وأفعاله الدالة على كماله فإنها توجب أنه لا يستحق الألوهية سواه، والعلم بالثواب والعقاب، ومعرفة حال الطواغيت المعبودة وحقارتها وفقرها، ومعرفة دعوة الرسل واتفاقها على التوحيد والنظر في الأدلة الأفقية والنفسية وما أودعه الله في شرعه من الحِكَمِ والمحاسن وتدبر القرآن....".

فالتوحيد دل عليه العقل والحس والفطرة والمخلوقات والتدبير للكون.

وللمتكلمين طرق فاسدة واستدلالات باطلة أرادوا بها إثبات وجود الله وتوحيده وقد ذكرناها في كتاب التوحيد وكتابنا الرد على الأشاعرة.

المسألة السادسة عشرة: الفرق بين العلم والاعتقاد:

قال السمعاني في القواطع :" الاعتقاد قدر زائد عن العلم، يعلم ثم يعتقد فالاعتقاد للقلب كالطاعة للبدن "

وقال ابن حزم في الأصول والفروع:" كل علم اعتقاد، وليس كلُّ اعتقاد علما إذ العلم بالشيء إنما هو تيقن صحته ".

وقال حلولو في شرح المراقي:" المُعتَقِدُ يمكن تشكيكه بخلاف العالم ".

المسألة السابعة عشرة: الفرق بين العلم والمعرفة:

أن العلم محمود في الغالب بخلاف المعرفة.

أن الله يوصف بالعلم بخلاف المعرفة وإن كان يخبر عنه بها.

أن العلم معرفة وزيادة وفي الغالب يستلزم العمل.

أن المعرفة تتعلق بالذوات والعلم بحال هذه الذوات.

المعرفة تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه قاله صاحب المدارج.

أن العلم يقابل الجهل والمعرفة تقابل الإنكار.

المسألة الثامنة عشرة: درجات العلم والإدراك:

أعلاها: اليقين وهو العلم مع العمل والاعتقاد الجازم والطمأنينة.

الثانية: العلم .

الثالثة: الظن وهو ترجيح أحد الاحتمالين من غير قطع.

الرابعة: الشك وهو التردد بين أمرين لا ترجيح لأحدهما.

الخامسة: الوهم وهو الاحتمال المرجوح المقابل للظن.

السادسة: السهو والنسيان والخطأ.

السابعة: الجهل البسيط وهو عدم العلم بالشيء مع العلم بوجود الجهل.

الثامنة: الجهل المركب وهو الجهل بالجهل.

والملاحظ أن جميع المراتب تنقسم إلى قسمين:

١ـ العلم ويدخله اليقين.

٢ـ الجهل ويدخل فيه الظن والشك والوهم والسهو.

المسألة التاسعة عشرة: ما يتضمنه العلم بلا إله إلا الله وما يكون العلم عليه:

١ـ العلم بالله سبحانه وبأسمائه وصفاته وربوبيته وأفعاله.

٢ـ العلم بألوهيته وكونه المستحق وحده للعبادة.

٣ـ العلم بقضائه وقدره.

٤ـ العلم بالغيبيات من الملائكة والرسل واليوم الآخر.

٥ـ العلم بأخبار الله وبأوامره وشرعه ودينه وكتابه.

٦ـ العلم برسوله ﷺ ومتابعته ومحبته وتصديقه.

٧ـ العلم بالبعث والحساب.

المسألة العشرون: محل العلم وركنه:

العلم محله القلب وهو من قسم قول القلب وليس من عمله مثل اليقين والصدق والمحبة.

فليس للعلم إلا ركن واحد وهو قول القلب.

المبحث الثاني

كفر الجهل

المسألة الأولى: أدلته:

قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ الزخرف:٣٧.

وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ الكهف:١٠٤.

وقال تعالى: ﴿ **أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ الأنعام: ٥٤. قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل.

وقال تعالى: ﴿ **وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ التوبة: ٩٣.

وقال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ الملك:١٠.

وقال تعالى: ﴿ **بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** ﴾ الروم:٢٩.

وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ** ﴾ البقرة: ١١٨.

المسألة الثانية: أسباب الجهل:

١ـ العجز عن إدراك الحق والوصول للعلم.

٢ـ التفريط وعدم الاهتمام والمبالاة والحرص.

٣ـ الإعراض.

٤ـ العناد والكبر والتكذيب.

المسألة الثالثة: أنواع الكفر والعلاقة بينها:

الكفر على أنواع:

كفر التكذيب وكفر الجحود وكفر العناد وكفر الاستكبار والإباء والامتناع وكفر الإعراض والتولي وكفر الجهل وكفر الشك وكفر النفاق.

ومن كذّب لجهله كان كفره كفر جهل، ومن كذّب عنادا وكبرا كان كفره كفر عناد واستكبار.

والكفار منهم المكذب والجاحد والمعاند والممتنع والمستكبر والمعرض والمتولي والجاهل.

والمرجئة تنكر كفر الجهل والتولي والإعراض واقتصروا على كفر التكذيب والعناد والكفر القلبي.

ومن الكفر المجمع عليه والمعروف كفر الجهل وهو المقابل لكفر التكذيب والعناد.

المسألة الرابعة: حقيقة كفر الجهل وأقسامه:

وهو من يقع في الكفر والشرك الأكبر عن جهل فلا يعلم بدين الله وما يريده، فلم تبلغه الدعوة أو بلغته مشوهة، كذا من قامت عليه الحجة فلم يقتنع بها أو لم يفهمها فأصر على كفره وعاند متأولا جاهلا ويحسب أنه على شيء وأن الحق ما كان عليه وأنه الذي يريده الله، فإن هذا لا يزيل عنه اسم الكفر ولا يمنع من تكفيره.

كفر الجهل على قسمين:

كفر جهل لعدم بلوغ الحجة .

وكفر جهل عن عدم فهم للحجة مع بلوغها.

وأكثر أهل العلم يجعل هذا القسم من كفر العناد وليس من كفر الجهل. مع الاتفاق على كون صاحبه كافرا اختلفوا في وصفه هل هو جاهل أو معاند جاحد.

المسألة الخامسة: أقسام الجهال:

١ـ الكافر الأصلي الجاهل بالإسلام.

٢ـ الجاهل بالتوحيد المرتد والواقع في الشرك جهلا.

٣ـ الجاهل بفروع الدين كالجاهل بحكم الصلاة وتحريم الخمر.

المسألة السادسة: من الجهل بكلمة التوحيد ولوازمه:

إنكار صفات الله. المعاصي. اتخاذ الوسائط والشفعاء.

المسألة السابعة: أنواع الجهل وأضرابه:

خلو النفس من العلم .

اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا.

ذكره الراغب في المفردات.

المسألة الثامنة: الجاهل بالتوحيد والواقع في الشرك جهلا :

الجاهل بالتوحيد لا يعتبر مؤمنا به ولا مقرا أو آتٍ به، إذ الجاهل بالشيء لا يسمى مقرا به وشاهدا عليه، وعلى هذا فمن يجهل معنى لا إله إلا الله وهو يقولها ولا يعلم أنها تبطل الشرك ودعاء غير الله والحكم بغير ما أنزل فإنه لا يعتبر مسلما بل كافرا مشركا.

وهذا إذا كان الجهل بتفريط منه، أما إذا كان جهله من غير تفريط ولا يقدر على دفعه فإنه يعتبر مشركا على الصحيح، ويجري عليه أحكام الكفر من حيث الاسم والنكاح والميراث والصلاة عليه والإئتمام به، أما قتاله وقتله وعذابه يوم القيامة فإن هذا لا بد فيه من قيام الحجة.
وهذه المسألة هي مسألة العذر بالجهل في مسائل الشرك.

المسألة التاسعة: حكم الجاهل وهل يعذر:

من وقع في الشرك الأكبر عن جهل وعدم بلوغ الحجة:

فحكمه في الدنيا أنه كافر ويجري عليه أحكام الكفر من حيث الاسم ولحوق التكفير به والنكاح والميراث والصلاة عليه والإئتمام به، أما قتاله وقتله فإن هذا لا بد فيه من قيام الحجة والاستتابة.

أما في الآخرة فإن الله تعالى من كمال عدله أنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة كما قال سبحانه :

﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾ الإسراء: ١٥. فيكون معذورا وحكمه حكم أهل الفترات ومجانين الكفار يُبعث لهم رسول يوم القيامة من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه وأبى كان كافرا ودخل النار.

وقد أخطأ كثير من أهل العلم في هذه المسألة وحكموا بإسلام جهال المشركين وعباد القبور والمشرعون لكونهم ينطقون بالشهادتين وجعلوا جهلهم وتأويلهم مانعا من تكفيرهم.

المسألة العاشرة: واقع الجهل عند المتأخرين:

كفار زماننا أشد شركا من مشركي الجاهلية وأجهل منهم وأبعد عن معرفة لا إله إلا الله، وأبو جهل وأبو لهب أعلم بهذه الكلمة من أكثر علماء زماننا من أهل الشرك.

الشرط الثاني

اليقين

وثانيها وهو اليقين وضده ... هو الشك في الدين القويم المحمدي

ومن شك فليبك على رفض دينه ... ويعلم أن قد جاء يوما بموئدي

ويعلم أن الشك ينفي يقينها ... فلا بد فيها باليقين المؤبدي

بها قلبه مستيقنا جاء ذكره ... عن السيد المعصوم أكمل مرشد

ولا تنفع المرء الشهادة فاعلمن ... إذا لم يكن مستيقنا ذا تجرد

المسألة الأولى: معنى اليقين في اللغة:

من الفعل يَقِنَ أيْقَنَ إيقاناً وتَيقُناً ومُوقِنٌ وأوقن.

هو استقرار العلم الجازم وذهاب الشك وزوال الريب وتحقق الأمر.

ويسمى اليقين ظناً قال مجاهد: كل ظن في القرآن فهو يقين.

ومن ذلك قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ البقرة: ٤٦.

قال تعالى: ﴿ **وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا** ﴾ الكهف: ٥٣.

ويسمى الموت يقينا قال تعالى: ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾ الحجر: ٩٩.

ورجل يقن بكسر القاف وفتحها، هو الذي لا يسمع شيئا إلا أيقن به ولم يكذبه.

وحق اليقين خالصه وأصحه.

واصطلاحا: الاعتقاد الحق الجازم الذي لا شك فيه والمطابق للواقع، والمُصدَّق بالعمل.

المسألة الثانية: تعريف اليقين شرعا والمراد به:

المراد باشتراط اليقين لـ لا إله إلا الله هو أن يعتقد قائلها صحة معناها اعتقادا جازما ويؤمن بها، ويعقد قلبه عليها ويطمئن بها، وأن ينتفي من قلبه الشك عنها وعن ما تدل عليه وعن حقيقتها ومقتضاها.

وكذا عدم الشك في رسالة محمد ﷺ ولا في شيء مما جاء به.

كما أنه لا بد من اليقين الجازم ببطلان جميع الأديان وكفر أتباعها وعدم التوقف في كفر المشركين وبطلان مذهبهم. وأنه لا حوار إذا قارنه تنازل عن شيء من الدين ولا تقارب ولا اجتماع بين الإسلام وملل الكفر من اليهودية والنصرانية وغيرها، وهذا مما يدخل في شرط اليقين بلا إله إلا الله ومن زعم غير ذلك أو أراده فقد نقض شرط اليقين، وارتد بذلك الوصف عن اسلامه

فإذا لم يتحقق اليقين وينتفي الشك والريب بعدم حصول التردد والتذبذب في الإيمان، فإنه لا إيمان ولا صحة للتوحيد، ولا تقبل لا إله إلا الله من قائلها.

المسألة الثالثة: أدلة اليقين:

١- قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ الحجرات: ١٥.

فاشترط سبحانه لصحة الإيمان والتوحيد عدم الريب وذلك بتحقق اليقين، وجعل الجهاد من لوازم اليقين.

٢ـ وقال تعالى: ﴿ **الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ البقرة: ١ـ٤.

فجعل سبحانه اليقين شرطا للإيمان الحق الصحيح.

٣ـ وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ الأنفال: ٢.فقصر صفة الإيمان على أهل اليقين.

٤ـ وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** ﴾ التوبة: ٤٥.

فجعل تعالى الشك والتردد والارتياب وعدم اليقين من النفاق الأكبر والذي يكفر صاحبه.

٥ـ وقال تعالى عن الكفار: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ** ﴾ الجاثية: ٣٢.

٦ـ وقال تعالى فيهم: ﴿ **وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ ابراهيم: ٩ـ١٠.

٧ـ وقال تعالى عنهم: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ** ﴾ السجدة: ١٢. فانظر كيف فهم هؤلاء الكفرة أن قِوام الدين والسلامة والنجاة على اليقين، وهو مناط ذلك كله.

٨ـ كما قال تعالى عنهم في مواضع: ﴿ **مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ** ﴾ ق: ٢٥. ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيب** ﴾ سبأ: ٥٤. ﴿ **إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ** ﴾ سبأ: ٢١.

﴿ **بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي** ﴾ ص: ٨. ﴿ **بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ** ﴾ الدخان: ٩.

قال قتادة: شاكين في وُحدانية الله.

فتأمل كيف جعل سبحانه مناط تكفيرهم الشكَّ والريبَ في التوحيد.

٩ـ وقال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ يونس: ١٠٤.

١٠ـ وقال سبحانه: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ** ﴾ الذاريات: ٢٠.

١١ـ وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** ﴾ الأنعام:٧٥.

١٢ـ وقال تعالى: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ المائدة: ٥٠.

١٣ـ وقال تعالى: ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴾ يونس: ٣٦.

١٤ـ وقال تعالى: ﴿ **وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ﴾ النجم:٢٨.

١٥ـ وقال تعالى: ﴿ **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى** ﴾ النجم: ٢٣.

١٦ـ وقال تعالى عن المنافقين: ﴿ **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا** ﴾ النساء: ١٤٣.

ومن السنة:

١ـ عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال له:" اذهب بنعلي هاتين فمن لقيته وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة " رواه مسلم.

٢ـ عنه أن النبي ﷺ قال:" أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرُ شاك فيهما إلا دخل الجنة " رواه مسلم.

٣ـ وعن معاذ ﷺ قال حين حضرتْهُ الوفاة: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه أو يقيناً من قلبه لم يدخل النار " رواه أحمد.

٤ـ وعنه ﷺ أن الرسول ﷺ قال:" ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقنٍ إلا غفر الله له " رواه أحمد.

٥ـ وعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال له:" اذهب فناد في الناس أنه من شهد أن لا إله إلا الله موقناً أو مخلصاً فله الجنة " رواه ابن حبان.

٦ـ وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :" إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه فيموت على ذلك إلا حرمه الله على النار لا إله إلا الله " رواه أحمد وابن حبان.

٧ـ وقال ﷺ :" ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل ينازع الله إزارَه وإزارُه العزّ، ورجل في شك من الله، والقنوط من رحمة الله " رواه أحمد وابن حبان.

٨ـ وقال ﷺ :" أفضل الأعمال عند الله :" إيمان لا شك فيه، وغزو لا غلول فيه، وحج مبرور " رواه الإمام أحمد.

٩ـ وقال ﷺ :" إن من ضعف اليقين أن تُرضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على ما رزقك الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله " رواه البيهقي.

١٠ـ وفي الدعاء المأثور: " ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا " رواه الترمذي.

١١ـ وفي دعاء الاستغفار:" من قالها في النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة " رواه البخاري.

١٢ـ وقال ﷺ :" إن الله بعلمه وقسطه جعل الرُّوح والفَرَجَ في الرضا واليقين وجعل الهمَّ والحَزَنَ في الشكّ والسَّخَطِ ". صحابيه ابن مسعود .

١٣ـ وقال ﷺ :" خمس من لقي اللهَ بهن مستيقناً دخل الجنة :من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأيقن بالموت والبعث والحساب " رواه أحمد.

١٤ـ وفي حديث سؤال الملكين وجواب المنافق وعدم يقينه:" سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله " وفي رواية :" لا أدري كنت أقول ما يقول الناس ". متفق عليه.

١٥ـ وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :" اليقينُ الإيمانُ كلُّه " رواه البخاري.

المسألة الرابعة: أقوال أهل العلم في شرط اليقين:

❁ قال البربهاري:" شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صاحبها إلا بصدق النية وخالص اليقين ".

❁ وقال ابن تيمية في الإيمان:" واليقين قد يكون بالعمل والطمأنينة كما يكون بالعلم، والريب المنافي لليقين يكون ريبا في العلم وريبا في طمأنينة القلب ".

❁ وقال:" اسم اليقين والريب والشك ونحوها يتناول علم القلب وعمله وتصديقه وعدم تصديقه وسكينته وعدم سكينته ليست هذه الأمور مجرد العلم فقط ".

❁ وقال:" فأما اليقين الذي هو صفة العبد فذاك قد فعله من حين عبد ربَّه ولا تصح العبادة إلا به وإن كانت له درجات متفاوتة " (١).

❁ وقال عن اليقين:" طمأنينة القلب واستقرار العلم فيه وينتظم اليقين منه أمران علم القلب وعمل القلب" (٢).

---

(١) الاستقامة ١٨/١.
(٢) مجموع الفتاوي ٣٢٩/٣.

❁وقال:" فإن اليقين يراد به العلم المستقر في القلب ويراد به العمل بهذا العلم لا يطلق الموقن إلا على من استقر في قلبه العلم واليقين " (١).

وقال:" اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره ".

❁ وقال:" فلا يكون الرجل مؤمناً ظاهراً حتى يُظهر أصلَ الإيمان وهو شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله، ولا يكون مؤمناً باطناً حتى يقر بقلبه بذلك وينتفي عنه الشك ظاهراً وباطناً مع وجود العمل الصالح " (٢).

❁ وقال ابن القيم:" واليقين استقرار الإيمان في القلب علماً وعملاً " (٣).

❁ وقال المبرد في الدر النقي:" اليقين الاعتقاد الجازم".

❁ وقال زكريا الأنصاري في الحدود الأنيقة:" اليقين لغة: طمأنينة القلب على حقيقة الشيء، واصطلاحا: اعتقاد جازم لا يقبل التغيير من غير داعية الشرع ".

❁ وقال ملا علي القارئ:" مستيقناً بها قلبه أي بمضمون هذه الكلمة منشرحاً بها صدره غير شاك ومتردد في التوحيد " (٤).

❁ وقال اللامشي في بيان كشف الألفاظ:" اليقين هو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء ".

❁ وقال ابن جزي في القوانين:" اليقين هو صدق الإيمان حتى يطمئن به القلب بحيث لا يتطرق إليه شك أو احتمال وسببه شيئان أحدهما قوة الأدلة وكثرتها والآخر نور من الله يضعه في قلب من يشاء ".

❁ وقال ابن رجب:" فمن حقق اليقين وثق بالله في أموره كلها ورضي بتدبيره له وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفا ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة " (٥).

❁ وقال ابن القيم:" وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد وبه تَفاضَلَ العارفون وتنافس المتنافسون وإليه شمر العاملون وعمل القوم إنما كان عليه وإشارتهم كلها إليه وإذا تزوج الصبر باليقين حصلت الإمامة في الدين ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ السجدة:٢٤(٦).

❁ قال أبو عوانة في مسنده:" باب الدليل على أنه لا ينفع الإقرار حتى يستيقن قلبه ".

❁ قال الحسن البصري:" ما طُلِبت الجنة إلا باليقين ولا هُرِبَ من النار إلا باليقين ولا أدِيت الفرائض إلا باليقين ولا صُبر على الحق إلا باليقين " من فتح الباري لابن رجب.

---

(١) مجموع الفتاوي ٣٣٧/١٦.
(٢) الفتاوي ٨٦/٢٠.
(٣) الفوائد ص ٢٥٦.
(٤) المرقاة ١١٤/١.
(٥) جامع العلوم ١٨/٢.
(٦) المدارج ٣١٨/٢.

❁ قال سفيان الثوري:" لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقا إلى الجنة وخوفا من النار".

❁ وقال ابن القيم في المدارج:" وما وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهمّ وغمّ، وامتلأ محبة لله وخوفا منه ورضا به وشكرا له وتوكلا عليه وإنابة إليه فهو مادة جمع المقامات والحامل لها ".

❁ قال ابن حزم عن الجبائي وطائفته القائلين أوّل واجب على المكلف الشك:" فلا أقبح من قول هؤلاء أنه لا يصح الإيمان إلا بالكفر والتصديق بالجحد".

المسألة الخامسة: اليقين أعلى مراتب الإدراك:

تقدم في شرط العلم أن الإدراك أعلى درجات اليقين ثم العلم ثم الظن ثم الشك ثم الوهم ثم الجهل البسيط فالمركب.

المسألة السادسة: الفرق بين العلم واليقين:

١ـ اليقين أعلى درجة من العلم فكل يقين علم وكل موقن عالم لا العكس.

٢ـ أن اليقين يكون علما وعملا ويدخل فيه قول القلب وعمله، أما العلم فلا يكون عملا بل هو من قبيل التصديق وقول القلب.

٣ـ اليقين يستلزم العمل ويتضمنه بينما العلم لا يستلزم العمل فالموقن لا يسمى موقناً إلا إذا عمل.

٤ـ اليقين لا يساوره الشكوك أما العلم فيساوره الشك والظن والريب.

المسألة السابعة: أركان اليقين ومحله ومتعلقه:

اليقين له ركنان:

الأول: قول القلب.

الثاني: عمل القلب.

ومحلُه متعلق بالقلب في أعمال القلوب وأقواله، ولا يكون ظاهرا بل باطنا في القلب، وليس في اللسان والجوارح إلا ما كان من لوازمه، قال النووي في شرح مسلم:" الاستيقان لا يكون إلا بالقلب ".

فاليقين ليس مجرد علم القلب وتصديقه بل هو سكينة وطمأنينة وعمل.

قال ابن تيمية:" اليقين يراد به العلم المستقر في القلب ويراد به العمل بهذا العلم فلا يطلق الموقن إلا على من استقر في قلبه العلم واليقين ".

وقال:" اليقين يكون بالعمل والطمأنينة كما يكون بالعلم ".

المسألة الثامنة: ما يضاد اليقين:

الريب والشك والظن والوهم والتردد والتذبذب كلها تقابل اليقين وتناقضه، وتكون متعلقة بقول القلب وعمله.

قال ابن تيمية في الإيمان:" والريب المنافي لليقين يكون ريبا في العلم وريبا في الطمأنينة ".

المسألة التاسعة: اليقين أصل وكمال:

يتكون اليقين كغيره من أعمال القلوب والإيمان من أصل وكمال وفاقد الأصل يكفر بزواله بخلاف الكمال.

والناس يتفاوتون في كمال اليقين بالله وفي تحقيق دراجته، وترك ما يخل بكماله ويقدح فيه.

قال ابن تيمية :" فأما اليقين الذي هو صفة العبد فذاك قد فعله من حين عبد ربه ولا تصح العبادة إلا به وإن كانت له درجات متفاوتة " (١).

ومما يدل على هذا الأصل وأن اليقين يضعف وينقص ويزيد ويقوى:

١ـ قول الرسول ﷺ :" إن من ضُعفِ اليقين ...." رواه البيهقي.

٢ـ قوله سبحانه عن الخليل: ﴿ **قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾ البقرة:٢٦٠.

٣ـ وأعظم الناس يقينا نبينا محمد ﷺ وهو القائل:" إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا " رواه البخاري.

وقد قرر شيخ الإسلام رحمه الله أن كثيرا من المسلمين وممن يقر بكلمة التوحيد يكون معه من الإيمان هذا الإقرار، ولا يستلزم أن يكون صاحبه معه من اليقين ما لا يقبل الريب إذ يقول في الإيمان:" فكثير من الناس لا يَصِلونَ إلى اليقين ولا إلى الجهاد ولو شُكِكوا لشكوا، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا وليسوا كفارا ولا منافقين بل ليس عندهم من علم القلب واليقين ما يدرأ الريب ولا عندهم من قوة الحب لله

ولرسوله ﷺ ما يقدمونه على الأهل والمال وهؤلاء إن عوفوا من المحن وماتوا دخلوا الجنة وإن أبتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبهم فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق ".

---

(١) الاستقامة ١٨/١.

القوادح في شرط اليقين المنقصة له:

إما أن يكون صاحبها قصر في الواجب منه وأنقص منه.

أو أنه يأتي بما يقدح فيه من الأفعال التي تستلزم معارضة اليقين.

المسألة العاشرة: هل يساور إيمان المسلم ويقينه شك:

اليقين المتعلق بأصل الإيمان لا يقبل الشك ولا يجتمعان في قلب العبد.

أما اليقين المتعلق بكمال الإيمان ودرجاته فقد يوجد عند المسلم نوع شك في شيء منها.

المسألة الحادية عشرة: علاقة اليقين بالإيمان:

أصل اليقين المتعلق بأصل الدين والإيمان فهذا يقال فيه كل مؤمن ومسلم موقن وليس كل موقن مؤمن.

أما كمال اليقين فهو عكس الأول فيقال كل موقن مؤمن وليس كل مؤمن ومسلم موقن.

فالأول شرط لصحة كلمة التوحيد.

وأما الثاني فليس كذلك وإنما هو من كمال الإيمان المستحب وهو قريب من معنى الإحسان.

المسألة الثانية عشرة: قيام أعمال القلوب والجوارح على اليقين:

إذا حصل اليقين قامت في القلب جميع أعماله وبالتالي تحصل أعمال الجوارح، وإذا زال اليقين زالت أعمال القلب اضطرارا.

قال ابن القيم في المدارج:" اليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح وهو حقيقة الصديقية وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره ".

ولو وجدت أعمال الجوارح بدونه فلا يُعتبر بها ولا يُلتفت إليها.

المسألة الثالثة عشرة: اليقين منه المكتسب ومنه التوفيقي الموهوب:

أصل اليقين يحصل بالاستدعاء والطلب والكسب والنظر والتسبب، وأما ثباته وكماله فذلك توفيق من الله.

قال ابن رجب:" واليقين هو العلم الحاصل للقلب بعد النظر والاستدلال فيوجِبُ قوة التصديق حتى ينفي الريب والشك ويوجب طمأنينة القلب بالإيمان وسكونه وارتياحه " (١).

---

(١) فتح الباري ١٤/١.

قال ابن القيم في المدارج:" واختلف في اليقين هل هو كسبي أو موهبي:

فقيل هو العلم المستودع في القلوب ـ يشير إلى أنه وهبي غير مكتسب ـ وقال سهل: اليقين من زيادة الإيمان ولا ريب أن الإيمان كسبي والتحقيق أنه كسبي باعتبار أسبابه، موهبي باعتبار نفسه وذاته ".

وقال ابن رجب:" المعرفة بالقلب التي هي أصل الإيمان فعل العبد وكسب له،

واستدل البخاري لذلك بقوله تعالى: ﴿ **بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ البقرة: ٢٢٥.

فجعل للقلوب كسبا كما جعل للجوارح الظاهرة كسبا، والمعرفة هي مركبة من تصور وتصديق، فهي تتضمن علما وعملا وهو تصديق القلب، فإن تصور القلب قد يشترك فيه المؤمن والكافر، والتصديق يختص به المؤمن، فهو عمل القلب وكسبه، وأصل هذا أن المعرفة مكتسبة تدرك بالأدلة وهذا قول أكثر أهل السنة "(١).

المسألة الرابعة عشرة: علاقة اليقين ببقية الشروط:

اليقين الحقيقي الشرعي مرتبط ببقية الشروط مستلزم لها، فالشروط متلازمة من حيث الأصل، فمن كان عنده يقينا حقا لزم ذلك أن ينقاد ويحب التوحيد ويأتي ببقية الشروط، كما أن من أحب حقا لزم أن ينقاد ويتيقن ويخلص، ومن انقاد حقا لزم أن يحب ويتيقن.

فالشروط متلازمة من حيث المبدأ والأصل، وهذا من قواعد التلازم.

لكن من حيث الحقيقة والظاهر فإن الجهة قد تكون منفكة، فقد يوجد عند شخص يقين بلا إله إلا الله ولكن لا ينقاد لها، مثل إبليس موقن بالله وبالتوحيد ومنعه الكبر من الانقياد والإيمان، وكذلك أبو طالب عنده اليقين بصحة التوحيد وفضله ومنعه التقليد والعادة وما ألفته نفسه من دين الآباء وخشي الملامة،

وكذلك هرقل تيقن بالدين وشح بملكه فلم ينقد، وكذلك أحبار اليهود تيقنوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولم يؤمنوا ويسلموا وينقادوا.

فهذا يدل على أصل عظيم وهو:

أنه ليس كل من حصل له اليقين يعتبر مؤمنا ويدخل بمجرد يقينه في الإسلام.

والعكس فقد ينقاد الشخص ويدخل في الإيمان والإسلام ظاهرا، بل ويحبه وربما يخلص ويصدق في الظاهر ويقبل، إلا أنه يكون عنده ريب في قلبه بموعود الله وشك في التوحيد، فلا يظن الساعة قائمة، أو لا يوقن بكون التوحيد ولا إله إلا الله حق وصدق، فيحصل له من الريب فيها والشك في قلبه مالا يستطيع دفعه، فيصبح ما حصل له من هذا الشك في الله: مخرج له من دائرة الإيمان إلى النفاق ومن الإسلام إلى الكفر والعياذ بالله.

---

(١) فتح الباري ١/٨٠.

ومن هذا الباب قول الرسول ﷺ :" قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء "، ولذلك كان ﷺ يكثر من الدعاء:" يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك "، وإن ما حصل للرجل الذي تألّى على الله فأحبط الله عمله لضعف يقينه لَدليل على المقصود.

المسألة الخامسة عشرة: ما يكون اليقين عليه:

١ـ اليقين بوجود الله: فلا يشك في وجوده ﴿ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ** ﴾ ابراهيم: ١٠.

٢ـ اليقين بتوحيد الله في ربوبيته: فيتيقن العبد بأن الله هو المدبر الخالق الرازق المالك النافع الضار وحده لا شريك له، وأن كل ما في الكون مقهور بربوبيته عز وجل ، وتحت قهره وتصريفه يدبره كيف يشاء.

٣ـ أن يوقن العبد بألوهية الله وحده ويفرد الله بالعبادة ويوقن بأنه المستحق وحده لها، فيوقن بتوحيد الألوهية ويوقن أن كل معبود سوى الله تعالى فهو باطل.

٤ـ اليقين بتفرد الله بالكمال المطلق ويوقن بتنزيهه من كل عيب ونقص.

٥ـ اليقين بقضاء الله وقدره ويؤمن به على وجه اليقين، ويعلم أن إيمانه وإسلامه وعبادته لا تنفعه إذا لم يوقن بالقدر، وأنه لا يَسكنُ متحرك ولا يتحرك ساكن إلا بقضاء الله وقدره وعلمه وخلقه وتقديره ومشيئته.

٦ـ ويوقن حق اليقين بالكفر بكل الطواغيت المعبودة والمطاعة والمُحَكَّمة وبكفر وعداوة أي ملة غير ملة الإسلام ويوقن بكفر المشركين واليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، ويوقن بوجوب معاداتهم والبراءة منهم. ومن لم يوقن بذلك فليس من أهل التوحيد.

٧ـ اليقين بنبوة محمد ﷺ ويوقن بوجوب اتباعه وطاعته ومحبته.

٨ـ اليقين بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين.

٩ـ اليقين بالقرآن ووجوب العمل به.

١٠ـ اليقين بصحة دين الإسلام وأنه ناسخ لما سبقه من الأديان السماوية.

١١ـ اليقين باليوم الآخر الموت والبعث والحساب الجنة والنار.

١٢ـ اليقين بكل ما أخبر الله عنه وأمر به، فيوقن بصدقه وفضله وأنه حق لا شك فيه.

بهذا يكون العبد موقنا بالله. ولا يتحقق هذا اليقين ويقبل إلا إذا قام بلازمه من المحبة والانقياد والعمل والإتيان ببقية الشروط والأركان المتعلقة بلا إله إلا الله محمد رسول الله.

كما أن الشك الذي هو ضد اليقين يتعلق بهذه الأمور كلها ومن شك في عبادة الله وتوحيده فقد شك في الله بنص القرآن.

المسألة السادسة عشرة: اليقين يتعلق بأخبار الله وأوامره:

فالمؤمن يقابل أخبار الله بالتصديق واليقين.

ويقابل أوامره وشرعه بالانقياد والطاعة والرضا والامتثال والتسليم.

وقد جمع الله ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا** ﴾ الأنعام:١١٥.

صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام وفي قوله تعالى: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ المائدة: ٥٠.

فاليقين بحكم الله يكون بتصديقه كخبر، والرضا به وتفضيله والتحاكم إليه كأمر.

واليقين متعلق بالحكم والأمر القدري المتعلق بالربوبية وبالحكم، والأمر الشرعي الديني ا لمتعلق بالألوهية.

والعلة في وجوب اليقين بأخبار الله:

أن أخبار الله لا يمكن أن يرد عليها شيء من الوهم لأنها خبر صدق.

والعلة في وجوب اليقين بأوامر الله :

لأنها صادرة من الخالق للمخلوق والرب للمربوب والإله للعبد فيجب اليقين به والعمل به فهو العدل وأمره عدل.

المسألة السابعة عشرة: لا يقبل اليقين إلا بالإتيان بلازمه من الأعمال:

لا يعتبر اليقين عند الله مقبولا بل ولا يكون يقينا شرعيا إلا إذا جاء صاحبه بأعمال القلوب والجوارح من المحبة والانقياد والخضوع.

قال ابن تيمية:" اليقين يراد به العلم المستقر في القلب ويراد به العمل بهذا العلم، فلا يطلق الموقن إلا على من استقر في قلبه العلم والعمل " (١).

وقال ابن القيم:" واليقين استقرار الإيمان في القلب علما وعملا " (٢).

---

(١) المجموع ٣٣٧/١٦.
(٢) الفوائد ص ٢٥٦.

المسألة الثامنة عشرة: لوازم اليقين:

من لوازم اليقين بالتوحيد الانقياد له والكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك وأهله والتخلص من عبادة غير الله، والحكم بما أنزل الله والكفر بكل حكم لم يشرعه الله والبراءة من الطواغيت المتحاكم إليها والكفر بها وبأهلها وبغضهم وعداوتهم.

كذلك موالاة أهل الدين ومعاداة أعداء الدين والشريعة.

ومن اليقين بلا إله إلا الله تكفير المشركين والمرتدين وكل من كفّره الله ورسوله ﷺ والقيام بمعاداتهم وجهادهم.

كذلك من لوازم اليقين الجهاد في سبيل الله ولا يقوم كمال اليقين إلا به (١).

المسألة التاسعة عشرة: اليقين أمرٌ محسوس:

اليقين أمر محسوس ويشعر به المؤمن ويتذوقه ويشعر بزيادته وتحققه ونقصانه:

قال ابن تيمية:" ومنازل اليقين ما لا تكاد تحيط به العبارة ولا يعرفه حق المعرفة إلا من أدركه وناله"(٢).

وقال محمد بن عبد الوهاب في التوحيد:" اليقين يضعف ويقوى.

وقال ابن القيم في المدارج:" يحصل لنا حق اليقين منه وهو ذوق ما أخبر به الرسول ﷺ من حقائق الإيمان المتعلقه بالقلوب وأعمالها فإن القلب إذا باشرها وذاقها صارت في حقه حق اليقين " .

ومن ذلك قول الرسول ﷺ :" ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا والإسلام دينا ومحمد ﷺ رسولا ".

المسألة العشرون: اليقين بمنزلة الإحسان:

اليقين في مراتب الإيمان والتوحيد يشبه الإحسان في مراتب الدين، فكلاهما عبادة لله تعالى مع شدة العلم به، واليقين والإحسان : أن يعبد الله حتى كأنه يرى الله ويشاهده، فالإحسان في الظاهر قائم على اليقين في الباطن.

---

(١) ومن تأمل قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون). عرف صدق المجاهدين ويقينهم بالله وأنهم أحق من يرفع التوحيد وليس المتقاعسين المرجفين والمخذلين لهم من أهل النفاق الذين قالوا :(لو نعلم قتالا لاتبعناكم) (لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا) (يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) والذين قال الله فيهم: (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأضعوا خلالكم) ويكفرون بقوله تعاله: (إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما) وقوله (انفروا خفافا وثقالا) وقوله (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون).

(٢) المجموع ٧٤/١١ .

المسألة الحادية والعشرون: مراتب اليقين:

للقين ثلاث مراتب: علم اليقين ثم عين اليقين ثم حق اليقين وهو أعلاها.

وقد جاءت الأدلة بالمراتب الثلاث.

١ـ قال تعالى عن الأولى: ﴿ **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ** ﴾ التكاثر: ٥.

وقال ﷺ :" ليس الخبر كالمعاينة " رواه أحمد.

٢ـ وقال تعالى عن الثاني: ﴿ **ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ** ﴾ التكاثر: ٧.

٣ـ وقال تعالى عن الثالثة: ﴿ **وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ** ﴾ الحاقة ٥١.

وقال الرسول ﷺ :" ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا والإسلام دينا محمد رسولا " رواه مسلم.

قال ابن تيمية:" فعلم اليقين: هو العلم المستفاد بالسماع والخبر والقياس والنظر، وعين اليقين: هو ما شاهده الإنسان وعاينه ببصره، وحق اليقين: هو ما باشره ووجده وذاقه، وقد قامت الدرجات الثلاث بمن أخبرك أن عنده عسلا وأنت لا تشك في صدقه ثم أراك إياه فازددت يقينا ثم ذقت منه ووجدت طعمه وحلاوته " (١).

والناس يتفاوتون في تحصيل هذه المراتب وتحقق هذا الفضل، ومنها ما لا يكون إلا في الآخرة حين رؤية الجنة والنار بنص القرآن ومنها الخاص بالرسل في الدنيا.

قال ابن القيم في المدارج:" اعلم أن هذه الدرجة حق اليقين لا تنال في هذا العالم إلا للرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فإن نبينا ﷺ رأى بعينه الجنة والنار وموسى كلّم الله. نعم يحصل لنا حق اليقين من مراتبه وهي ذوق ما أخبر به الرسول ﷺ من حقائق الإيمان المتعلقة بالقلوب وأعمالها، فإن القلب إذا باشرها وذاقها صارت في حقه حق اليقين، وأما في أمور الآخرة والمعاد ورؤية الله جهرة عيانا وسماع كلامه فحض المؤمن منه في هذا الدار الإيمان وعلم اليقين، وحق اليقين يتأخر إلى وقت اللقاء".

وقال ابن تيمية:" فالناس فيما يوجد في القلوب وفيما يوجد خارجها على هذه الدرجات الثلاث:

فالإيمان إذا باشر القلب وخالطته بشاشته لا يَسخطه القلب بل يحبه ويرضاه فإن له من الحلاوة في القلب واللذة والسرور والبهجة ما لا يمكن التعبير عنه لمن لم يذقه والناس متفاوتون في ذوقه قال تعالى: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ يونس: ٥٨.

---

(١) المجموع ٦٤٥/١٠.

وقال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ التوبة: ١٢٤. والاستبشار هو الفرح والسرور وذلك لما يجدونه في قلوبهم من الحلاوة واللذة "(١).

المسالة الثانية والعشرون: ثمرة اليقين:

اليقين يوجب التوكل والطمأنينة ﴿ **وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾ البقرة: ٢٦٠. والسكينة والرضا. كما أن التوكل فسر بقوة اليقين وهو من ثمراته.

المسألة الثالثة والعشرون: هل الاستثناء في الإيمان ينافي اليقين:

ليس من الشك ولا ينافي اليقين كما تزعم المرجئة.

---

(١) المجموع ١٠/٦٤٨.

المبحث الثاني

كفر الشك

المسالة الأولى: الكفر المتعلق بزوال شرط اليقين وأسمائه:

هو ما يسميه أهل العلم بكفر الشك والريب والظن.

وقد سماه الإمام محمد بن عبد الوهاب كفر الظن.

المسألة الثانية: تعريف الشك شرعا والمراد به:

هو حصول الشك في الشهادتين أو أي أمر من أمور الدين.

فالمراد بالشك في لا إله إلا الله هو أن لا يعتقد قائلها صحة معناها اعتقادا جازما، فلا يعقد قلبه عليها ويطمئن بها، بل يحصل في قلبه التردد والتذبذب والشك فيها وفيما تدل عليه من حقيقتها ومقتضاها.

أو الشك في رسالة محمد ﷺ ، أو في شيء مما جاء به.

كذلك الشك في عدم بطلان جميع الأديان وكفر أتباعها، والتوقف في كفر المشركين وبطلان مذهبهم، وأنه يمكن الاجتماع بين الإسلام وملل الكفر من اليهودية والنصرانية وغيرها، فمن كان كذلك فقد ارتد بذلك الوصف عن إسلامه.

فإذا لم يتحقق اليقين وينتفي الشك والريب بعدم حصول التردد والتذبذب في الإيمان، فإنه لا إيمان ولا صحة للتوحيد، ولا تقبل لا إله إلا الله من قائلها.

وقد عرف ابن القيم كفر الشك في المدارج بقوله:" أما كفر الشك فإنه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه بل يشك في أمره وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة فلا يسمعها ولا يلتفت إليها وأما مع التفاته إليها ونظره فيها فإنه لا يبقى معه شك ".

المسألة الثالثة: متعلق الشك وما يكون عليه:

الشك يطرأ على أصول الدين المجمع عليها وعلى الفرعيات وعليه فمنه ما هو كفر ومنه ما هو دون ذلك.

والكفر منه ما يلي:

١ـ الشك في وجود الله تعالى ﴿ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ ابراهيم: ١٠.

٢ـ الشك في وجوب تفرد الله وتوحيده في ربوبيته أو ألوهيته وعبادته وكونه المستحق وحده للعبادة أو في تفرد الله في الكمال المطلق أو يشك في تنزهه سبحانه من كل عيب ونقص.

٣ـ الشك بقضاء الله وقدره ولا يعلم أن إيمانه وإسلامه وعبادته لا تنفعه إذا لم يوقن بالقدر.

٤ـ الشك في نبوة محمد ﷺ أو الشك في وجوب اتباعه وطاعته ومحبته.

٥ـ الشك في وجود الملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين.

٦ـ الشك في القرآن أو وجوب العمل به.

٧ـ الشك في صحة دين الإسلام وأنه ناسخ لما سبقه من الأديان السماوية.

٨ـ الشك في اليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار.

٩ـ الشك فيما أخبر الله عنه أو أمر به، وعدم الإيقان بصدقه وفضله وأنه حق لا شك فيه.

١٠ـ أن يشك فلا يتيقن بالكفر بكل الطواغيت المعبودة والمطاعة والمُحكَّمة أو يشك في كفر الملل غير ملة الإسلام أو يشك في كفر المشركين واليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، ويشك في وجوب معاداتهم والبراءة منهم.

المسألة الرابعة:

الشك لا يستمر إلا مع الإعراض وإذا انعدم الإعراض فلا بد أن يحصل الإيمان أو كفر التكذيب والعناد.

قال ابن القيم في المدارج:" وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة فلا يسمعها ولا يلتفت إليها وأما مع التفاته إليها ونظره فيها فإنه لا يبقى معه شك".

الفرق بين كفر الإعراض وكفر الشك:

قال ابن تيمية رحمه الله:" وليس كل كافر مكذبا بل قد يكون مرتابا إن كان ناظرا فيه أو معرضا عنه بعد أن لم يكن ناظرا فيه "(١).

المسألة الخامسة: وجه كون الشك كفرا:

والشك ينافي الشهادة بالتوحيد لأن الشهادة قائمة على العلم واليقين وإلا لم تكن شهادة كما قال سبحانه :

﴿ **إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ الزخرف: ٨٦.

المسألة السادسة: الفرق بين الشك والوسوسة:

إن الشك عدم الإيمان أما الوسوسة فخاطر يهجم على القلب من غير اختيار، والعبد يكرهه ويعلم بطلانه، فلا يصل إلى الشك إلا إذا استرسل صاحبه معه.

---

(١) الفتاوي ٧٩/٢.

المسألة السابعة: الفرق بين الريب والشك:

قال ابن تيمية في الإيمان:" إن الريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب بخلاف الشك فإنه لا يكون إلا في العلم فهو أعم من الشك ".

وقال:" الريب المنافي لليقين يكون ريبا في العلم وريبا في طمأنينة القلب ".

المسألة الثامنة: أدلة كفر الشك:

١ـ قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ الحجرات: ١٥.

فاشترط سبحانه لصحة الإيمان والتوحيد عدم الريب وذلك بتحقق اليقين، وجعل الجهاد من لوازم اليقين.

٢ـ وقال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ البقرة: ٢. فجعل سبحانه اليقين شرطا للإيمان الحق الصحيح.

٣ـ وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ الأنفال: ٢.

فقصر صفة الإيمان على أهل اليقين.

٤ـ وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** ﴾ التوبة: ٤٥. فجعل تعالى الشك والتردد والارتياب وعدم اليقين من النفاق الأكبر والذي يكفر صاحبه.

٥ـ وقال تعالى عن الكفار: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ** ﴾ الجاثية:٣٢. فكانوا بهذا الظن وعدم اليقين كفاراً

٦ـ وقال تعالى فيهم: ﴿ **وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ** ﴾ ابراهيم: ١٠.

٧ـ وقال تعالى عنهم: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ** ﴾ السجدة: ١٢. فانظر كيف فهم هؤلاء الكفرة أن قِوامَ الدين والسلامة والنجاة على اليقين وهو مناط ذلك كله.

٨ـ كما قال تعالى عنهم في مواضع:﴿ **مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ** ﴾ ق: ٢٥. ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ** ﴾ سبأ: ٥٤. ﴿ **إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ** ﴾ سبأ: ٢١.﴿ **بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي**﴾ ص: ٨. ﴿ **بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ** ﴾ الدخان: ٩.

قال قتادة: شاكين في وحدانية الله، فتأمل كيف جعل سبحانه مناط تكفيرهم في الشك والريب في التوحيد.

٩- وقال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ يونس: ١٠٤.

١٠- وقال تعالى: ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴾ يونس: ٣٦.

١١- وقال تعالى: ﴿ **وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ﴾ النجم:٢٨ .

١٢- وقال تعالى: ﴿ **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى** ﴾ النجم: ٢٣.

١٣- وقال عن المنافقين: ﴿ **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ** ﴾ النساء: ١٤٣.

ومن السُّنَّة:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة " رواه مسلم.

٢- وقال ﷺ :" ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل ينازع الله إزاره وإزاره العز، ورجل في شك من الله، والقنوط من رحمة الله " رواه أحمد وابن حبان.

٣- وقال ﷺ:" أفضل الأعمال عند الله:" إيمان لا شك فيه، وغزو لا غلول فيه، وحج مبرور " رواه الإمام أحمد.

٤- وقال ﷺ :" إن الله بعلمه وقسطه جعل الروح والفرج في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط ".

٥- وفي حديث سؤال الملكين وجواب المنافق وعدم يقينه:" سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله ". وفي رواية:" لا أدري كنت أقول ما يقول الناس " متفق عليه.

المسألة التاسعة: أقوال أهل العلم في الشك:

ـ قال سليمان بن سحمان في الضياء الشارق:" وقد دل القرآن على أن الشك في أصول الدين كفر والشك هو التردد بين شيئين كالذي لا يجزم بصدق الرسول ﷺ ولا يكذبه ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ".

ـ قال ابن تيمية في الإيمان:" الريب المنافي لليقين يكون ريبا في العلم وريبا في طمأنينة القلب ".

ـ وقال:" اسم اليقين والريب والشك ونحوها يتناول علم القلب وعمله وتصديقه وعدم تصديقه وسكينته وعدم سكينته ليست هذه الأمور مجرد العلم فقط ".

ـ وقال:" وقال فلا يكون الرجل مؤمنا ظاهرا حتى يظهر أصل الإيمان، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله، ولا يكون مؤمنا باطنا حتى يقر بقلبه بذلك فينتفي عنه الشك ظاهرا وباطنا مع وجود العمل الصالح "(١).

ـ وقال ملا علي القارئ:" (مستيقنا به قلبه) أي بمضمون هذه الكلمة منشرحا بها صدره غير شاك ومتردد في التوحيد " (٢).

وقال ابن القيم في المدارج:" ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهم وغم، وامتلأ محبة لله وخوفا منه ورضا به وشكرا له وتوكلا عليه وإنابة إليه، فهو مادة جمْعِ المقامات والحامل لها ".

ـ وقال ابن حزم عن الجبائي وطائفته القائلين أول واجب على المكلف الشك:" فلا أقبح من قول هؤلاء أنه لا يصح الإيمان إلا بالكفر والتصديق بالجحد ".

المسألة العاشرة: هل يساور إيمان المسلم ويقينه شك:

اليقين المتعلق بأصل الإيمان لا يقبل الشك ولا يجتمعان في قلب العبد.

أما اليقين المتعلق بكمال الإيمان ودرجاته فقد يوجد عند المسلم نوع شك في شيء منها.

المسألة الحادية عشرة: الشك في كفر المشركين:

ومن كفر الشك الذي يكفر به صاحبه الشك في كفر المشركين والمرتدين أو التوقف في تكفيرهم، والزعم أن الله لم يتعبدنا بتكفير المرتد فإن من زعم ذلك فقد كفر ونقض شرط اليقين.

وقال الإمام محمد في النواقض:" الناقض الثالث من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر إجماعا ".

وقال القاضي عياض في الشفاء:" ولهذا نكفر من دان بغير ملة الإسلام أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم فهو كافر ".

---

(١) الفتاوي ٨٦/٢٠.
(٢) المرقاة ١١٤/١.

وقال ابن تيمية عن كفر بعض المرتدين والقائلين بالحلول:" ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين "(١).

وقد فصلنا الكلام في هذه المسألة في شرحنا لنواقض الإسلام.

المسألة الثانية عشرة: علاقة الشك بالنفاق:

والريب من كفر النفاق وصفة المنافقين.

قال تعالى عن المنافقين: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** ﴾ التوبة: ٤٥.

---

(١) المجموع ٣٦٨/٢.

الشرط الثالث

الصدق

وثالثها الصدق المنافي لضده   من الكذب الداعي إلى كل مفسد

وعارف معناها إذا كان قابلا   لها عاملا بالمقتضى فهو مهتدي

وطابق فيها قلبه للسانه   وعن واجبات الدين لم يتبلد



المسألة الأولى: تعريف الصدق لغةً:

الصدق هو مطابقة الكلام للواقع واتفاق الظاهر مع الباطن.

والصدق ضد الكذب وأصلهما في القول ماضيا أو مستقبلا وعدا كان أو غيره، والأصل أنه متعلق بالخبر وقد يكون في غيره، وهو يتعدى بنفسه كقوله تعالى: ﴿ **صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا** ﴾ الصافات:١٠٥.

﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا** ﴾ الفتح:٢٧.﴿ **فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ**﴾ محمد:٢١. وبعلى ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ** ﴾ سبأ:٢٠. وبالباء ﴿ **وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا** ﴾ التحريم:١٢. وباللام ﴿ **مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ** ﴾ آل عمران:٨١.

والصدق يدل على القوة في الشيء كما قال ابن فارس في المعجم، فالكذب لا قوة فيه بل هو باطل.

وسمى الصداق وهو المهر بذلك لقوته في استباحة النكاح، والصدقة لقوتها في الحق.

والصديق هو من يصدق فعلُه قولَه، وهو دائم الصدق والتصديق.

قال ابن القيم في المدارج:" الصدق حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه، كما يقال عزيمة صادقة إذا كانت قوية وتامة، وكذلك محبة صادقة وإرادة صادقة إذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة لم ينقص منها شيء ".

المسألة الثانية: معناه شرعا والمراد به:

أن يكون صادقا في قول لا إله إلا الله واعتقاد مدلولها، أي أنه يوافق قلبه ما أظهره وقاله بلسانه فيوافق باطنه ظاهره، فلا يقولها بلسانه وقلبه مكذبا أو كاذبا لا يريدها ولا يحبها بل يبغضها ولا يقبلها وإنما قالها لمصلحة أو خوفا أو مجاملة، وهذا هو حال المنافقين الكاذبين في شهادتهم في التوحيد، فهم يقولون كلمة التوحيد بألسنتهم ويكفرون بها ويكذّبونها بقلوبهم في بواطنهم، كذلك لا يظهر على جوارحه ما يناقض مدلولها ويفعل ما ينافي مقتضاها فيكون قوله لها مجرد ادعاء لا حقيقة له.

المسألة الثالثة: منزلة الصدق مع اليقين والإخلاص:

للصدق منزلة عظيمة في الدين وله أهمية بالغة، إذ لا يُقبل الدين إلا به، وهو العلامة الفارقة بين المسلم والمنافق، وبه مع اليقين والإخلاص تنال أعلى منازل الجنان، وكم أثنى سبحانه على الصادقين والموقنين والمخلصين، وهذه المقامات الثلاث بينهما من الترابط والتلازم واستدعاء بعضها بعضا مالا يخفى لمن تأمل الوحيين، وما دخل أحد النار من أهل كلمة التوحيد إلا لأجل قلة صدقه فيها، لذلك تسمى كلمة التوحيد كلمة الصدق.

المسألة الرابعة: أدلة اشتراط الصدق:

١ـ قال تعالى: ﴿ **وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى** ﴾ الليل:٦. قال ابن عباس رضي الله عنهما :" صدق بلا إله إلا الله " أخرجه الطبري.

٢ـ قال تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ العنكبوت:٢ـ ٣.

٣ـ وقال سبحانه: ﴿ **وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ** ﴾ الزمر:٣٢. قال الطبري: كذب بلا إله إلا الله .

٤ـ وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ التوبة:١١٩.

٥ـ وقال تعالى: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** ﴾ الأحزاب:٢٣.

٦ـ وقال تعالى: ﴿ **فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ** ﴾ محمد:٢١.

٧ـ وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ الزمر:٣٣.

٨ـ وقال تعالى: ﴿ **قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ** ﴾ المائدة:١١٩.

٩ـ وقال تعالى: ﴿ **لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ** ﴾ الأحزاب:٢٤.

١٠ـ وقال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ البقرة:١٧٧.

١١ـ وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ الحجرات:١٥.

١٢ـ وقال تعالى: ﴿ **وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ الحشر:٨.

١٣ـ وقال سبحانه: ﴿ **لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ الأحزاب:٨.

١٤ـ وقال سبحانه: ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ التوبة:٤٣. وفي الآية إشارة إلى وجوب التبين والتثبت في حال من شُك في نفاقه أو فعل فِعل أهل النفاق.

١٥ـ وقال سبحانه: ﴿ **نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ** ﴾ الواقعة:٥٧.

١٦ـ وقال سبحانه: ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ الحجرات:١٧.

١٧ـ وقال سبحانه:﴿ **وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا** ﴾ الإسراء:٨٠.

١٨ـ وقال سبحانه في المنافقين الكاذبين: ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾ المنافقون:١. والآية تنطبق على كل من نطق بالشهادتين وقالها كذبا من غير صدق.

١٩ـ وقال سبحانه: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ البقرة:٨ـ ١٠ .

ومن السنة:

١ـ عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ :" ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار " رواه البخاري ومسلم. قال الحافظ:" صادقا : احترازا من شهادة المنافق ".

٢ـ وفي حديث أبي هريرة ﷺ عندما سأل الرسول ﷺ عن أسعد الناس بالشفاعة فقال:" شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا وأن محمدا رسول الله يصدق لسانُهُ قلبَهُ وقلبُهُ لسانَهُ " رواه أحمد.

٣ـ وعن أبي بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :" من قال لا إله إلا الله يصدق قلبُه لسانَه دخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء " رواه الطبراني.

٤ـ وقال ﷺ : لأبي موسى الأشعري ﷺ :" أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقا بها دخل الجنة " رواه أحمد.

٥ـ عن رفاعة الجهني ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:" أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صدقا من قلبه ثم يُسدّد إلا سُلِك في الجنة " رواه أحمد.

٦ـ وعن عياض الأنصاري ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إن لا إله إلا الله كلمة على الله كريمة لها عند الله مكان وهي كلمة من قالها صادقا أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذبا حقنت دمه وأحرزت ماله ولقي الله غدا فحاسبه " رواه البزار.

٧ـ وقال النبي ﷺ :" ما قال عبد قط ـ وفي رواية من قال ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصا بها قلبُه يصدق بها لسانَه ـ وفي لفظ مخلصا بها روحُه مصدقا بها قلبُه لسانَه ـ إلا فتق الله له السماء فتقا حتى ينظرَ إلى قائلها من أهل الأرض، وحُقّ لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤالَه " رواه النسائي في عمل اليوم والليلة.

٨ـ وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" من علم أن الله ربه وأني نبيه صادقا من قلبه حرمه الله على النار ".

٩ـ وقال النبي ﷺ في الأعرابي ضمام بن ثعلبة الذي سأله عن شرائع الإسلام والتزامها:" أفلح إن صدق " رواه البخاري. وعند مسلم:" إن صدق ليدخلن الجنة ". فجعل دخول الجنة شرطه أن يكون صادقا بفعله وليس بمجرد قوله.

١٠ـ وقال ﷺ :" يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه " رواه أحمد.

١١ـ وقال الرسول ﷺ :" عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار " متفق عليه

المسألة الخامسة: أقوال أهل العلم:

ـ قال البربهاري:" شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صاحبها إلا بصدق النية وخالص اليقين ".

ـ قال المروزي في الصلاة:" والشاهد بلا إله إلا الله هو المصدِّق المقر بقلبه ".

ـ قال زيد بن أسلم:" لا بد أن تعمل عملا تصدق به إيمانك " أخرجه اللالكائي .

ـ قال الأوزاعي:" لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ولا يستقيم القول إلا بالعمل ولا يستقيم العمل إلا بنية....فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فذلك العروة الوثقى " أخرجه اللالكائي.

ـ قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :" النفاق: الرجل يتكلم بالإسلام ولا يعمل به " أخرجه الفريابي في صفة النفاق.

ـ قال الحسن:" من النفاق اختلاف اللسان والقلب واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج وأساسه الكذب ".

ـ وقال:" النفاق نفاقان: نفاق تكذيب ونفاق عمل " أخرجه ابن بطة في الإبانة.

ـ قال الإمام أحمد:" الإيمان قول وعمل ونية ".

ـ قال الحافظ ابن حجر:" صادقا : احترازا من شهادة المنافق ".

ـ قال ابن تيمية في التحفة العراقية:" الصدق والتصديق يكون في الأقوال والأعمال ويقال حملوا على العدو حملة صادقة، وفلان صادق المحبة، ولهذا يريدون بالصادق الصادق في إرادته وقصده وطلبه وهو الصادق في عمله ويريدون الصادق في خبره وكلامه، والمنافق ضد المؤمن الصادق، وهو الذي يكون كاذبا في خبره أو كاذبا في عمله كالمرائي أحيانا ".

ـ وقال أيضا:" والصدق هو في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام، فإن المظهرين للإسلام ينقسمون لمؤمن ومنافق، والفارق بينهما في الصدق ".

ـ قال ابن رجب في كلمة الإخلاص:" فأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها، فإن هذه الكلمة إذا صُدّقت طهرت القلب من كل ما سوى الله، ومتى بقى في القلب أثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها، ومن صدق في قول لا إله إلا الله لم يحب سواه ولم يرج سواه ولم يخش أحدا إلا الله ولم يتوكل إلا على الله ".

ـ قال ابن تيمية في الإيمان الأوسط:" وأساس النفاق الذي بنى عليه المنافق لا بد وأن تختلف سريرته وعلانيته وظاهره وباطنه، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق قال تعالى: ﴿ **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ البقرة:١٠ وقال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾ المنافقون:١.

ـ قال القرطبي في المفهم:" صدق القلب: تصديقه الجازم بحيث لا يخطر له نقيض ما صدق به وذلك إما عن برهان فيكون علما أو عن غيره فيكون اعتقادا جازما ".

ـ قال ابن تيمية في منهاج السنة:" الصديق قد يراد به الكامل في الصدق وقد يراد به الكامل في التصديق ".

ـ قال ابن القيم في المدارج:" والصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة، والصدق هو مقام الإسلام والإيمان.

ـ وقال أيضا:" أعلى مراتب الصدق الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للمُرسل ".

ـ وقال فيه :" الإيمان أساسه الصدق والنفاق أساسه الكذب...وبالصدق تميز أهل النفاق من أهل الإيمان".

ـ وقال فيه:" فإن الصادق مطلوبه رضى ربه وتنفيذ أوامره وتتبُعَ محابّه..لا يطيقه إلا أصحاب العزائم".

ومما قيل في الصدق:

الصدق: الوفاء لله بالعمل .

الصدق: موافقة السر النطق واستواء السر والعلانية.

الصدق: القول بالحق في مواطن الهلكة.

لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسة أو غيره.

الصادق لا يستحي من سره لو كُشف.

الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه.

ثلاث لا تخطئ الصادق: الحلاوة والملاحة والهيبة.

وفي أثر إلهي:" من صدقني في سريرته صدقته في علانيته عند خلقي ".

أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم.

الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قَدْر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب إطْلاعَ الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله.

المسألة السادسة: ما يضاد الصدق ويناقضه:

الصدق يضاده الكذب والمراد به النفاق، ويكون ذلك بقول كلمة التوحيد باللسان، مع تحقق الكذب في قلبه وباطنه في شهادته بها، كما حكى الله تعالى عن المنافقين ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾ المنافقون:١. وذلك لأن الشهادة تستلزم الصدق والتصديق ظاهرا وباطنا قولا وعملا انقيادا بمدلولها وما تقتضيه الشهادة.

قال ابن تيمية في التحفة العراقية:" المنافق ضد المؤمن الصادق وهو الذي يكون كاذبا في خبره أو كاذبا في عمله كالمرائي أحيانا...فإن المظهرين للإسلام ينقسمون لمؤمن ومنافق والفارق بينهما في الصدق.

وقال ابن القيم في المدارج:" الإيمان أساسه الصدق والنفاق أساسه الكذب...وبالصدق تمييز أهل النفاق من أهل الإيمان ".

المسألة السابعة: الصدق أصل وكمال:

الصدق مثله مثل معظم العبادات ومقامات الدين وشعب الإيمان التي تنقسم إلى أصل وكمال:

فالأصل لا يصح الإيمان إلا به، ويتوقف قبول الإسلام على تحققه، وتارك الأصل كافر ولا دين معه.

والكمال على درجات:

منه الواجب الذي يأثم تاركه إلا أنه لا يكفر به، ومنه المستحب.

ويتفاوت أهل التوحيد في هذه المزلة وهذا القسم ـ أعني الكمال ـ بين ثلاثة مراتب:

الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، وكلهم قد جاء بالأصل المصحح للإيمان والإسلام.

فالأصل في الصدق: هو المتعلق بالتوحيد وكلمته والصدق بها وفي قولها.

والكمال في الصدق: هو ما يتعلق بأفراد الدين من حيث العمل به والتيقن به، ولذلك الصديق هو من يصدق قوله بعمله، وتنافس أهل الإيمان في تحقيق كمالات الصدق، فأعلى الناس الصديق ثم الصدوق ثم الصادق.

وعلى هذا الأصل تبنى مسألة زيادة الصدق ونقصانه تبعا للإيمان.

قال ابن رجب في كلمة الإخلاص:" فأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها، فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب من كل ما سوى الله ومتى بقي في القلب أثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها، ومن صدق في قول لا إله إلا الله لم يحبَّ سواه ولم يرج سواه ولم يخش أحدا إلا الله ولم يتوكل إلا على الله ".

وقال ابن تيمية في منهاج السنة:" الصديق قد يراد به الكامل في الصدق وقد يراد به الكامل في التصديق"

وقال ابن القيم في المدارج:" والصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة، والصدق هو مقام الإسلام والإيمان"

وقال أيضا:" أعلى مراتب الصدق الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للمُرسِل".

والقوادح في شرط الصدق المنقصة له:

إما أن يكون صاحبها قصر في الواجب منه وانتقص منه.

أو أنه يأتي بما يقدح فيه من الأفعال التي تستلزم معارضة كمال الصدق.

المسألة الثامنة: أقسام الصدق:

١ـ الصدق القلبي: وهذا يكون بقول القلب وعمله وهذا أصل الصدق وأساسه.

٢ـ الصدق القولي: وهو يكون باللسان.

٣ـ الصدق العملي: ويكون بالفعل وعمل الجوارح.

ومن أمثلة التصديق العملي وأدلته:

تصديق إبراهيم للرؤية ﴿ **قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا** ﴾ الصافات:١٠٥. وتصديقه لها كان بفعلها والامتثال والانقياد لمقتضاها " وقول الرسول ﷺ " والفرج يصدق ذلك أو يكذبه " وتصديقه هو فعل الزنى.

قال ابن القيم في المدارج:" فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله، فالصدق في هذه الثلاث: فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها، والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد، والصدق في الأحوال:

استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صدّيقيته، ولذلك كان لأبي بكر ذروة سنام الصديقية ".

المسألة التاسعة: محل الصدق وأركانه:

أولا: الصدق يكون في القلب وهذا هو الأصل ويدل لذلك قول الرسول ﷺ :" صدقا من قلبه " وقوله ﷺ :" صادقا من قلبه " وقوله ﷺ :" يصدق قلبُه لسانَه ".

ثانيا: الصدق يكون في اللسان:

ويدل له حديث:" يصدق لسانُه قلبَه ".

ثالثا: الصدق يكون في الجوارح:

ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ **قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا** ﴾ الصافات:١٠٥. حين فعلها وامتثلها.

وحديث:" والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ".

المسألة العاشرة: الصدق القولي والعملي الباطني والظاهر:

الصدق القولي القلبي: وذلك بتصديق القلب ومعرفته وعلمه ويقينه.

الصدق القولي اللساني الظاهر: وهذا يكون بالإقرار بقول اللسان.

الصدق العملي القلبي الباطن: هو المحبة والإخلاص واليقين والقبول وانقياد القلب.

الصدق العملي الظاهر: هو الانقياد والعمل وموافقة عمل الجوارح والقلب لقول اللسان.

فيدخل الصدق في أركان الإيمان الأربعة:

١ـ قول القلب ٢ـ عمل القلب ٣ـ قول اللسان ٤ـ عمل الجوارح.

والصدق القلبي والذي هو المتعلق بالشرط، هو قول القلب واعتقاده من جهة، وإظهار الصدق ومطابقة القول وذلك بالتصديق من الجهة للأخرى، وإلا كان قوله مجرد ادعاء، والتصديق العملي هو الانقياد وسياتي الكلام عنه وهو من شروط كلمة التوحيد.

قال ابن القيم في المدارج:" أعلى مراتب الصدق الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للمُرسِل ".

وقال أيضا:" والصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة، والصدق هو مقام الإسلام والإيمان ".

المسألة الحادية عشرة: الأمور الخمسة المتعلقة بالصدق:

١ـ مدخل الصدق ٢ـ ومخرجه:

وصفته بأن يكون دخوله وخروجه في مرضات الله وتحصيل المطلوب، وقد أمر الرسول ﷺ أن يسأل ربه أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق، وقد حقق الله له ذلك فكل أفعاله ﷺ صدق وفي رضا الله كانت، فمدخله المدينة وخروجه للغزوات كان صدقاً ولابتغاء مرضات الله فاتصل به الظفر والنصر والتأييد وإدراك مطلوبه، وهذا بخلاف مدخل الكذب ومخرجه وهو الذي قام به أعداؤه من المشركين واليهود وغيرهم.

٣ـ لسان الصدق: وهو الثناء الحسن وقد طلبها الخليل وذلك في قوله: ﴿ **وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ** ﴾ الشعراء: ٨٤. ولذلك له ولنبينا عليهما السلام الثناء الصادق الحسن.

٤ـ قدم الصدق: فسر بالجنة وبمحمد ﷺ وبالأعمال الصالحة، وهو كل ما قدمه الإنسان ويقدم عليه.

٥ـ مقعد الصدق: وهو الجنة عند الرب تبارك وتعالى.

قال ابن القيم في المدارج:" فهذه خمسة أشياء وحقيقة الصدق في هذه الأشياء، هو الحق الثابت المتصل بالله الموصل إلى الله وإلى رضوانه وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة ".

المسألة الثانية عشرة: الفرق بين الصدق والتصديق وأيهما المقصود في الشروط:

التصديق: على وزن تفعيل وهي للنسبة، أي نسبة الصدق للغير، فهو نسبة الصدق لقائله، وأن تعتقد صدق المتكلم والمخبر.

والصدق: هو أن يكون نفس المتكلم والشاهد صادقا وكلامه وشهادته مطابقا للحقيقة، وأن يكون باطنه كظاهره ولسانه وقوله موافقا ومطابقا لقلبه وباطنه.

فالتصديق متعلق بالإيمان بأن تصدق الرسول ﷺ ، وهذا الأمر هو الذي يدخل به الكافر الإسلام.

والصدق هو أن يكون تصديقك وإيمانك وتوحيدك أنت صادقا فيه من قلبك وليس مجردا نطقا بلسانك بل تكون صادقا برغبة ومحبة وقبول ورضا وانقياد وعمل، فلا يكون المتكلم كاذبا منافقا في إظهار التصديق والإيمان.

ومقصودنا بالصدق في شروط لا إله إلا الله الثاني وهو الصدق.

وإن كان شرط الصدق يتناول التصديق ضمنا، وإلا فالتصديق يرادف القبول.

ووجه ذلك: أن كلامنا في من حصل له التصديق وقال لا إله إلا الله وصدق ظاهرا، فنقول له: من شرط قبول إيمانك عند الله وصحة إسلامك وتوحيدك ودخولك الجنة بكلمة التوحيد أن تكون صادقا في باطنك، بأن تقولها وأنت صادق من قلبك لا كاذبا كما هو حال المنافقين.

نكتة لطيفة: معنى حديث:" يصدق لسانُه قلبَه وقلبُه لسانَه ".

تصديق اللسان للقلب متعلق بالتصديق، وهو احتراز يخرج كفر العناد والامتناع ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ** ﴾ النمل: ١٤.

أما تصديق القلب للسان فيراد به الصدق فيها، وهو قيد يخرج النفاق، وهذا هو الأصل.

المسألة الثالثة عشرة: أحوال الناس مع الصدق في التوحيد:

الأول: من صدق بكلمة التوحيد قولا وعملا واعتقادا باطنا وظاهرا، وهذا حال أهل الإيمان والإسلام

الثاني: من هو مصدق بها في باطنه مظهرا التكذيب بها في لسانه وظاهره وعمله

وهذا كفر العناد والجحود، ككفر فرعون واليهود وقريش.

يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآَيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ الأنعام: ٣٣.

وقوله تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ** ﴾ النمل: ١٤. وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا** ﴾ الإسراء: ١٠٢.

وكذلك قول أبي جهل في الرسول ﷺ وعدم إسلامه وتظاهره بتكذيبه حسدا من نفسه وكبرا،(١) وكذا اليهود مصدقين بالرسول ﷺ في الباطن ويظهرون تكذيبه.

الثالث: من هو مكذب بها في باطنه وظاهره:

وهذا حال من كان كفره راجع للجهل أو الشك وهو حال عامة الكفار والمقلدين والأتباع ممن لم تبلغهم الدعوة أو بلغتهم مشوهة.

---

(١) روى الزهري أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام الأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته فأخذ كل واحد منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد قال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأخنس وأنا والذي حلفت به، قال ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال ماذا سمعت؟ قال تنازعنا نحن وبني عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه، قال فقام عنه الأخنس وتركه. نقله ابن كثير في تفسيره عن أبي إسحاق ٤٥/٣ .

الرابع: من هو مكذب في باطنه ويظهر التصديق بلسانه وظاهره وعمله، وهؤلاء هم المنافقون الذين يظهرون الإسلام والإيمان ويبطنون الكفر.

وللمنافق حالتان:

١ـ أن يكون تكذيبه في الباطن عن عدم اقتناع وتبيّن أو حصول ريب وشك.

٢ـ أن يكون كفره وتكذيبه عن حسد أو بغض أو عدم قبول أو غير ذلك من أسباب النفاق وأوصافه مع وجود التصديق، فيعلم أن الدين حق وصدق والرسول ﷺ صادق فيصدق في باطنه، لكنه لا يحبه ولا يؤمن به ولا ينقاد له.

الخامس: من يصدق بقلبه ولسانه ثم يكذب تصديقه بفعله، وهذا هو حال الممتنع والمعرض والمتولي عن الطاعة والممتنع عن الشريعة، وهذا من كان كفره كفر إباء وامتناع وتولٍ وإعراض.

السادس: من يعتقد أنه مصدق في الظاهر والباطن، وهو مكذب بظاهره وملزوم فعله، وهذا حال من يقع في ناقض، كالاستهزاء وهو لا يعلم أن استهزاءه واستخفافه وسبه تكذيب عملي ومخرج له من الملة، وكذا من يُحكّمُ القوانين وينحي الشريعة، أو من يدعو الأموات وهو يظن أن هذا ليس بمكفر له بل قد يظن أنه من الدين.

المسألة الرابعة عشرة: الأمور التي تناقض الصدق:

١ـ القيام بناقض يخرج صاحبه من الملة، كالشرك في العبادة أو الحكم بغير ما أنزل الله أو التشريع والتحليل والتحريم وشرك الطاعة والتحاكم.

٢ـ من يلزم من فعله التكذيب، وهذا حال من يستخف بالدين وأهله أو الرسول ﷺ ، أو من يعادي أهل الإيمان ويتولى الكافرين ويظاهر المشركين على المسلمين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ المائدة: ٨٠ـ٨١.

٣ـ الممتنع عن الشريعة وتارك الأعمال والصلاة وبقية الفرائض وشرائع الإسلام، قال سبحانه:

﴿ **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾ النور:٤٧. وهؤلاء لم يصدقوا قولهم بعمل، ولم ينطبق فيهم وصف الحديث في المنتفع بكلمة التوحيد، وتقدم كلام زيد بن أسلم:" لا بد أن تعمل عملا تصدق به إيمانك " وقول الأوزاعي:" فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فذلك العروة الوثقى ".

٤ـ من يبغض شيئا من الدين وما جاء به سيد المرسلين.

وهذه الأنواع من الكفر وغيرها على درجات : إما أن يكون صاحبها مكذبا حقيقة وذلك بتكذيبه لها بباطنه وعدم تصديقه، وإما أن يكون مصدقا لها في باطنه لكنه مكذب لها بفعله عامدا عالما، وإما أن يكون فعله يستلزم التكذيب العملي، فمن فعل فعلا يستلزم أن يكون صاحبه مكذبا بفعله، كان كاذبا في الحقيقة بادعائه التصديق وزعمه أنه صادق، كمن يدعي تصديق الرسول ﷺ ومحبته ثم هو يهزأ به ويستخف بسنته وسيرته وجهاده عن عمد وجد أو من باب الهزل، فمن فعل مثل هذا في الحقيقة يعتبر تكذيبا عمليا، وهو إما أن يكون مقارنا للتكذيب الباطني أو مستلزما له، فإن لازم التصديق بالشيء الانقياد له العمل به وتعظيمه وإكرامه، لأن من أعظم لوازم التصديق ومقتضيات الصدق الطاعة والانقياد والإيمان والتعظيم ولذلك سمي أبو بكر رضي الله عنه بالصديق، وليس ذلك بمجرد تصديقه الخبر، بل لما قارنه من الخضوع والذل له والانقياد للدين وتعظيم الشرع والله أعلم.

وما أكثر من يقول لا إله إلا الله وهو كاذب في ذلك ولم يصدق بها في الحقيقة، فتراه يأتي الكفر أمثال عباد القبور وكالمتحاكمين للطاغوت والمتولين عن الشريعة وكمن يظهر المودة للكفار بل ويعادي من يعاديهم وينهى عن تسميتهم كفارا، بل الآخرين أو أصحاب الدين السماوي، ويدعو للتقارب معهم والسلام والحوار والتعايش ولا يعلم أنه بذلك أفسد دينه ونقض إيمانه وأبطل إسلامه وكذب توحيده.

المسألة الخامسةَ عشْرَةَ: لوازم الصدق ومقتضياته:

أعظم لازم للصدق العمل والانقياد وهو المسمى بالتصديق العملي، وذلك بالعمل بمقتضى الصدق، فإن كان خبر وعد عمل له، وإن كان خبر وعيد تركه واتقاه، وإن كان أمرا صدقه بامتثاله، وإن كان نهيا تركه.

فيكون الصدق والتصديق دليلا وحاملا لصاحبه على العمل والامتثال والانقياد لمضمون الأمر الذي صدقه، وتقدم كلام ابن رجب:" أن الصدق يحمل على التوحيد والخوف من الله وحده ورجائه". وتقدم كلام زيد بن أسلم:" لا بد أن تعمل عملا تصدق به إيمانك " وقول الأوزاعي:" فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فذلك العروة الوثقى ".

ومن لوازم الصدق أيضا المحبة والإخلاص.

ومن لوازمه اليقين وإن كان ضد ذلك هو الأظهر، أي أن اليقين هو الذي يستلزم الصدق.

المسألة السادسة عشرة: علاقة الصدق ببقية الشروط:

الصدق ملزوم العلم واليقين: أي أن العلم الحق واليقين يستلزمان حصول الصدق، والصدق يستلزم بقية الشروط، المحبة والإخلاص والقبول والانقياد.

والشروط متلازمة مترابطة يلزم كل منها الآخر، وقد يتضمنه على القاعدة المعروفة في هذا، إلا أنه قد تنفك هذه العلاقة التلازمية ويزول الترابط، وقد يعلم الإنسان كلمة التوحيد ولا يصدّق بها، وقد يصدق بكلمة التوحيد ولا ينقاد لها، وقد يصدق بها ظاهرا ولا يخلص ولا يقبل بل قد لا يحب.

ومن أمثلة ذلك، ما حصل لأبي طالب صدق بها ولكن لم يخلص، ولم يقبل، ولم ينقد مع علمه بصدقها، وتصديقه للرسول ﷺ ظاهرا وباطنا، إذ هو القائل:

ولقد علمت بأن دين محمد **** من خير أديان البرية دينا

فائدة:

أدخل البعض في شرط الصدق، القبول، والانقياد، والمحبة، وجعلها من مضمونها.

والصحيح أن هذه شروط مستقلة، وهي وإن كانت متلازمة مترابطة إلا أنه قد يوجد بعضها دون الآخر، فلا تقبل كلمة التوحيد إلا باجتماعها فتنبه !.

تنبيه:

من جعل الصدق واليقين والإخلاص بمعنىً واحد فقد أخطأ، والصواب أنه وإن كانت هذه الشروط الثلاثة متقاربة في المعنى ومتلازمة في المقتضى والمدلول إلا أن لكل واحد منها معنىً زائدا عن غيره يخصه من دون البقية.

المسألة السابعة عشرة: علامات الصدق وآثاره:

١ـ طمأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب وآثاره حصول الريبة قال النبي ﷺ :" الصدق طمأنينة، والكذب ريبة " رواه الترمذي وأحمد.

٢ـ ومن آثاره وعلاماته أيضا، أنه بركة، وفي الحديث:" فإن صدقا وبينا بورك لهما، وإن كذبا وكتما، محقت بركة بيعهما ". كذلك من يصدق مع الله في كلمة التوحيد وشهادته، يبارك له في عمله وعمره، ومن يكذب تمحق بركته.

٣ـ ومن آثاره حصول البر الهادي للجنة، كما في الحديث:" إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ".

المسالة الثامنة عشرة: الفرق بين الصدق واليقين:

الصدق ينافي الكذب، واليقين ينافي الشك، والأصل أن العبد إذا تيقن بالشيء صدق فيه فيكون الصدق حالّا بعد اليقين واليقين سببا له، والصدق قد يقابل الريب، كما في قوله: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ الحجرات:١٥.

كذلك الصدق ملزوم العلم واليقين: أي أن العلم الحق واليقين يستلزمان حصول الصدق، والصدق يستلزم بقية الشروط المحبة والإخلاص والقبول والانقياد.

المسالة التاسعة عشرة: متعلَقُ الصدق وما يكون عليه:

يكون الصدق في الشهادتين فيتعلق بالإيمان بالله، والصدق في الرضا به ومحبته، كما يتعلق الصدق بالإيمان بالرسول ﷺ ، وتصديقه في كل ما أخبر عنه من الغيبيات، والصدق في طاعته واتباعه وتفضيل شرعه وهديه ودينه.

المسالة العشرون: اتصاف الله بالصدق:

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ النساء: ٨٧. وقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ** ﴾ آل عمران: ١٥٢.

المسألة الحادية والعشرون: قول المرجئة الكرامية والجهمية في الصدق في الإيمان:

زعمت المرجئة الجهمية والأشاعرة أن التصديق كافٍ في قبول الإيمان وأنه خاص بالقلب، وأسقطت الكرامية شرط الصدق والإخلاص، وقالت: من قال لا إله إلا الله بلسانه فهو مؤمن، وإن لم يكن مصدقا بقلبه، فالمنافق عندهم مؤمن في الدنيا، وإن كان كافرا في الآخرة.

ويشبه قولهم: قولَ مرجئة العصر أن من نطق بالشهادتين حكم بإسلامه وامتنع كفره، ولو فعل المكفرات كلها، فنقضوا شرط الصدق **!**.

المبحث الثاني

كفر الكذب والنفاق

المسألة الأولى: الكفر المتعلق بترك الصدق:

١ـ التكذيب: ضد التصديق وهو متعلق بالقبول، وضده التكذيب متعلق بكفر الرد، وسيأتي الكلام عن الرد، وعلاقته بشرط القبول أظهر من علاقته بشرط الصدق، وتقدم أن المقصود بهذا الشرط الصدق، وليس التصديق.

٢ـ النفاق: وهو الذي يقابل الصدق، ويتعلق حصوله بترك هذا الشرط.

المسألة الثانية: تعريف النفاق:

النفاق: هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وأساسه التكذيب، والكذب ضد التصديق والصدق، وتقدم كلام ابن تيمية وغيره.

المسألة الثالثة: أقسام النفاق:

١ـ النفاق الأكبر المخرج من الإسلام.

٢ـ النفاق الأصغر والذي لا يخرج عن دائرة الإسلام والدين والإيمان مثل الكذب وإخلاف الوعد.

والنفاق منه الاعتقادي ومنه العملي وكل من النوعين يدخل في القسمين الأولين، الأكبر والأصغر، فمن الاعتقاد ما هو أصغر، إلا أن الأصل فيه أنه أكبر، وكذا العكس العملي، الأصل فيه أنه من الأصغر ويوجد منه ما هو من النفاق الأكبر.

قال ابن تيمية:" فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبي وغيره، بأن يبطن تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه ".

المسألة الرابعة: علامات النفاق:

للنفاق علامات تميزه ذكرها الله في كتابه وبينها لرسوله ﷺ كذلك ذكر شيئا منها الرسول ﷺ وبينها لأمته، وهذه الصفات تفضح أهله لأن الأصل أنهم متسترون حاذرون دائموا الريب والحذر والخوف والشك، يحذرون أن تنزل فيهم سورة تبين أعمالهم النفاقية وما يخفون من الاعتقاد.

المسألة الخامسة: أحكام النفاق والمنافقين:

المنافق في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، والمنافق في الدنيا له ثلاث حالات:

الأولى: إذا لم يعلم بحاله تجرى عليه أحكام الإسلام، مثله مثل المسلمين.

الثانية: فإذا علم نفاقه وتبين للناس أمره فله حالتان:

١ـ إن ظهر كفره ونفاقه يصرْ مرتدا كافرا يستتاب فإن تاب وإلا قتل ولا يصير منافقا، بل إما كافرا كفرا أصليا إذا كان ادعى الدخول في الإسلام، ومرتدا إذا كان من أهل الإسلام ونشأ عليه.

٢ـ وإن لم يظهر نفاقه وإنما تبين نفاقه بالقرائن أو لبعض الناس فإن هذا يجري عليه أحكام الكفر فيقتل إذا قدر عليه، ولا تجري عليه أحكام المنافقين في عهد الرسول ﷺ ، لأن ذلك كان خاصا به ولمصلحة زالت علتها وهي:" حتى لا يقال محمد يقتل أصحابه " وقد زالت العلة فزال بزوالها الحكم، فيبقى الحكم على أصله وهو أن الكافر تجري عليه أحكام الكفر، وهذا الذي رجحه ابن القيم والمحققون من أهل العلم وهو قول عمر رضي الله عنه .

الثالثة: أما إذا شك في نفاقه فالأصل عدمه فيجري عليه أحكام الإسلام، قال حذيفة رضي الله عنه :" إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ ، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان " رواه البخاري. وقال رضي الله عنه :" إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ ، كانوا يومئذ يسرون، واليوم يجهرون " رواه البخاري.

المسألة السادسة: بعض النواقض العملية من قبيل النفاق:

مثل السخرية والاستهزاء والريب وموالاة الكافرين والتجسس للكفار ومناصرتهم وحرب المسلمين والسعي لإهانتهم والفرح والرضا بظهور الكفار على المسلمين، والإعراض عن الدين ولمز الشريعة والطعن في أحكامها، والسعي في تنحية الحكم بها بين المسلمين، وتبديلها بأحكام الطاغوت والأنظمة الكفرية والقوانين الوضعية، وحرب أهل التوحيد ومناصرة الروافض والصوفية والقبورية، وتأييدهم على باطلهم والانتصار لشركهم كما يفعله كثير من علماء السوء المناضلين عن الشرك والمدافعين عنه.

المسألة السابعة: أنواع المنافقين:

النفاق منه أصلي مع الدخول في الإسلام، ومنه الطارئ الحادث والحاصل بفعل ناشئ، ومثله الشك والريب.

مسالة: كما أن منهم من يعلم بنفاقه وكفره، ومنهم من لا يعلم بأنه منافق كافر، ولأجل هذا كان الصحابة يخافون على أنفسهم منه، نعوذ بالله منه ومن أهله.

مسألة: حالات المنافق:

١ـ أن يكون تكذيبه في الباطن عن عدم اقتناع، ولا تَبِينُ له صحة الدين وصدقه أو حصل له الريب والشك.

٢- أن يكون كفره وتكذيبه عن حسد أو بغض أو عدم قبول أو غير ذلك من أسباب النفاق وأوصافه مع وجود التصديق فيعلم أن الدين حق والرسول ﷺ صادق فيصدق في باطنه لكن لا يحب ولا يؤمن ولا ينقاد، وهذه المسألة متعلقة بمسألة أسباب النفاق وأوصافه ودرجاته وأحواله وأنواع ما يبطنه المنافق.

المسألة الثامنة: الزنديق هو بمعنى المنافق:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الإيمان الأوسط:" ولما كثرت الأعاجم تكلموا بلفظ الزنديق، وشاعت بلسان الفقهاء وتكلم الناس في الزنديق، هل تقبل له توبة؟ والمقصود هنا أن الزنديق في العرف هو المنافق الذي كان في عهد النبي ﷺ ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره سواء أبطن دينا من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم أو كان معطلا جاحدا للصانع والمعاد والأعمال الصالحة والامتناع ".

قال ابن القيم في طريق الهجرتين:" طبقة الزنادقة وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسوله ﷺ وهؤلاء المنافقون هم في الدرك الأسفل من النار ".

المسالة التاسعة: قيام النفاق على الكذب:

قال في المدارج:" زرع النفاق ينبت على ساقيتين، ساقية الكذب، وساقية الرياء ومخرجهما من عينين عين ضعف البصيرة وعين ضعف العزيمة فإذا تمت هذه الأركان الأربع استحكم نبات النفاق ".

المسألة العاشرة: أصل النفاق في القلب وتظهر أثاره على الجوارح:

قال ابن تيمية في الصارم:" وذلك أن الإيمان والنفاق أصله في القلب، وإنما يظهر من القول والفعل فرع له ودليل عليه، فإذا ظهر من الرجل شيء من ذلك ترتب الحكم عليه، فلما أخبر سبحانه أن الذين يلمزون النبي ﷺ والذين يؤذونه من المنافقين ثبت أن ذلك دليل على النفاق وفرع له ومعلوم أنه إذا حل فرع الشيء ودليله حصل أصل المدلول عليه فثبت أنه حيث ما وجد ذلك كان صاحبه منافقا سواء كان منافقا قبل هذا القول أو حدث له النفاق بهذا القول ".

المسألة الحادية عشرة:

العمل النفاقي قد يكون سببه النفاق أو هو سبب النفاق وهو الذي أحدثه ولا يوجد نفاق قبله، فمثلا الاستهزاء قد يكون سببه وجود النفاق في القلب وقد لا يكون موجودا أصلا وإنما حدث بعد الاستهزاء.

المسألة الثانية عشرة: توبة المنافق:

ما بينه وبين الله في الباطن فقد يتوب المنافق ويسلم بعد كفره ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ النساء:١٤٥-١٤٦.

أما في الظاهر فهذا محل خلاف بين أهل العلم في قبول توبته إن عُلم به وقدر عليه قبل التوبة.

كما هناك مسائل تتعلق بأحكام النفاق والمنافق العقدية والفقهية سنخرجها في رسالة مستقلة إن شاء الله تعالى.

الشرط الرابع

الإخــلاص

ورابعها الإخلاص فاعلم وضده	هو الشرك بالمعبود في كل مقصد
وإخـلاص أنواع العبادة كـلها	كـذا النفي للشرك المفـند والـند
كما أمر الله الكريم نبيه	بسورة تنزيل الكتاب الممجد

المسألة الأولى: تعريف الإخلاص:

الإخلاص لغة: من الخلوص وهو الصفاء والتنقية والتهذيب والتمايز وعدم المخالطة، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **خَلَصُوا نَجِيًّا** ﴾ يوسف:٨٠. أي انفردوا وتميزوا عن المخالطة، وقوله تعالى: ﴿ **لَبَنًا خَالِصًا**﴾ النحل:٦٦. وقوله تعالى: ﴿ **خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا** ﴾ الأنعام:١٣٩.

المسألة الثانية: المراد بالإخلاص شرعا:

قصد الله وحده بالعمل والطاعة، وإرادة وجهه بالعبادة، وأن لا يقع قائلها في الشرك.

والمراد بالإخلاص في قول لا إله إلا الله أن لا يخالطها شرك ولا رياء في أصلها أو في أفراد العبادة بل يقولها المسلم مخلصا بها غير مشرك .

أسماء الإخلاص:

قد يعبر عنه بالابتغاء، أو النية، أو الإرادة، أو القصد.

النية كحديث:" إنما الأعمال بالنيات " والابتغاء قال سبحانه: ﴿ **إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى** ﴾ الليل:٢٠.

وقال النبي ﷺ :" إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ". والإرادة كقوله تعالى: ﴿ **مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ** ﴾ آل عمران: ١٥٢.

المسألة الثالثة: حكم الإخلاص ومنزلته ومكانته:

الإخلاص ركن الدين القويم ولا يقبل عمل ولا عبادة بدونه، كما جاءت الأدلة والآيات بذلك، وهو الغاية التي من أجلها خلق الخلق وبعثت الرسل، والدليل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾ البينة:٥. وقال سبحانه ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ الذاريات: ٥٦. ومعلوم أن العبادة لا تقبل، بل ولا ينظر فيها إلا إذا كانت خالصة لله وحده، وقام بها التوحيد، ومالت وحنفت عن الشرك، ولهذا كان السلف ـ رحمهم الله ـ يعتنون بالإخلاص، ويجاهدون أنفسهم عليه، يقول سفيان الثوري:" ما عالجت شيئا أشد علي من نيتي لأنها تنقلب علي "، وقال الإمام أحمد:" أمر النية شديد "، وقال القشيري:" أعز شيء في الدنيا الإخلاص "، وقال ابن القيم في الفوائد:" لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس ".

المسألة الرابعة: الإخلاص يرادف التوحيد:

الإخلاص والتوحيد والإفراد وقد وردت هذه الألفاظ بإنابة بعضها عن بعض في الشرع، وذكرنا في مواضع أنه يسمى التوحيد توحيدا، لكونه يقوم على ركني النفي والإثبات.

الركن الأول: النفي: والذي حقيقته " الكفر بالطاغوت " ، ومعناه البراءة من الكفر والشرك وأهله، ومعاداتهم، وتكفيرهم.

الركن الثاني: الإثبات: والذي حقيقته عبادة الله وحده، وعدم الاستكبار عن عبادته، والتولي عن طاعته، أو الامتناع عن الالتزام بدينه وشرعه وامتثال أمره وفرائضه، وإذا كان تارك الركن الأول يعتبر مشركا، إذا لم يكفر بالطاغوت ويتخلص من عبادة غير الله، فإن تارك الركن الثاني والذي هو عبادة الله كافرٌ كفر امتناع وتولي وإعراض واستكبار وإباء.

المسألة الخامسة: أدلة الإخلاص:

١ـ قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ﴾ الزمر:١١.

٢ـ وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا** ﴾ مريم: ٥١.

على قراءة الفتح مختارا وعلى قراءة الكسر موحدا.

٣ـ وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾ البينة:٥.

٤ـ وقال تعالى: ﴿ **هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ غافر:٦٥.

٥ـ وقال تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ** مِن دُونِهِ ﴾ الزمر:١٤ـ١٥.

٦ـ وقال تعالى: ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ الزمر:٢ـ٣.

٧ـ وقال تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ الأعراف:٢٩.

٨ـ وقال تعالى: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ ص:٨٢ـ٨٣.

٩ـ وقال تعالى: ﴿ **مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ** ﴾ آل عمران:١٥٢.

١٠ـ وقال تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ** ﴾ هود:١٥.

١١ـ وقال سبحانه: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾ الملك:٢. قال الفضيل بن عياض:" أحسن العمل هو أخلصه وأصوبه ".

١٢ـ قال سبحانه: ﴿ **فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ غافر:١٤.

١٣ـ وقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ لقمان:٢٢.

١٤ـ وقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** ﴾ النساء:١٥.١٢٥

١٥ـ وقال سبحانه: ﴿ **حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ** ﴾ الحج:٣١.

١٦ـ وقال تعالى: ﴿ **وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ** ﴾ الشرح:٨.

١٧ـ وقال تعالى: ﴿ **إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى** ﴾ الليل:٢٠.

ومن السنة:

١ـ قال الرسول ﷺ :" أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه " رواه البخاري.

٢ـ عن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :" من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة " رواه ابن حبان.

٣ـ عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" إني لأرجو ألّا يموت أحد يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه فيعذبه الله عزو جل. رواه الديلمي والخطيب في تاريخه.

٤ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :" ما قال عبد لا إله إلا الله قطُّ مخلصا من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر " رواه الترمذي.

٥ـ وقال ﷺ :" إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله " رواه البخاري ومسلم.

٦ـ وقال النبي ﷺ :" ما قال عبد قط ـ وفي رواية من قال ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصا بها قلبُه يصدق بها لسانَه ـ وفي لفظ مخلصا بها روحُه مصدقا بها قلبُه لسانَه ـ إلا فتق الله لها السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض وحُقَّ لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله " رواه النسائي في عمل اليوم والليلة.

قال الحافظ:" وحده لا شريك له تأكيد بعد تأكيد اهتماما بمقام التوحيد ".

٧ـ وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عندما سأل الرسول ﷺ عن أسعد الناس بالشفاعة فقال:" شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا وأن محمدا رسول الله يصدق لسانُه قلبَه وقلبُه لسانَه " رواه أحمد.

٨ـ قال رسول الله ﷺ :" إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتُغِي به وجُه " رواه النسائي .

٩ـ قال رسول الله ﷺ لسعد:" إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة "رواه مسلم.

١٠ـ قال ﷺ :" ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم " إخلاص العمل لله ..."رواه أحمد.

١١ـ قال ﷺ :" قال الله تعالى:" أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه " رواه مسلم.

١٢ـ قال ﷺ :" إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " رواه مسلم. ومصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿ **وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى** ﴾ الحج: ٣٧.

١٣ـ قال ﷺ :" أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر؟ قال الرياء " رواه ابن ماجه.

١٤ـ حديث: أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، العالم ، والمجاهد، والمنفق، الذين كانت نيتهم مدح الناس والرياء والسمعة. (١).

المسالة السادسة: أقوال أهل العلم:

قال البربهاري:" شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صاحبها إلا بصدق النية وخالص اليقين ".

قال السمعاني في تفسيره:" الإخلاص هو التوحيد، ويقال الإخلاص هو تصفية النية في طاعة الله تعالى".

وقال:" مخلصا له التوحيد " " وإخلاص التوحيد أن لا تشرك به غيره ".

قال ابن الجوزي في زاد المسير:" قل الله أعبد مخلصا له ديني بالتوحيد ".

قال البيضاوي:" ممحصا له الدين من الشرك والرياء ".

وقال النسفي:" ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر ".

قال الواحدي في تفسيره:" مخلصا له الدين أي الطاعة والمعنى أعبده موحدا لا إله إلا هو ".

قال الخطابي في معالم السنن:" الإخلاص وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معا ".

قال الخجندي الحنفي في مفتاح الجنة:" ولا إله إلا الله هي كلمة الإخلاص، ولكن لا تنفع قائلها عند الله وفي الدار الآخرة، إلا بشروط : العلم، واليقين، والإخلاص ".

---

(١) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت، قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها، قال تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرات القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها، قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار "رواه مسلم

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي:" بشرط كونه مؤمنا مخلصا ".

قال الفضيل ابن عياض:" أحسن العمل هو أخلصه وأصوبه، والعمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة ". نقله عنه ابن تيمية في العبودية والاستقامة.

قال ابن تيمية:" الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن إخلاص الألوهية له، فلا يجوز أن يتأله القلب غيره، لا بحب ولا خوف ولا إجلال ولا إكرام ولا رغبة ولا رهبة، بل لا بد أن يكون الدين كله لله"(١).

وقال رحمه الله:" وكلما حقق العبد الإخلاص في قول لا إله إلا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه "(٢).

وقال:" النوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله فيغفر الله له به كبائر، كما في حديث البطاقة....فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص"(٣).

وقال ابن القيم:" وتأمل قول النبي لأبي هريرة وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله قال : أسعد الناس بشفاعتي : من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه. كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته : تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين : أن الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله فقلب النبي ما في زعمهم الكاذب وأخبر أن سبب الشفاعة : هو تجريد التوحيد".

وقال ابن القيم في المدارج:" فإن الإخلاص هو إفراد المعبود عن غيره....وهو قصد المعبود وحده بالتعبد ".

وقال في إعلام الموقعين:" وتجريد القصد طاعة للمعبود ".

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا** ﴾ الفرقان:٢٣. :"وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، وكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين وقد تجمعهما معا فتكون أبعد من القبول حينئذٍ ".

قال الحافظ:" وحده لا شريك له: تأكيدٌ بعد تأكيدٍ، اهتماما بمقام التوحيد ".

وذلك لأن نفي الشرك هو بمعنى (وحده) الدال على التوحيد.

قال البغوي في تفسير قوله تعالى:﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ الزمر:٣." قال قتادة: شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل لا يستحق الدين الخالص إلا الله، وقيل الدين الخالص من الشرك هو لله وقال في تفسير قوله تعالى:﴿ **مخلصا له الدين** ﴾ أي: مخلصا له التوحيد لا أشرك به شيئا ".

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٣٤.
(٢) المجموع ٢٦٠/١.
(٣) منهاج السنة ٢١٨/٦.

وقال الشوكاني في فتح القدير:" والإخلاص أن يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه، والدين العبادة والطاعة ورأسها توحيد الله وأنه لا شريك له ".

وقال:" ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يخبرهم بما أمر به من التوحيد والإخلاص فقال:﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ﴾ الزمر:١١. أي: أعبده عبادة خالصة من الشرك والرياء وغير ذلك، قال مقاتل: إن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ ما يحملك على الذي أتيتنا به ألّا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فتأخذ بها، فأنزل الله الآية ".

وقال العيني في عمدة القاري:" قوله خالصا وفي بعض النسخ مخلصا من الإخلاص، والإخلاص في الإيمان ترك الشرك، وفي الطاعة ترك الرياء، قوله (من قلبه) ذكر للتأكيد لأن الإخلاص معدنه القلب".

قال ابن عبد البر في التمهيد:" من قالها مخلصا من قلبه دخل الجنة: فدل على أن هناك من يقولها غير مخلص بها وحسابه على الله كما قال رسول الله ﷺ ، وقد أجمعوا أن أحكام الدنيا على الظاهر، وإن السرائر على الله عز وجل ".

وقال ملا القاري في المرقاة:" خالصا من قلبه: أي لا يشوبه شك وشرك ولا يخالطه نفاق وسمعة ورياء".

وقال العراقي في طرح التثريب:" الحديث وفيه إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه ".

قال أبو السعود في الإرشاد:" قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين: أي من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك، أمر رسول الله ﷺ ببيان ما أمر به نفسه من الإخلاص في عبادة الله الذي هو عبارة عما أمر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الإتيان بما كُلِفوه ".

قال السعدي في تفسيره:" لا إله إلا هو: أي لا معبود بحق إلا وجهه الكريم، فادعوه، وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، مخلصين له الدين: أي اقصدوا بكل عبادة ودعاء وعمل وجه الله تعالى فإن الإخلاص هو المأمور به كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾ البينة:٥.

قال الآلوسي في روح المعاني:" فادعوه: فاعبدوه خاصة لاخْتِصاصِ ما يوجب ذلك به تعالى. وتفسير الدعاء بالعبادة هو الذي يقتضيه قوله تعالى:﴿ **مُخلصينَ له الدِّين** ﴾ أي: الطاعة من الشرك الخفي والجلي وأنه الأليق بالترتب على ما ذكر من أوصاف الربوبية والألوهية وإنما ذكرت بعنوان الدعاء لأن اللائق هو العبادة على وجه التضرع والانكسار والخضوع ".

قال الطبري في تفسيره:" يقول تعالى ذكره:﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ﴾ الزمر:٢. اخشع له يا محمد بالطاعة وأخلص له الألوهية وأفرده بالعبادة ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكا كما فعلت عبدة الأوثان ....قل يا محمد لمشركي قومك إن الله أمرني أن أعبده مفردا له الطاعة دون كل ما تدعون من دونه

من الآلهة والأنداد ....وأمرني ربي جل ثناؤه بذلك؛ لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم فأخضع له بالتوحيد وأخلص له العبادة وأبرأ من كل ما دونه من الآلهة..قل يا محمد لمشركي قومك اللهَ أعبد مخلصا مفردا له طاعتي وعبادتي لا أجعل له في ذلك شريكا ولكني أفرده بالألوهية وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة ".

قال الكلبي في التسهيل:" ﴿ **أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ الزمر:٣. قيل معناه من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص، ويحتمل أن يكون معناه إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره، ومعنى الخالص: الصافي من شوائب الشرك، وقال قتادة: الدين الخالص: شهادة أن لا إله إلا الله، وقال الحسن: هو الإسلام، وهذا أرجح لعمومه ".

قال الشنقيطي في أضواء البيان:" ﴿ **مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ﴾ أي مخلصا له في عبادته من جميع أنواع الشرك صغيرها وكبيرها كما هو واضح من لفظ الآية ".

وقال:" والإخلاص: إفراد المعبود بالقصد في كل ما أمر بالتقرب به إليه، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون الإخلاص في العبادة لله وحده لا بد منه جاء في آيات متعدده وقد بين جل وعلا أنه ما أمر بعبادة إلا عبادة يخلص له العابد فيها، أما غير المخلص فكل ما أتى به من ذلك جاء به من تلقاء نفسه لا بأمر ربه قال تعالى:﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾ البينة:٥. وقوله تعالى:

﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ أي التوحيد الصافي من شوائب الشرك أي هو المستحق لذلك وحده وهو الذي أمر به، وقول من قال من العلماء إن المراد بالدين الخالص كلمة لا إله إلا الله موافق لما ذكرنا ".

قال ابن حجر في فتح الباري:" والحق أن من قال لا إله إلا الله مخلصا أتى بمفتاح وله أسنان، لكن من خلط ذلك بالكبائر حتى مات مصرا عليها لم تكن أسنانه قوية فربما طال علاجه، والإخلاص يستلزم التوبة والندم ويكون النطق عَلَماً على ذلك وأدخل حديث أبي ذر ليبين أنه لا بد من الاعتقاد ".

وقال:" في قوله أسعد: إشارة إلى اختلاف مراتبهم في السبق إلى الدخول باختلاف مراتبهم في الإخلاص ولذلك أكده بقوله من قلبه مع أن الإخلاص محله القلب لكن اسناد الفعل إلى الجارحة أبلغ في التأكيد وبهذا التقرير يظهر موقع قوله (أسعد) وأنها على بابها من التفضيل ولا حاجة إلى قول بعض الشراح الأسعد هنا بمعنى السعيد لكون الكل يشتركون في شرطية الإخلاص، لأنا نقول يشتركون فيه لكن مراتبهم فيه متفاوتة ".

المسألة السابعة: محل الإخلاص وأركانه:

الأول: إخلاص القلب: وهذا الأصل وهو أن الإخلاص محله القلب والنية.

والدليل:" من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه " وهو من أعمال القلوب وليس من أقوالها، مثل العلم والتصديق.

الثاني: الإخلاص القولي: وهو المتعلق بقول اللسان، يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ **وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ الأعراف:٢٩.ومعلوم أن الدعاء متعلق بقول اللسان.

الثالث: الإخلاص العملي الظاهر: وهو المتعلق بأعمال الجوارح الظاهرة ودليله قوله تعالى:

﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ﴾ الزمر:٢. والعبادة أشمل إذ هي متعلقة بالقلب واللسان والجوارح.

كذلك حديث:" لا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجه " رواه النسائي، والحديث صريح في تعلق الإخلاص بالعمل.

المسألة الثامنة: اطلاقات الإخلاص:

للإخلاص معنيان:

المعنى الخاص: وهو المتعلق بالإرادة والنية وبعض أفراد العبادة والطاعة، ويكون بهذا الاعتبار والإطلاق جزء من التوحيد، ويصير المقصود به ما يقابل الرياء والسمعة والعجب وإرادة الدنيا، فيكون مقابلا لشرك الإرادة والنية والقصد بنوعيه الأكبر والأصغر دون غيره من أنواع الشرك في العبادة فضلا عن الشرك في الربوبية.

المعنى العام: والذي هو مرادف للتوحيد ويتعلق بأصل الإيمان ويكون مقابلا بهذه الصفة والمعنى جميع أنواع الشرك بل وحتى الكفر والنفاق وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ﴾ الزمر:٢.

قال العيني في العمدة:" الإخلاص في الإيمان ترك الشرك، وفي الطاعة ترك الرياء ".

المسألة التاسعة: ما يقابل الإخلاص ويناقضه ويضاده:

١ـ الشرك بجميع أنواعه في الألوهية والربوبية، وبالأخص الشرك في العبادة، ﴿ **قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ** ﴾ الزمر:١٤ـ١٥.﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَا** ﴾ البينة:٥. وهذا إذا أطلق الإخلاص بمعناه العام.

٢ـ شرك الرياء والسمعة وإرادة الدنيا:

وصورته أن يعبدَ اللهَ لكن لا يريد وجهه وثوابه، وإنما يريد الدنيا أو مدح الناس أو يريد الله والناس ويعمل لهما مشركا لهما في التوجه والقصد.

٣ـ النفاق ويدخل في عموم الأول: ويدل لذلك قوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ** ﴾ النساء:١٤٥ـ١٤٦.

المسالة العاشرة: مراتب الإخلاص وأقسامه إلى أصل وكمال:

الإخلاص له مراتب يتفاوت الناس فيها، والإخلاص في نفسه يزيد وينقص في المؤمن يزيد إلى درجة الكمال وينقص إلى درجة الأصل الواجب، والناس يتفاضلون فيه على القاعدة في مسالة زيادة الإيمان ونقصانه، والإخلاص من الإيمان.

ومن زال من قلبه أصل الإخلاص فهو إما كافر مشرك أو منافق كمن زال عنه أصل الإيمان، أما من زال كمال الإخلاص عنه فهو مسلم وقد يكون عاصيا. فالإخلاص مثله مثل بقية أعمال القلوب وشروط التوحيد من المحبة اليقين والصدق وغيرها.

وله مرتبتان:

الأولى: أصل الإخلاص : وهو المتعلق بأصل الدين، وهذا لا بد منه في الشهادتين، وإلا كان صاحبها كافر مشرك أو منافق.

الثانية: كمال الإخلاص:

وهذه المرتبة أصحابها بين من أتى بالإخلاص الواجب والمستحب، ومن أتى بالواجب وترك المستحب، ومن عنده أصل الإخلاص دون الواجب والكمال وهو من ترك شيئا من الواجب وفرط في عمل معين في بعض أفراد العبادات وشاب إخلاصه شوائب وهذا كحال بعض اهل الرياء.

ومن الأمثلة: من يطمع فيما بأيدي الناس أو يلتفت لهم أو يتطلع للمدح ويهمه الذم ويتكدر منه أو في قلبه شيء من مهابة الناس والخوف منهم، وكذا المجاهد في سبيل الله وفي قلبه التفات للمغنم.

وسنأتي على بعض الأمثلة أيضا عند الكلام في الأمور التي لا تنافي الإخلاص.

قال ابن تيمية:" وكلما حقق العبد الإخلاص في قول لا إله إلا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه " (١).

وقال ابن تيمية:" والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله فيغفر الله له به كبائر كما في حديث البطاقة....فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص " (٢).

قال ابن حجر في الفتح:" في قوله : (أسعد) إشارة إلى اختلاف مراتبهم في السبق إلى الدخول باختلاف مراتبهم في الإخلاص ولذلك أكده بقوله:(من قلبه) مع أن الإخلاص محله القلب لكن اسناد الفعل إلى الجارحة أبلغ في التأكيد، وبهذا التقرير يظهر موقع قوله:(أسعد) وأنها على بابها من التفضيل،

ولا حاجة إلى قول بعض الشراح الأسعد بمعنى السعيد لكون الكل يشتركون في شرطية الإخلاص، لأنا نقول يشتركون فيه لكن مراتبهم فيه متفاوتة ".

---

(١) المجموع ٢٦٠/١.
(٢) منهاج السنة ٢١٨/٦.

تنبيه:

لا يشترط في من نقص إخلاصه أن يكون واقعا في الشرك الأصغر والعصيان، بل صاحب النقص في الكمال دائر بين المقتصد والظالم لنفسه.

وهذا على الأصل في العبادات كالصدق واليقين والمحبة والانقياد وغيرها، منها الفرض الذي يكفر تاركه، ومنها الواجب الذي يأثم تاركه مع بقاء الإسلام، ومنها المستحب الذي يتفاضل أهل الإيمان فيه ولا يأثم تاركه، وهذا الأصل جاء مبينا في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾ فاطر:٣٢.

المسألة الحادية عشرة: القوادح في الإخلاص:

الأولى: قوادح تقدح في أصل الإخلاص وتنقضه وتزيله بالكلية وتبطله وتفسده من أساسه وهي الشرك الأكبر، وهذا حال المشركين والكفار والمنافقين.

الثانية: قوادح كمالية: تنقص كمال الإخلاص إلا أنها لا تزيله ولا تبطله وإنما تنقص منه وتقدح فيه ويعتبر صاحبه مسلما عاصيا فاسقا، مثل الشرك الأصغر كيسير الرياء، وهذا مبني على قاعدة الكفر والشرك والنفاق الأكبر والأصغر.

والقوادح في شرط الإخلاص المنقصة له:

إما أن يكون صاحبها قصر في الواجب منها أو أنقص منه، أو أنه يأتي بما يقدح فيه من الأفعال التي تستلزم معارضة كمال الإخلاص.

ومما يقدح في الإخلاص وينقصه:

اتباع الهوى والحسد وإرادة الدنيا والحرص عليها.

وهناك أمور خفية في الرياء قادحة في الإخلاص:

ترك العمل الصالح خوفا من الرياء، فإن ذلك من الرياء، نص على ذلك جماعة من السلف كالفضيل.

كذلك من الرياء الخفي ذم النفس والقدح فيها أمام الناس، ليقال لفاعل ذلك أنه متواضع، ومن جنس هذا ما يفعله الملامية وهم فرقة صوفية تفعل ما يلامون عليه ليقابلوا بذلك المرائين.

كذلك من الرياء الخفي ما يوجد عند بعض أهل العبادة والزهد والعلم من محبة أن يُقدموا ويُعظموا ويُبدؤوا بالسلام، وكأنهم ينظرون لأنفسهم أنهم أفضل الناس، وأن لهم حقاً على الناس لما قاموا به من عبادات، وما هذا والله إلا من العجب والرياء كما بين ذلك الغزالي في إحيائه.

المسالة الثانية عشرة: أمور لا تنافي الإخلاص:

ـ كتمان الذنوب وعدم الجهر بها وسترها وكره اطلاع الناس عليها.

ـ فرح العامل بثناء الناس ومدحهم فيما لو اطلعوا على العمل من غير أن يتعمد العامل إظهار عمله أو يسعى لينال المدح.

ـ إرادة شيء من الدنيا مع قصد الله في العمل، كالذي يحج ويتاجر، وكمن يجاهد طاعة لله ويرجو تحصيل الغنيمة، وكذا الصوم والإنفاق والصدقة للدواء والاستشفاء وإن كان أجرهم لا يعدل من كان عملهم كله لله وخالصا لوجهه، وهذا من أحد أوجه زيادة الإخلاص وكماله.

ـ من يجتهد في العبادة إذا رأى الصالحين، لكونهم يعينوه على الخير بقولهم وفعلهم.

المسألة الثالثة عشرة: تحول العادات لعبادات بالنية والعكس:

أهل الإخلاص الكمّل يحتسبون أفعالهم الجِبِّلية ويرجون من الله الكريم أن يثيبهم عليها لكونهم ينوون بها الاستعانة على العبادات، وهذا شأن عباد الله المخلصين.

ويأتي هؤلاء الكرام في مقابل من حوَّل عباداته إلى عادات خاوية عن روح التعبد والتأله لله وحسن النية.

والأسوأ حالا وحظا منهم من يلتمس بعباداته حظوظ الدنيا أو المدح والسمعة والرياء والعجب، فبالنية يبلغ العبد أعلى المنازل، وهذا أصل عظيم ينبغي العناية به ويدل له أدلة كثيرة:

ففي هذا يقول أبو هريرة ﷺ :" إني لأحتسب على الله نومتي وقومتي ".

وفي الحديث:" وعبدا رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء ".

وفي الحديث:" واللقمة تضعها في فيِّ امرأتك صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة ".

وحديث:" حبسهم المرض " في حصول الأجر لمن تمنى الجهاد وعجز عنه.

وحديث:" من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة ".

المسألة الرابعة عشرة: لوازم الإخلاص:

للإخلاص لوازم عدة من أعظمها الصدق والمحبة وقبول الحق والانقياد، وسنأتي على علاقة الإخلاص ببقية شروط كلمة التوحيد، كذلك من لوازمه التوكل والتخلص من حظوظ النفس والإحسان للناس والخوف من الله ورجائه وكذا ما قاله ابن حجر في الفتح:" والإخلاص يستلزم التوبة والندم ".

المسألة الخامسة عشرة: ثمرات الإخلاص:

للإخلاص ثمرات كثيرة ومحاسن عليَّة ومنازل نفيسة ومجالات عديدة وصفات وخصائص، تذكر في كتب الرقائق، وليس هذا مقام ذكرها.

المسألة السادسة عشرة: أهمية الإخلاص:

للإخلاص أهمية بالغة تظهر في اقترانه بشرط الصدق واليقين، وتفاوت الناس في الطاعات والأجر مبني عليها، وذكرنا ذلك عند كلامنا عن شرطية الصدق.

كما أن له أهمية من حيث اقترانه بالانقياد وعدم اعتبار أحدهما من دون الآخر، وسيأتي بيانه في استلزام الإسلام لهما وارتباطهما به.

كما وأن له أهمية كبقية الشروط من حيث اعتباره شرط صحة في التوحيد وعدم قبول الإسلام إذا انعدم ولم يتحقق والعبادة بدونه ملغية فهي كعدمها.

المسألة السابعة عشرة: العبادة بدون الإخلاص ملغية:

قال ابن عباس:" كل أمر بالعبادة فالمراد به التوحيد ".

فالعبادة بدون إخلاص وتوحيد مثلها مثل الصلاة بلا طهارة، وللإمام محمد بن عبد الوهاب كلام نفيس في هذا الباب.

فالشرك متى ما دخل في العبادة أفسدها وأبطلها، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ الزمر:٦٥.

وفي الحديث القدسي قال سبحانه:" أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ".

والشرك على قسمين منه ما يبطل أصل الإسلام والدين كدعاء غير الله وكثير الرياء وإرادة الدنيا، ومنه ما يبطل العمل الذي خالطه فقط كيسير الرياء إذا خالط عملا معينا.

المسألة الثامنة عشرة: علاقة الجهل بفقدان الإخلاص:

من فقد الإخلاص جاهلا ولم يأت به بل وقع في الشرك عن جهل ولا يدري أنه أشرك ويحسب أنه مخلص، فهذا لا يرفع عنه اسم الشرك وحكمه ولا يسقط تكفيره، وقد كان كفار العرب في الجاهلية يظنون أن عبادتهم للأولياء وطلب الشفاعة منهم ودعاءهم والشرك فيهم أمر من دين إبراهيم وأن الله يحبه ويأمر به، كما قال تعالى عنهم: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ الزمر:٣.

وقوله تعالى: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ** ﴾ يونس:١٨. وقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا** ﴾ الأعراف:٢٨. فكثير من جهال المشركين وعوامهم لم يكن يعلم أن عمله هذا يغضب الله أو أنه ينقض ملة إبراهيم والإسلام والتوحيد، بل كانوا يعتقدون أنها بدعة حسنة فلم ينفعهم شركهم، ولا جهلهم شفع لهم، بل سماهم الله بالكفار والمشركين، ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ الكافرون:١، فمشركي زماننا من عباد القبور والمشرعين من باب أولى تكفيرهم مع جهلهم إن تصورنا وجود الجهل لكونهم في ديار الإسلام وبين علماء المسلمين والقرآن بأيديهم، وعليه فلا يعذر الجاهل في التوحيد والواقع في الشرك لجهله على الصحيح كما قرره أئمة الدعوة والتوحيد، واختاره شيخنا عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ ونصره واستنكر مخالفته كذا قرره في مجموع فتاواه.

المسألة التاسعة عشرة: علاقة الإخلاص ببقية الشروط:

الإخلاص الحق مستلزم للشروط الباقية للتوحيد خصوصا الصدق، لكن قد تنفك العلاقة والتلازم فقد يكون الرجل مخلصا لكن لا ينقاد أو لا يحب التوحيد أو يكون غير صادق، فليس كل كفر الكفار مرجعه عدم الإخلاص، بل من الكفار من كفره راجع للنفاق وعدم الصدق، ومنهم من كفره راجع للبغض وعدم المحبة، ومنهم من كفره بسبب الامتناع والتولي والإعراض والاستكبار وعدم الانقياد فلم يعبد الله ولا التزم بأمره ودينه ولا امتثل شرعه.

قال ابن القيم:" والإخلاص والصدق كل منهما يثمر الآخر ويقتضيه ".

قلت: وهنا مسألة وهي أنهما بمجموعهما يثمران الانقياد والاستسلام والمتابعة، وإلا كانا إخلاصا وصدقا كاذبين والعبرة في ذلك بحصول الإخلاص الشرعي المستلزم لبقية الشروط وعلى رأسها الانقياد، وكذلك الانقياد الشرعي المستلزم بقية الشروط وعلى رأسها الإخلاص، وإلا كان إخلاصا وانقيادا باطلا لاغيا لا عبرة به.

المسألة العشرون: علاقة الإخلاص بالانقياد وقيام الإسلام عليهما:

الإخلاص والانقياد كلاهما من شروط كلمة التوحيد، وكل منهما يستلزم الآخر ولا يصح بدونه، ووجه العلاقة التلازمية والتشابه بينهما أن الإسلام يقوم عليهما لأنه عبارة عن الاستسلام الذي يشمل معنيين:

الإخلاص مع الذل، والانقياد، وهما ركنا الدين وضدهما الشرك والكبر وهما ضدان للإسلام ناقضان له.

وبيانه أن من انقاد بلا إخلاص فهو مشرك، ومن أخلص بدون انقياد فهو مستكبر ممتنع، وكلاهما كافر، وهذان الأصلان انطوت عليهما ركنا لا إله إلا الله.

وعليه فالكفار على قسمين:

منهم من لم يعبد الله أصلا ولا عبد غيره، ومنهم من عبد الله على ضلال بغير ما أمر، أو عبده مع عبادة غيره، والأول كافر، والثاني مشرك.

فالأول متولٍ متكبر فاقد للانقياد والقبول والصدق والمحبة.

والثاني مشرك فاقد للإخلاص.

قال ابن تيمية:" وأما الإخلاص فهو حقيقة الإسلام إذ الإسلام هو الاستسلام لله لا لغيره، فمن لم يستسلم لله فقد استكبر، ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك، وكل من الكبر والشرك ضد الإسلام، والإسلام ضد الشرك والكبر "(١).

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا** ﴾ الفرقان:٢٣. وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي إما الإخلاص فيها وإما المتابعة لشرع الله، وكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معا فتكون أبعد من القبول حينئذ ".

المسالة الحادية والعشرون: الفرق بين الإخلاص والصدق:

الإخلاص بأن تكون العبادة لله وحده فلا يخالطها شرك ولا يعبد غير الله.

والصدق بأن يكون في عبادته لله وإسلامه وتوحيده راغبا مقبلا صادقا غير كاذب ولا مجامل ولا منافق.

فضد الإخلاص الشرك وضد الصدق النفاق والكذب، فالمنافق ليس مشركاً، بل كافر، والمشرك ليس منافقاً.

قال ابن القيم في المدارج:" والفرق بينهما : أن للعبد مطلوبا وطلبا، فالإخلاص توحيد مطلوبه والصدق في توحيد طلبه ـ الفعل الطلب الذي هو الصدق، والمفعول المطلوب الذي هو الإخلاص ـ فالإخلاص أن لا يكون المطلوب منقسما، وبالصدق أن لا يكون الطلب منقسما، فالصدق بذل الجهد، الإخلاص لإفراد المطلوب ".

وقال:" وحقيقة الإخلاص توحيد المطلوب وحقيقة الصدق توحيد الطلب والإرادة، ولا يثمران إلا بالاستسلام المحض للمتابعة ".

وقال الشيخ حافظ الحكمي:" للعبادة ركنان لا قوام لها إلا بهما الإخلاص والصدق، وحقيقة الإخلاص أن يكون قصد العبد وجه الله والدار الآخرة، وأما الصدق فبذل العبد جهده في امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه وترك العجز والكسل عن الطاعة ".

---

(١) المجموع ١٤/١٠.

وقال عبد الرحمن بن حسن في قرة عيون الموحدين:" والصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد احدهما بدون الآخر، فإن لم يكن مخلصا فهو مشرك ومن لم يكن صادقا فهو منافق ".

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب:" فالإخلاص في الصلاة يرجع إلى إفرادها عما يخالطها من الرياء والطبع والعادة، والصدق يرجع إلى إيقاعها على الوجه المشروع ولو أبغضه الناس لذلك ".

المسالة الثانية والعشرون: الفرق بين الإخلاص والنية:

النية قدر زائد على الإخلاص إذ هي قصد الله وإرادة وجهه والعزيمة على طاعته.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم:" النية في كلام العلماء تقع بمعنيين أحدهما تمييز العبادات بعضها عن بعض كالظهر عن العصر، وكذا تمييز العبادة عن العادة كالغسل الذي للجنابة والطهارة وغسل التبرد، وهذه المقصودة في كلام الفقهاء، والمعنى الثاني تمييز المقصود بالعمل، وهل هو الله وحده لا شريك له أم غيره، أم الله وغيره، وهذه النية هي التي تكلم فيها العارفون والتي توجد في كلام السلف ".

ومن الأولى حديث:" إنما الأعمال بالنيات... فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ".

ومن الثاني حديث:" يبتغي بذلك وجه الله " أي ينوي بها ما عند الله.

المبحث الثاني

الشرك

المسألة الأولى: تعريفه وأسماؤه وأقسامه:

الشرك: بكسر الشين المعجمة وسكون الراء المهملة، وهو الضم والخلط والاقتران، ضد الفرد والوتر والوحدانية والتفرد والتوحيد.

ـ أسماء الشرك والألفاظ التي تطلق عليه:

التنديد ـ العدول ـ التسوية ـ الأمثال ـ الكفو.

المسألة الثانية: تعريف الشرك:

عرفه الإمام محمد بن عبد الوهاب بأنه: صرف العبادة لغير الله من دعاء وذبح ونذر ورجاء وتوكل وإنابة.

وقيل: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

فيدخل في هذا التعريف الشرك في الألوهية والربوبية والاسماء والصفات.

ـ والبعض يعرف الشرك بأنه تشبيه المخلوق بالخالق والعكس.

قال ابن القيم:" حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به ".

المسألة الثالثة: أدلة تحريم الشرك وكفر فاعله:

١ـ قال الله عز وجل:﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾ النساء:٤٨. وهذا الدليل من أصرح الأدلة على أن الشرك أعظم ذنب عصي الله به ومن شناعته أن الله لا يغفره.

٢ـ وقال تعالى: ﴿ واعبدُوا **اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ﴾ النساء:٣٦.

٣ـ وقال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ الزمر:٦٥.

٤ـ وقال تعالى:﴿ **وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ الأنعام:٨٨.

٥ـ وقال تعالى:﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** ﴾ المائدة:٧٢.

٦ـ وقال تعالى:﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ التوبة:٣١.

٧ـ وقال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ الأنبياء:٢٥.

٨ـ وقال النبي ﷺ :" من مات يشرك بالله شيئا دخل النار " رواه البخاري، وقد تنوعت أساليب القرآن في إبطال الشرك بالحجج العقلية.

المسألة الرابعة: العلاقة بين الشرك والنواقض:

الشرك أحد نواقض الإسلام وله ارتباط بأكثر النواقض، فناقض الحكم داخل في الشرك، في شرك التشريع والطاعة، وناقض موالاة الكفار ومظاهرتهم وعدم تكفيرهم داخل في شرك المحبة والموالاة، وناقض السحر فيه شرك من جهتين عبادة الجن وادعاء علم الغيب وهذا شرك في الربوبية فالشرك داخل في سبعة من النواقض العشرة فلم يبق إلا ناقض البغض للدين والاستهزاء والإعراض فهي خارجة عن الشرك بمعناه الخاص داخلة في الشرك بمعناه وإطلاقه العام.

المسألة الخامسة: علاقة الشرك بشروط لا إله إلا الله:

شروط لا إله إلا الله تنافي الشرك فالمشرك نقض العلم فجهله والمحبة فأبغض التوحيد وأحب معبوداته من دون الله، ولا صدق حيث كذب المشرك في نفسه وأكذب ربه والعياذ بالله حين زعم أن الله رضي الشرك وأراده، واليقين حيث أن المشرك شاك في التوحيد مشكّك في ربه، والقبول حيث رد التوحيد ولم يقبل، والانقياد حيث امتنع عن الإذعان والتسليم لربه فأشرك وعبد غيره وانقاد له، والإخلاص حين أشرك ولم يخلص في عبادته لله وهذا الشرط والسابق ظاهر الزوال والإبطال في الشرك أكثر من غيره، فتبين بذلك أن الشرك هادم للشروط السبعة جميعها وبالأخص الانقياد والإخلاص.

المسألة السادسة: علاقة الشرك بالكفر بالطاغوت:

الشرك حقيقته كفر بالله وإيمان بالطاغوت فالتوحيد والإيمان والعروة الوثقى والإخلاص حقيقتها يقوم على ركنين: الإيمان بالله وعبادته والكفر بعبادة ما سواه، وكل معبود سواه هو طاغوت لأن الطاغوت كل متبوع من دون الله ورسوله أو مطاع أو معبود.

المسألة السابعة: علاقة الشرك بأنواع الكفر:

الكفر له خمسة أنواع وهذه الأنواع في الحقيقة هي صفات لحال الكفر فالكفر إما أن يكون إعراضا أو عنادا واستكبار وإباء وامتناعا أو شكا او نفاقا أو تكذيبا وردا وجحودا أو ردّة عن الدين.

والشرك يكون بأحد هذه الانواع فقد يكون صفته وسببه الإعراض أو العناد والإباء أو الشك أو التكذيب والجحود أو النفاق أو الردة.

المسألة الثامنة: الفرق بين الكفر والشرك:

اختلف أهل العلم واللغة في الفرق بين الكفر والشرك والعلاقة بينهما على اقوال:

القول الاول: أنهما بمعنى واحد فكل كفر شرك والعكس فالشرك الاكبر كفر اكبر والشرك الاصغر كفر أصغر والعكس صحيح فالكفر الاكبر شرك أكبر والأصغر أصغر وممن قال بهذا الجوهري.

القول الثاني: أن الكفر أعم من الشرك فالكفر خصال كثيرة منه الشرك ومنه تكذيب الأنبياء وإنكار المعاد أو الملائكة وجحد الواجب واستحلال المحرم وعدم الانقياد للشريعة والامتناع عنها أو الاستهزاء بالدين أو بغضه وبغض الرسول ﷺ وغير ذلك من ألوان الكفر وخصاله والتي ليست بشرك وبهذا قال العسكري في فروقه وغيره والصحيح ان الشرك له إطلاقان:

إطلاق خاص: وهو عبادة غير الله وهذا الغالب.

إطلاق عام: وهو مرادف لنفس الكفر.

المسألة التاسعة: تاريخ الشرك:

الأصل في الخلق التوحيد والشرك طارئ:

وقد خلق الله الخلق على توحيده وفطرهم على عبادته والإيمان التام به ثم حصل العصيان ثم الشرك وقد لبث الناس على التوحيد بعد آدم عشرة قرون ثم بعدها فعلوا الشرك ، يدل لذلك ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام " رواه الحاكم، وكان سبب شركهم التصوير والغلو في الصالحين.

ومما يدل على أن الأصل في الناس التوحيد قوله تعالى:﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ** ﴾ البقرة:٢١٣.

كما أن الشرك وقع في هذه الأمة كما أخبر الرسول ﷺ وأول من أدخله الرافضة في القرن الرابع.

بل إن كل شرك وقع في الأمم السابقة واقع في هذه الأمة أو سيقع لا محالة.

المسألة العاشرة: أحكام الشرك والمشرك:

الشرك الاكبر كفر مخرج من الإسلام ويبيح دم صاحبه ويخلده في نار جهنم قال تعالى:﴿ **إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ** ﴾ المائدة:٧٢.

وقال تعالى:﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ** ﴾ التوبة:٥.

ولا يجوز قتل المشرك إلا بعد إقامة الحجة عليه وإبلاغه الدعوة واستتابته قبل قتله (١).

أما الشرك الأصغر فلا يخرج صاحبه من الإسلام ولا يبيح الدم ولا يخلده في النار.

المسألة الحادية عشرة: أنواع الشرك وأقسامه:

الشرك ينقسم إلى أقسام باعتبارات:

الاعتبار الأول: باعتبار النوع: فينقسم إلى شرك في الألوهية وشرك في الربوبية.

الاعتبار الثاني: باعتبار خطره : فينقسم إلى شرك أكبر وشرك أصغر.

الاعتبار الثالث: باعتبار ظهوره وخفائه: فينقسم إلى شرك ظاهر وشرك باطن (خفي).

الاعتبار الرابع: باعتبار الآلة: فينقسم إلى شرك فعلي وشرك قولي وشرك اعتقادي.

الاعتبار الخامس: ينقسم إلى شرك تعطيل وسلب وإنكار، وشرك تنديد وتمثيل وإيجاد وإثبات.

كما يتنوع إلى:

- شرك الدعوة والمحبة والإرادة والطاعة.
- وشرك في الأحياء وشرك في الأموات.
- وشرك القبور والقصور الاول الدعاء والثاني في الحكم.
- شرك عناد وجهل وإعراض وجهل وتكذيب.
- شرك استقلال وشيع وشفاعة.

والخمسة الأولى أقسام والباقية هي قبيل الأمثلة وليست من قبيل الأقسام والتقسيم.

صور وأنواع الشرك في الربوبية:

النوع الأول: شرك التعطيل وتحته صور وأصناف:

١ـ أعظمها إنكار وجود الله عز وجل، والقول بأن الطبيعة هي التي خلقت نفسها وأن هذا العالم وهذا الكون وجد صدفة، والقول بقدم العالم وأزلية المادة أو أن العالم ينشأ ويرتقي وأن الإنسان كان قردا، أو أن للعالم خالقان، والقول بتناسخ الأرواح وأنها أزلية.

---

(١) وهذا : أي إقامة الحجة وابلاغ الدعوة إنما يكون في جهاد الطلب وفي قتال الكفار الأصليين، أما في جهاد الدفع فلا وكذا المرتد كان من أهل الإسلام وقد تحققت فيه الدعوة.

٢ـ إنكار أسماء الله وصفاته وأفعال ربوبيته وأن الله تعالى ليس له صفة وخصوصا العلو، أو القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، أو إنكار علم الله وأنه لا يعلم بالجزئيات أو أن الله لا يعلم بالأمر والشيء إلا إذا وقع، أو أن الله كان معطلا عن الخلق والربوبية والفعل، أو من ينكر قدرة الله أو يشك فيها أو ينسب لله العجز وعدم تدبير الأمور.[تعالى الله علوا كبيرا].

٣ـ إنكار الرسالة وتكذيب الرسل والقول بعدم ختم النبوة، أو إنكار البعث والحساب؛ لأن إنكار البعث والحساب أو إنكار الكتب والتكذيب بها، أو إنكار دين الله سبحانه وشريعته وأمره ونهيه وفي ذلك تعطيل لربوبية الرب سبحانه الذي له الخلق والأمر، وهذا كله داخل في الشرك بتعطيل الله عن شرعه ودينه وإرساله.

٤ـ عبادة غير الله وتعطيل الله عن العبادة وصرف ما يستحقه ويختص به لغيره سبحانه، وهذا الشرك في العبادة لازمه الشرك في الربوبية من جهتين: تعطيل الرب عن حقه في العبادة، وتمثيل المخلوق بالخالق وإعطائه صفات الربوبية.

٥ـ شرك التمثيل إذ التمثيل في الحقيقة تعطيل له عن كماله.

النوع الثاني: شرك التمثيل والتنديد في الربوبية:

أولاً: تشبيه المخلوق بالخالق: ومن صوره:

اعتقاد وجود إله مع الله من المخلوقات مثل الله، يخلق ويرزق ويعبد من دون الله، أو إعطاء المخلوق صفة القدرة الشاملة الكاملة على كل شيء والتصرف في الكون وتدبير الأمور أو صفة علم الغيب أو صفة التشريع والتحليل والتحريم والأمر والنهي وسن الأنظمة والقوانين والتشريعات، والتصوير شرك في الربوبية لأن فيه مضاهاة لخلق الله وصنعه وهذا شرك في التمثيل.

ثانيا: تشبيه الخالق بالمخلوق: ومن أمثلته:

كقول اليهود لعنهم الله ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ المائدة:٦٤. وقولهم : أن اللهَ فقير ونحن أغنياء ، وقول النصارى: الله له صاحبة وولده عيسى، وقول القبورية أن الله يحتاج لواسطة تشفع لنا عنده مثل ملوك الدنيا من المخلوقين، وقول القاديانية أن الله ينام ويصحو ويصوم ويصلي، وقول الممثلة الذين يمثلون الله بخلقه وصفاته بصفات خلقه، كذلك من يصفون الله بصفات لم يصف نفسه بها، ومن لا ينزهون الله عن وصف ولا فعل.

صور الشرك في الألوهية:

القسم الأول: شرك الاعتقاد وعمل القلب وهو أصناف:

شرك النية والإرادة والقصد والابتغاء وشرك المحبة وشرك الخوف وشرك الرجاء وشرك التوكل وشرك الإنابة واللجوء والتعظيم وشرك الطاعة وشرك الحكم بغير ما أنزل الله والتشريع والتحليل والتحريم.

القسم الثاني: شرك التقرب والتنسك بالجوارح:

كالقيام والركوع والسجود والصلاة والاعتكاف والمجاورة والإقامة والطواف والتقبيل والتمسح والتبرك والذبح والنذر والتجرد من الملابس وحلق الشعر والصيام.

والجامع لهذه العبادات الخضوع والتذلل للمخلوق وتعظيمه.

القسم الثالث: شرك الأقوال: وهو نوعان:

١ـ دعاء غير الله والاستغاثة والاستعاذة بالمخلوق وسؤاله وطلب الشفاعة منه.

٢ـ شرك المدح والشكر والثناء والحمد والذكر والتسبيح والتقديس والاستغفار.

المسألة الثانية عشرة: الشرك ضد التوحيد:

التوحيد مصدر وحد، وهو أن تجعل الشيء واحدا، وتوحد قصدك ويعبر عنه بالإفراد والتجريد والإخلاص.

والتوحيد له ركنان: هما النفي والإثبات، فلا يسمى الشيء مفردا أو إفرادا أو توحيدا إلا إذا قام على ركنين هما الإثبات مع النفي.

الأول النفي والإنكار: وهو الموجود في: لا إله.

الثاني الإثبات في: إلا الله.

وهذان الركنان ذكرا في قوله تعالى:﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ البقرة:٢٥٦.

فالكفر بالطاغوت هو معنى (لا إله)، والإيمان بالله هو معنى (إلا الله) وهذان هما ركنا التوحيد نفي العبادة وكل ما يختص به الرب عن المخلوق، ونفي الألوهية عما سوى الله عز وجل، والكفر بها وخلع الأنداد والمعبودات والآلهة، والركن الثاني إثبات العبادة وإثبات كل ما هو خاص بالله عز وجل لله وحده.

وعلى ذلك فالشرك هو ضد الإفراد والتوحيد، بنفي ما أثبته الله تعالى، وإثبات ما نفاه الله تعالى.

وفي اللغة الشرك من الجمع والتثنية والتشريك والخلط والجمع والضم ضد الإفراد وضد التوحيد، ولذلك من أسماء الله عز وجل الواحد الفرد الأحد، وهو الله عز وجل، لا ثاني له، ولا شريك، ولا مثيل.

وخصائص الله تعالى التي أمر الله عز وجل أن نفرده بها والتي يدخلها الشرك على قسمين: خصائص في الربوبية وخصائص في الألوهية.

المسألة الثالثة عشرة: أسباب الوقوع في الشرك وبقاؤه:

أولا: الأسباب العامة الرئيسية:

١- الجهل بحقيقة الدين وما أمر الله به وما نهى عنه والجهل بمعنى العبادة والتوحيد والشرك.

٢- سوء الظن بالله عز وجل، وعدم تقديره سبحانه حق قدره.

٣- الغلو في الصالحين والمخلوقات فترفع عن مرتبتها ومنزلتها.

ثانيا: الأسباب الفرعية الخاصة وهي داخلة في جملة الثلاثة الأسباب السابقة.

المسألة الرابعة عشرة: موقف الصوفية والقبورية والمرجئة من الشرك:

أخطأت القبورية والصوفية والمرجئة والمتكلمة في حقيقة الشرك من جانبين:

أولا: جانب التوحيد:

ذهبت فيه الصوفية وغيرهم إلى أن التوحيد هو توحيد الربوبية، وفسروا توحيد الألوهية بأنه القدرة على الاختراع وقالوا لا إله إلا الله أي لا خالق إلا الله، ولذلك لا شرك عندهم في العبادة، فعبادة غير الله وطلب الشفاعة واتخاذ الوسائط عندهم ليست شركا إنما توسل جائز.

ثانيا: جانب الإيمان:

خالفت الصوفية والمتكلمة في باب الإيمان لأن أغلبهم من المرجئة الذين يخرجون الأعمال الظاهرة والباطنة من الإيمان، وأن الإيمان عندهم مجرد التصديق أو المعرفة أو قول لا إله إلا الله فقط مع التصديق المجرد عن عمل القلب، فزعموا أن أي شرك يحصل ظاهرا ليس بكفر إذا لم يقارن ذلك الكفر كفر القلب والباطن.

وعليه فمجرد العبادة والدعاء ظاهرا ليس من الشرك عندهم لأنه افتقد شرطين:

الأول: أنه خارج عن توحيد الربوبية، الثاني: أنه خارج عن الأعمال الباطنة.

وعلى ذلك إذا جمعنا هذين الجانبين، مخالفتهم في التوحيد بإنكار توحيد الألوهية وتوحيد العبادة، ومخالفتهم في الإيمان بإنكار كفر الظاهر، حصل منهم تدنيس للدين وإذلال لأهله شعروا بذلك أم لا، لأن كل كفر ظاهر يرونه لا يكفرون صاحبه ولا يقاتلون ولا يقيمون حد الردة عليه، لأنه لم يستحل من جهة ومن جهة أخرى أن الكفر في الربوبية فقط، والنتيجة أن أي كفر يوجد لا ينكرونه يسبب انتشارا له.

المسألة الخامسة عشرة: شرك النية والإرادة والقصد والابتغاء:

الوقفة الأولى: أقسام هذا الشرك:

١ـ أن يقصد الإنسان بعمله وعبادته الدنيا وزينتها من مال ومتاع ومنصب.

٢ـ أن يقصد الإنسان بعمله الرياء والسمعة والعجب وثناء الناس ومدحهم.

الوقفة الثانية: دليل هذا الشرك:

قال تعالى:﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ هود:١٥ـ١٦.

وأية هود هذه أصل في هذا الشرك.

وقوله تعالى:﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ الكهف:١١٠.

وقوله تعالى:﴿ **مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ** ﴾ آل عمران:١٥٢.

وقال تعالى:﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا** ﴾ الإسراء:١٨.

وقوله تعالى:﴿ **فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آَتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ** ﴾ البقرة:٢٠٠.

وقوله تعالى:﴿ **يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ النساء:١٤٢.

الوقفة الثالثة: حلات هذا الشرك:

١ـ أن يكون شركا أكبر وصورته أن يدخل في الإسلام ويقول الشهادتين لحقن دمه كالمنافقين أو يكون معظم عمله وغالبه رياء أو يرائي ويريد الدنيا بالأعمال التي تركها كفر كالصلاة.

٢ـ أن يكون شركا أصغر: وهو يسير الرياء أو أن يعمل عبادة خاصة لأجل حاجة دنيوية كمن يتصدق بصدقة معينة لأجل مصلحة دنيوية لا يريد ما عند الله أو لأجل المدح والسمعة والرياء، أو أن يكون العمل أصله لله ثم يدخله الرياء أو حاجة دنيوية يطلبها وهذا العمل محبط لا يقبله الله ويأثم فاعله لكن لا يخرج فاعله من الإسلام.

الشرط الخامس

المحبة

وخامسها شرط المحبة فلتكن محبا لما دلت عليه من الهدي

ومن كان ذا حب لمولاه إنما محبته للدين شرط فقيد

ومن لا فلا والحب لله إنما يتم بحب الدين دين محمد

فعاد الذي عادى لدين محمد ووال الذي والاه من كل مهتدي

واحبب رسول الله أكمل من دعا إلى الله والتقوى وأكمل مرشد

أحبّ من الأولاد والنفس بل ومن جميع الورى والمال من كل أتلد

وطارفه والوالدين كليهما بآبائنا والأمهات فنفتدي

وأحبب لحب الله من كان مؤمنا وأبغض لبغض الله أهل التمرد

وما الدين إلا الحب والبغض والولا كذاك البرا من كل غاوٍ ومعتدي

المسألة الأولى: تعريف المحبة:

المحبة اسم للحب ضد البغض والكره، ويدور معناها في اللغة على خمسة معاني:

الصفاء والبياض والعلو والظهور واللزوم والثبات واللب والحفظ والإمساك .

والمحبة ليس لها حد، وحاول البعض تعريفا لها بميل النفس ونحوه.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية:" أُخْتلِفَ في حد المحبة على نحو ثلاثين قولا، ولا تحد المحبة بحد أوضح منها فالحدود لا تزيدها إلا خفاء ".

مراتب المحبة:

العلاقة ـ الإرادة ـ الصبابة ـ الغرام ـ المودة ـ الشغف ـ العشق ـ التَّتَيم ـ التعبد ـ الخُلَّة.

ذكرها ابن القيم في المدارج والروضة.

المسألة الثانية: المراد بالمحبة شرعا:

المقصود بالمحبة التي هي من شروط لا إله إلا الله أن يحب هذه الكلمة الدالة على التوحيد والناهية عن الشرك ويحب ما تقتضيه وتستلزمه، وذلك بمحبة توحيد الله وعبادته والكفر بالطاغوت والبراءة من كل شرك، ومحبة ذلك والتقرب إلى الله به، والرغبة الحقيقية الجادة في كل ذلك.

كما أن المحبة لكلمة التوحيد تعني المحبة للمتصف بها وهو الواحد الأحد صاحب الربوبية والمستحق للألوهية.

وكذلك محبة أهلها وأوليائها الموحدين، ومحبة من أُرسِل بها وهو رسول رب العالمين، ومحبة الدين الذي جاء به والشرع الذي ألزِم به وهو الإسلام، والرضا بهذه المقامات الثلاث، ويلزم من حبها الإتيان بلوازمها من الانقياد وكره كل ما يناقضها من الأقوال والأعمال والاعتقادات والأعيان وبغض جميع الطواغيت المتبوعة والمطاعة والمعبودة، فيجب كره الشرك وبغض أهله والآلهة المعبودة.

بهذا يكون الشخص قد أحب لا إله إلا الله حبا صادقا.

فائدة: محبة لا إله إلا الله قائمة على أصلين:

الأول: محبة الله ومحبة توحيد الله وعدم بغضه، أو بغض ما يحبه الله أو محبة ما يبغضه.

الثاني: توحيد الله في المحبة وعدم الشرك مع الله في المحبة.

المسألة الثالثة: أدلة المحبة:

١ـ قال تعالى:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ البقرة:١٦٥.

٢- وقال سبحانه:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ المائدة:٥٤.

ومن فوائد الآية إثبات أن أهل الإيمان قد يرتدون، وأن من لوازم المحبة لله ومقتضياتها بل ومضامينها التذلل والموالاة لأهل الإيمان بالمحبة والنصرة والموالاة العملية، والعزة على الكفار ببغضهم والبراءة منهم وتكفيرهم ومعاداتهم بالقلب واللسان والعمل، ومن لوازم البراءة منهم مجاهدتهم، فالجهاد والتوحيد قرينان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر وأهل الإرجاء أشد الناس عداوة للتوحيد وأهله ومظاهرة للكفر والكافرين ومحاربة للجهاد والمجاهدين ولمزهم بالخوارج.

٣- وقال تعالى:﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾

آل عمران:٣١.

٤- قال تعالى:﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ التوبة:٢٤.

فقرن بين التوحيد ومحبة الله ولازمه الذي هو الانقياد والجهاد.

٥- وقال تعالى عن المشركين:﴿ **تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ الشعراء:٩٧-٩٨. والتسوية في المحبة كما قال أهل التفسير.

٦- وقال تعالى عنهم:﴿ **ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ الأنعام:١. والعدول بالمحبة والتعظيم.

٧- وقال تعالى:﴿ **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ الزمر:٢٢.

٨- وقال تعالى:﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ التوبة:١٢٤.

ومن الأدلة على اشتراط المحبة للتوحيد: أن انتفاءها من لوازمه حصولُ ضدها من البغض والكراهية للتوحيد، وهذا كفر أكبر.

٩- وقال تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ محمد:٨-٩.

١٠- وقال تعالى:﴿ **لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ﴾ الزخرف:٧٨.

ومن السنة:

١ـ عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله ما الإيمان ؟ فقال:" أن تشهد لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما " رواه أحمد.

٢ـ قال النبي ﷺ :" والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه " رواه أحمد.

٣ـ وقال ﷺ :" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه والده وولده والناس أجمعين " رواه الشيخان.

٤ـ وقال ﷺ :" ثلاث من كُنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار " رواه البخاري ومسلم.

ومن دلالة الحديث أن كره الكفر ومحبة التوحيد من الإيمان.

٥ـ قال الرسول ﷺ :" أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله " رواه أحمد.

٦ـ وقال ﷺ :" من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان " رواه أبو داود.

٧ـ وقال ﷺ :" أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله " رواه الترمذي.

٨ـ وفي الدعاء النبوي :" اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك " رواه أحمد.

٩ـ وفي خطبة النبي ﷺ عند ابن إسحاق:" أحبوا الله من كل قلوبكم ".

١٠ـ ما أخرجه البخاري وفيه:" ذلك منافق لا يحب الله ورسوله ".

المسألة الرابعة: أقوال أهل العلم في شرط المحبة:

ـ قال ابن تيمية:" فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يحبَّ إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يوالي إلا لله ولا يعادي إلا لله وأن يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه ".

ـ وقال في التحفة العراقية:" محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول، فالعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذي لا يعظّم ولا يذل له لا يكون معبودا والمعظّم الذي لا يحب لا يكون معبودا ".

ـ وقال فيه :" **أصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى وله أصلان:**

أحدهما هو الذي يقال له محبة العامة لأجل إحسانه إلى عباده، وقد فطرت وجبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

الأصل الثاني محبته لما هو له أهل، وهذا حب من عرف من الله ما يستحق أن يحب لأجله وما من وجه من الوجوه التي يعرف الله بها مما دلت عليه أسماؤه وصفاته إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه وهو محبة الخاصة ".

ـ وقال في قاعدة المحبة:" أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، كما أن البغض والكراهة مانع وصاد لكل ما انعقد بسببه ومادته فهو أصل كل ترك ".

ـ وقال عن المرتد:" أو كان مبغضا لرسوله أو لما جاء به ".

ـ وقال ابن القيم في المدارج:" لو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها بل هي حقيقة الإخلاص، بل هي نفس الإسلام فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة، من لا محبة له لا إسلام له البتة، بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي يألهه العباد حبا وذلا وخوفا ورجاء وتعظيما وطاعة له وأصل التأله التعبد والتعبد آخر مراتب الحب فالمحبة حقيقة العبودية ".

ـ وقال:" المحبة الطبيعية ميل الإنسان على ما يلائم طبعه ".

ـ قال المقريزي في التجريد:" فأصل العبادة محبة الله بل إفراده بها ".

ـ وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب في التوحيد:" ذكر أنهم أي المشركين يحبون الله حبا عظيما ولم يدخلهم الإسلام، فكيف بمن أحب الند حبا أكبر من حب الله، فكيف بمن لا يحب إلا الند وحده ولم يحب الله ".

ـ قال ابن رجب في فتح الباري:" فعلامة تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة كل مخلوق، أنه إذا تعارض طاعة الرسول ﷺ في أوامره وداع آخر يدعو إلى غيرها من هذه الأشياء المحبوبة، فإذا قدم المرء طاعة الرسول ﷺ وامتثال أوامره على ذلك الداعي كان ذلك دليلاً على صحة محبته للرسول ﷺ ، وإن قدم على طاعته وامتثال أوامره شيئا من الأشياء المحبوبة طبعا دلّ على عدم إتيانه بالإيمان التام الواجب عليه ".

ـ وقال ابن كثير:" وهذه الآية { فاتبعوني } حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ".

ـ وقال ابن تيمية:" لا يجوز أن يُحبَّ شيء من الموجودات لذاته إلا هو، فكل محبوب في العالم إنما يجوز أن يحب لغيره لا لذاته والرب تعالى هو الذي يجب أن يُحبَّ لنفسه وهذا من معاني إلهيته "(١).

ـ وقال ابن القيم في المدارج:" فالله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأوامره وأصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة وأن يكون الحب كله لله فلا يحب معه سواه وإنما يحب لأجله وفيه ".

ـ قال ابن تيمية:" فكل من ادعى أنه يحب الله ولم يتبع الرسول ﷺ فقد كذب "(٢).

ـ وقال ابن القيم في المدارج:" وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها، فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب النهي، فعند الاتباع تثبيت حقيقة العبودية والمحبة فانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم فيستحيل إذا ثبوت محبتهم لله بدون المتابعة لرسوله ﷺ ".

ـ وقال:" دل على أن متابعة الرسول ﷺ هي حب الله ورسوله وطاعة أمره ".

ـ وقال ابن تيمية:" فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور:

١ـ تكميل هذه المحبة بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

٢ـ وتفريغها بأن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

٣ـ ودفع ضدها بأن يكره ضد الإيمان وهو الكفر.

ـ وقال ابن رجب في التوحيد:" محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرب ".

ـ وقال عن حديث تعس عبد الدينار:" فدل على أن من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده وذلك الشيء معبوده وإلهه ".

المسألة الخامسة: علاقة المحبة ببقية الشروط:

المحبة كغيرها من الشروط تستلزمها الشروط وهي تستلزم الشروط:

فالصدق والإخلاص واليقين والعلم والقبول والانقياد إذا كانت حقيقية فهي كلها تستلزم المحبة، وهذه الشروط هي أيضا من لوازم المحبة، فالصادق والموقن والمخلص في التوحيد لا بد من أن يحبه، ومن يحب التوحيد حقا لا بد أن يكون صادقا وموقنا ومخلصا، وكذا الانقياد الحق الشرعي يستلزم المحبة لأنها من الانقياد الباطن، والمحبة هي الثانية تستلزم الانقياد والإذعان والطاعة والإقبال والإنابة والعمل، فبينها وبين الشروط تلازم مطلق من الجهتين وجودا وعدما، وقد تنفك هذه العلاقة التلازمية كما قدمنا وبينا مرارا وتكرارا.

المسألة السادسة: مراتب المحبة وانقسامها إلى أصل وكمال:

المحبة كغيرها من العبادات والشروط التي تزيد وتنقص ويتفاوت الناس فيها، كما أن منها ما هو أصل ومنها ما هو من الكمال.

فأما أصل المحبة ومحبة أهل التوحيد فهذا وجوده شرط في صحة التوحيد وفاقده كافر خارج من الإسلام.

أما كمال المحبة والمحبة التامة المستلزمة لكمال الرضا واليقين فأهل التوحيد متفاوتون في تحقيقها بين:

١ـ من يأتي بالواجب والمستحب ويسابق بالخير.

٢ـ من يقتصد فيقتصر على الواجب فحسب.

٣ـ ومن يظلم نفسه، ولهذا حالتان:

إما أن يقصر في الواجب منها وينقص منه.

أو أنه يأتي بما يقدح فيه من الأفعال التي تستلزم معارضة المحبة.

وهذه القوادح التي تنقص من درجة المحبة الواجبة كثيرة إلا أنها لا تخرج من الإسلام لوجود أصل المحبة مع حصول الإثم المستوجب للعقاب.

المسألة السابعة: أقسام الناس في محبة التوحيد:

١ـ من يحب التوحيد وأهله ويبغض الكفر وأهله، وهؤلاء هم أهل التوحيد فحسب.

٢ـ من يحب الشرك ويبغض التوحيد، وهؤلاء هم المشركون.

٣ـ من لا يحب التوحيد ولا يبغضه، وهؤلاء هم الكافرون كفر إعراض وشك وتولي وامتناع.

٤ـ من يحب التوحيد ويبغض أهله، والمتصف بهذا كافر وليس بمسلم وحبه دعوى كاذبة.

٥ـ من يبغض الشرك ويحب أهله، وهذا الصنف كالسابق.

ولا يوجد من يحب التوحيد ويحب الشرك معا، لأنهما متناقضان.

المسألة الثامنة: أقسام المحبة:

١ـ المحبة الطبيعية العادية الفطرية:

كمحبة الوالد والولد والمال، وهذه المحبة لا تستلزم التعظيم والتذلل والطاعة المستقلة والخضوع التعبدي، أما التذلل للوالد وخفض الجناح له وتوقيره فهذه من تعظيم الله وتعظيم أمر الله وطاعته بكونه الآمر به ثم هو ليس من التعظيم الكامل والخالص.

٢ـ المحبة التعبدية: وهي محبة الله المتصفة بالتذلل والخضوع واللجو والرغبة والرهبة والخوف والرجاء وهذه الخاصة بالله ولا تجوز لغيره ولا تصرف إلا له.

٣ـ المحبة اللزومية: وهي المحبة في الله ولله، وهي التي تلزم بالمحبة التعبدية وتكون لأجلها، وهي محبة ما يحبه الله من الطاعات والخير، والمحبة في الله ولله وذلك بمحبة أولياء الله وعباده المؤمنين من الرسل والملائكة والصالحين، وهذه هي محبة الولاء والبراء ولا يتم الإسلام إلا بها وهي أوثق عرى الإيمان.

٤ـ المحبة الشركية: وهي محبة الأنداد والمحبة التعبدية لغير الله أو المحبة مع الله كما يفعله المشركون مع معبوداتهم.

٥ـ المحبة المحرمة: وهي محبة ما لا يحبه الله من الكفر والفسوق والعصيان ومتابعة الهوى، ومحبة الكفار أو مجاملتهم ومن أمر الله ببغضهم أو الغلو في محبة الدنيا والمال.

وهذه المحبة درجات منها الكفر الناقل عن الملة ومنها ما هو معصية دون الكفر.

فحكم الأولى أنها مباحة والثانية والثالثة واجبة والرابعة كفر والخامسة محرمة وليست بمشروعة.

المسألة التاسعة: من حيث اختصاصها بالله:

١ـ المحبة العامة المشتركة بين الله وعباده وأنواعها أربعة:

طبيعية ـ رحمة وإشفاق ـ إجلال وتقدير ـ أنس وألفة .

٢ـ المحبة التعبدية الخاصة وهي التي لا تكون ولا تصرف وتصلح إلا لله وهي:

محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والانقياد والتعظيم وكمال الطاعة والإذعان.

المسألة العاشرة: أقسام المحبة المتعلقة بالله تعالى:

١ـ محبة الله ولا تكفي وحدها.

٢ـ محبة ما يحب الله.

٣ـ الحب لله وهي من لوازم محبة الله.

ولا يدخل الإنسان الإسلام إلا بهذه الثلاث.

٤ـ محبة مع الله وهذه المحبة الشركية الكفرية المحرمة.

فائدة: محبة الله من حيث الأصل هي فطرية في كل الخلق، لكن لا يؤجر العبد على محبته لربه إذا لم تكن المحبة التعبدية القائمة على التذلل والانقياد والطاعة والتعظيم والخضوع.

المسألة الحادية عشرة: المحبة المثبتة والمنفية:

المحبة المثبتة: هي محبة الله ولله وفي الله، وكذا المحبة الطبيعية.

المحبة المنفية: هي المحبة الشركية التي مع الله، وكذا المحبة المحرمة.

المسألة الثانية عشرة: المحبة النافعة والضارة:

المحبة النافعة: هي محبة الله ومحبة ما يحبه الله.

المحبة الضارة: هي المحبة الشركية التي هي المحبة مع الله ومحبة ما يكرهه الله ومحبة ما يقطع محبته عن محبة الله، وهي ضارة في الدنيا وتنقلب يوم القيامة لعدواة.

المسألة الثالثة عشرة: ما يتضمنه شرط المحبة لكلمة التوحيد ويدخل فيها:

١ـ محبة الله عز وجل.

٢ـ محبة ألوهية الله وربوبيته وأفعاله وصفاته، ومحبة توحيده فيها.

٣ـ محبة أوامر الله وشرعه ودينه وفرائضه.

٤ـ محبة الإسلام وامتثاله والعبادة والطاعة.

٥ـ محبة الرسول ﷺ واتباعه وطاعته.

٦ـ محبة ما يحبه الله وبغض ما يبغضه.

٧ـ محبة أولياء الله وبغض أعدائه.

المسألة الرابعة عشرة: لوازم محبة الله:

١ـ طاعة الله وتوحيده وترك الشرك، وعبادته وحده والذل له وامتثال أمره وابتغاء فضله وطلب رضوانه وقصده ورجاؤه واللجو إليه والرغبة إليه والخوف منه.

قال الشاعر: تعصي الإله وأنت تظهر حبه *** هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته *** إن المحب لمن يحب مطيع

٢ـ محبة ما يحبه الله من الأفعال والأعيان والذوات وذلك بمحبة دينه والإسلام والتوحيد ومحبة الرسول ﷺ وعباد الله المؤمنين، وبغض ما يبغضه من أعدائه وكره الكفر والشرك.

٣ـ اتباع الرسول ﷺ والتسليم له، والانقياد له وقبول دينه، فمن لم ينقد للدين ويلتزم بالشريعة ويمتثل للأمر ويعمل بالتوحيد والفرائض ومباني الإسلام فمحبته كاذبة، قال تعالى مبينا هذه القاعدة ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ آل عمران:٣١.

٤ـ الولاء والبراء وذلك بموالاة المؤمنين ومناصرتهم ومحبة الخير لهم والنصح لهم، ومعاداة الكفار والبراءة منهم وبغضهم وجهادهم، وقد وصف الله الذين يحبهم ويحبونه بالأعزة على الكافرين والأذلة للمؤمنين، وأن معاداة الكفار وجهادهم مما يبتغى بها محبة الله ورضوانه.

هذه الأمور الأربع هي لوازم محبة الله التعبدية، ومن رفضها أو خالفها فهو سائر بين الكفر والمعصية بحسبه ولا تنفع محبة من دون الإتيان بها.

قال ابن تيمية:" فكل من ادعى أنه يحب الله ولم يتبع الرسول ﷺ فقد كذب "(١).

وقال ابن القيم في المدارج:" وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب النهي، فعند الاتباع تثبت حقيقة العبودية والمحبة فانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم فيستحيل إذاً ثبوت محبتهم لله بدون المتابعة لرسوله ﷺ ".

وقال:" دل على أن متابعة الرسول ﷺ هي حب الله ورسوله وطاعة أمره ".

قال ابن رجب في فتح الباري:" فعلامة تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة كل مخلوق، أنه إذا تعارض طاعة الرسول ﷺ في أوامره وداع آخر يدعو إلى غيرها من هذه الأشياء المحبوبة، فإذا قدم المرء طاعة الرسول ﷺ وامتثال أوامره على ذلك الداعي كان ذلك دليلاً على صحة محبته للرسول ﷺ ، وإن قدم على طاعته وامتثال أوامره شيئا من الأشياء المحبوبة طبعا دل على عدم إتيانه بالإيمان التام الواجب عليه ".

وقال ابن كثير:" وهذه الآية { فاتبعوني } حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ".

وقال ابن رجب في التوحيد:" محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرب ".

وقال عن حديث تعس عبد الدينار:" فدل على أن من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده وذلك الشيء معبوده وإلهه ".

---

(١) الفتاوي ٣٦٠/٨.

المسألة الخامسة عشرة: مما يدخل في شرط المحبة الكفر بالطاغوت وتكفير المرتدين:

قال إمام الدعوة السلفية:" ومن زعم أن الله لم يتعبدنا بتكفير المرتدين ولن يسألنا عنهم ولا عن تكفير من وقع في الشرك من أهل لا إله إلا الله فقد أعظم على الله الفرية " بتصرف من الدرر وللشيخ رسالة نفيسة في الباب هي مفيد المستفيد.

وقد تقدم الكلام عن الكفر بالطاغوت عند الكلام عن الشهادتين.

المسألة السادسة عشرة: المحبة من صفات الله:

فالله يُحِبّ ويُحَبّ ﴿ **يُحِبُّهم ويُحِبُّونَه** ﴾ المائدة:٥٤.﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ البقرة:٢٢٢.

المسألة السابعة عشرة: حكم المحبة ومنزلتها وأهميتها ودخولها في العبادة والإسلام:

جميع العبادات تقوم على المحبة ولذلك أمر الله بها وأثنى على من اتصف بها وهي أحد ركني العبادة التي هي التذلل والمحبة، وهي أعظم محركات القلوب مع الخوف والرجاء، ولذلك كان أصل الشرك بالله الإشراك مع الله في المحبة.

قال ابن تيمية في التحفة العراقية:" محبة الله ورسوله ﷺ من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، فالعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته ".

وقال ابن القيم في المدارج:" لو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها بل هي حقيقة الإخلاص بل هي نفس الإسلام فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة، فمن لا محبة له لا إسلام له البتة بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي يألهه العباد حبا وذلا وخوفا ورجاء وتعظيما وطاعة له وأصل التأله التعبد والتعبد آخر مراتب الحب فالمحبة حقيقة العبودية ".

من كلام ابن القيم السالف يستفاد مسألة وهي علاقة المحبة بالألوهية والعبادة والإسلام والدين ومكانتها ومنزلتها فيه.

ومحبة الله لها أهمية، وحاجة الناس إليها أشد من حاجتهم لكل شيء ومن الماء للظمآن وإن مما يُظهر أهمية المحبة أنها على اعتبار كونها شرطا لكلمة التوحيد إلا أنها فوق ذلك هي من معاني العبادة التي هي كمال الذل مع المحبة، بل هي أحد معاني الإله الذي هو المحبوب.

المسألة الثامنة عشرة: هل خوف الله من شروط لا إله إلا الله؟:

قال ابن القيم في طريق الهجرتين:" الوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة.

الخوف داخل في شرط الانقياد وليس بشرط مستقل ولا يماثل المحبة كما توهم البعض ووجه ذلك:

أن محبة الله تكون لذاته، والحب سببه الكمال، وذاته لها الكمال المطلق.

أما الخوف من الله فسببه توقع المكروه، وهذا إنما يكون في الأفعال والمفعولات، وبهذا يعلم بطلان قول من زعم أنه تعالى يُخاف لا لعلة ولا لسبب، وهؤلاء عندهم الخوف يتعلق بنفس الذات، من غير النظر إلى فعل العبد، وهذا من قلة نصيبهم من المعرفة بالله وأفعاله وحكمه، ومن هذا قول عمر ﷺ :" لا يرجوَنَّ أحد إلا ربَّه، ولا يخافَنَّ إلا ذنبه " فجعل الرجاء متعلقا بالرب سبحانه وتعالى ". أفاده ابن القيم في طريق الهجرتين.

وقال ابن تيمية:" الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله، ولذلك يزول الخوف عن أهل الجنة فهم لا خوف عليهم، فالخوف ليس مقصودا لذاته وإنما لغيره ".

وهذا كله بخلاف المحبة فهي مقصودة لذاتها، ولا تزول بدخول الجنة بل تزيد، وهذا وجه كون المحبة من شروط كلمة الإخلاص فهي أصل بذاتها ومقام يدخل فيه الإيمان بالله.

ولأن رحمته من لوازم ذاته وهي سبقت غضبه، وأما الخوف فمتعلق بالذنب وهو سبب المخافة، فلو قدر عدم وجود الذنب بالكلية لم تكن هناك مخافة.

فإن قيل: فما وجه خوف الملائكة والنبي ﷺ ؟

قيل: الخوف على حسب القرب من الله، وكل ما كان العبد أقرب إلى الله كان خوفه منه أشد لأنه يطالب بما لا يطالب به غيره ويجب عليه من رعايته تلك المنزلة وحقوقها، كذلك التقصير من لوازم الخلق ولن يقوم أحد بحق العبودية على الكمال، لذلك استوجب حصول الخوف.

المسألة التاسعة عشرة: نواقض المحبة والقوادح فيها:

١ـ بغض الله ورسوله ﷺ بالقلب أو بالسب أو السخرية بأمرهما أو العمل المستلزم وجود البغض.

٢ـ المحبة الشركية بمحبة غير الله كمحبة الله.

٣ـ محبة ما يبغضه الله من المنهيات.

٤ـ محبة أعداء الله وموالاتهم.

٥ـ بغض ما أحبه الله وشَرَعَه، أو ما جاء عنه.

٦ـ معاداة أولياء الله.

٧ـ تقديم الهوى على ما يحبه الله وأمر به.

٨ـ عدم الإتيان بلوازم المحبة من الانقياد واتباع الرسول ﷺ وامتثال أمره.

وهذه القوادح على درجات منها الكفر الناقل عن الملة ومنها ما هو معصية دون الكفر.

المسألة العشرون: حكم تارك عبادة الحب:

المحبة لله عبادة وتاركها بالكلية كافر ليس بمسلم.

المسألة الحادية والعشرون: أمور لا تناقض المحبة:

استثقال التكاليف ليس مناقضا للمحبة، قال الله تعالى:﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لكم** ﴾ البقرة:٢١٦.
وإن كان تركه أكمل.

المحبة العادية الطبيعية كمحبة الوالد والولد والأهل والمال ما لم يقدمه صاحبه على محاب الله.

المسألة الثانية والعشرون: كل الشروط يدخلها الشرك:

وعلى رأسها المحبة، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ البقرة:١٦٥.

المسألة الثالثة والعشرون: ضابط محبة العبودية:

هي المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره، فمن صرف هذه المحبة لغير الله كان مشركا في العبادة.

قال ابن تيمية في التحفة العراقية:" العبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته فالمحبوب الذي لا يعظم ولا يذل له لا يكون معبودا والمعظم الذي لا يحب لا يكون معبودا ".

قال ابن القيم في المدارج:" والله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأوامره فأصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة وأن يكون الحب كله لله فلا يحب معه سواه وإنما يحب لأجله وفيه ".

المسألة الرابعة والعشرون: علامات محبة الله:

١ـ طاعة الرسول ﷺ ومتابعته والانقياد له.

٢ـ تقديم محبة الله ورسوله ﷺ على كل شيء وتقديم محاب الله على الهوى.

٣ـ إيثار الله ورسوله ﷺ في حال حصول الاختيار.

٤ـ بغض ما يُبغضُه الله وإن مال إليه هواه.

٥ـ والصبر على البلاء قال الله تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** ﴾ محمد: ٣١.

٦ـ موالاة أولياء الله ومعاداة الكافرين.

٧ـ ذكر الله والمداومة عليه وتعلق القلب بالله والأنس به، والرضا به والتسليم له ولأمره وقدره.

٨ـ الإتيان بلوازمها وتقدم ذكره.

المسألة الخامسة والعشرون: محبة المشركين لله:

المشركون يحبون الله ولكن يشركون في المحبة فيحبون الأنداد والأوثان كحب الله ومع الله بدليل آية ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ** ﴾ البقرة:١٦٥. ولذلك كانت محبة الله لا تنفع صاحبها إلا بالإتيان بلوازمها من التوحيد والولاء والبراء واتباع الرسول ﷺ وطاعة الله ومحبة ذلك.

معنى قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ البقرة:١٦٥. فيها قولان:

١ـ أشد حبا لله: من حب المشركين لله عز وجل.

٢ـ أشد حبا لله: من حب المشركين لأندادهم وآلهتهم.

المسألة السادسة والعشرون: أسباب محبة الله:

يستحق ربنا تعالى أن يحب لكماله سبحانه ولجماله ولنعمه على خلقه.

قال ابن تيمية في التحفة العراقية:" أصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى وله أصلان:

أحدهما: وهو الذي يقال له محبة العامة لأجل إحسانه إلى عباده، وقد فطرت وجبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

الأصل الثاني: محبته لما هو له أهل، وهذا حب من عرف من الله ما يستحق أن يحب لأجله، وما من وجه من الوجوه التي يعرف الله بها مما دلت عليه أسماؤه وصفاته إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه، وهو محبة الخاصة ".

قال ابن تيمية:" لا يجوز أن يحب شيء من الموجودات لذاته إلا هو وكل محبوب في العالم إنما يجوز أن يحب لغيره لا لذاته والرب تعالى هو الذي يجب أن يحب لنفسه وهذا من معاني إلهيته "(١).

المسألة السابعة والعشرون: الأسباب الجالبة لمحبة الله:

معرفته والتفكر في أسمائه وصفاته وكماله وقراءة كلامه وكثرة ذكره والانكسار لله تعالى والتقرب إلى الله بالنوافل وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين وهذه محلها كتب الرقائق.

المسألة الثامنة والعشرون: شرك المحبة:

الأصل في هذا النوع من الشرك قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ البقرة:١٦٥.

وحقيقتها: أن يحب غير الله مثل محبة الله، أو محبة المعبودات والطواغيت المتبوعة والمطاعة من دون الله تعالى، أو محبة أعداء الله وتوليهم.

المسألة التاسعة والعشرون: ضابط المحبة الشركية:

١ـ محبة المخلوق المتضمنة الخضوع والتذلل له واللجوء إليه والانكسار بين يديه والرغبة والرهبة والخوف منه والرجاء والتوكل عليه.

٢ـ تقديم الهوى ومحبة الدنيا على محبة الله وطاعته، كمحبة المال وجمعه من كل وجه والبخل به والانشغال به عن طاعة الله وعبادته بتحصيله، وهذا المقصود بقول الرسول ﷺ :" تعس عبد الدينار إن أعطي منها رضي وإن منع منها سخط "(٢).

قال ابن رجب في فتح الباري:" فعلامة تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة كل مخلوق، أنه إذا تعارض طاعة الرسول ﷺ في أوامره وداع آخر يدعو إلى غيرها من هذه الأشياء المحبوبة، فإذا قدم المرء طاعة الرسول ﷺ وامتثال أوامره على ذلك الداعي كان ذلك دليلا على صحة محبته للرسول ﷺ ، وإن قدم على طاعته وامتثال أوامره شيئا من الأشياء المحبوبة طبعا دل على عدم إتيانه بالإيمان التام الواجب عليه ".

وقال عن حديث تعس عبد الدينار:" فدل على أن كل من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده وذلك الشيء معبوده وإلهه ".

٣ـ محبة ما يكرهه الله من المعاصي ومن الكفار وهذا الشرك في الولاء والبراء.

---

(١) الفتاوى ٢٦٧/١٠.

(٢) { تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض } رواه البخاري بهذا اللفظ

المسألة الثلاثون: أنواع الشرك في المحبة:

منه ما هو شرك أكبر ومنه ما هو شرك أصغر حسب معتقد صاحبه ونوع حبه.

المسألة الحادية والثلاثون: تعلق شرك المحبة بالشرك في الربوبية:

وقد وقعت فيه طائفتان:

المعطلة الجهمية وذلك بإنكار صفة محبة الله بكونه لا يُحَبُّ ولا يُحِبُّ أحدا.

الجبرية والحلولية وأصحاب الوحدة ومن ذلك القول بأن الله يحب الكفر والمعاصي.

المسألة الثانية والثلاثون: معنى المساواة والعدول:

حقيقة المساواة والعدول التي ذكرها الله في قوله عن المشركين: ﴿ **إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ الشعراء:٩٨. وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ الأنعام:١. هي تسوية المشركين بين ربهم ومعبوداتهم الباطلة في المحبة، كما قاله بعض السلف.

المسألة الثالثة والثلاثون: ضابط المحبة المباحة الدنيوية الطبيعية:

١- أن لا تُشغل عن طاعة الله وما يحبه.

٢- أن لا تدعو إلى معصية الله.

٣- وألّا يلازمها الذل والخضوع للمخلوق.

فإذا وجد أحد هذه الأمور كانت المحبة محرمة وشركية.

المسألة الرابعة والثلاثون: كل محبة ليست لله تكون سببا للعداوة وتنقلب إلى البغض:

يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ الزخرف:٦٧. وقوله تعالى:

﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ** ﴾ البقرة:١٦٦. وهي المودة كما قال ابن عباس، وهي في بغض المشركين لآلهتهم والعكس وزوال المحبة، ومثله قوله تعالى:

﴿ **فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ** ﴾ يونس:٢٨.

المسألة الخامسة والثلاثون: المحبة البدعية الصوفية:

من المحبة المحرمة محبة الصوفية بطرقهم التي ابتدعوها في حب الله وإتيانهم بالعشق والسكر ونحوه، وكذلك الغلو في محبة الرسول ﷺ وإعطائه صفة الألوهية أو الربوبية.

المسألة السادسة والثلاثون: الطوائف التي وقعت في شرك المحبة:

١ـ الرافضة والصوفية المشركة أفراخ المشركين الأولين في الأمم السابقة.

ومن ذلك ما يقوله التيجاني:" من أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو أن لا يشارك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه ".

ويقول الشعراني في الطبقات:" إذا أراد الله أن يعرِّف عبدا من عبيده بولي من أوليائه طوى عنه بشريته وأشهده على وجه الخصوصية فيه فيعتقده ويحبه أشد المحبة ".

٢ـ عباد الدنيا والشهوات والهوى قال تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾ الفرقان:٤٣.وهذا النوع من الشرك من قبيل الأصغر وقد يصل بصاحبه للكفر والشرك الأكبر، ويدخل في شرك الإرادة.

٣ـ المتولين للكفار: فإن من كان مواليا لغير الله وأوليائه فقد أشرك مع الله غيره في المحبة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ﴾ آل عمران:٢٨.وقال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ المائدة:٥١. ومن أثار ومعاني موالاة الكفار محبتهم أو مناصرتهم والدعوة إليهم وموافقتهم والإقامة عندهم.

٤ـ الجهمية المعطلة القائلون إن الله لا يحب أحدا ولا يحبه أحد.

المسألة السابعة والثلاثون: حال أدعياء التوحيد من أصحاب المحبة المكذوبة:

أهل التوحيد يحبون لا إله إلا الله قولا وعملا وأهل الشرك يشمئزون من التوحيد ويحبون الشرك، ودعواهم لمحبة الله وتوحيده وعبادته دعوى مزعومة وهي كاذبة قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ الزمر:٤٥.

صدق الله العظيم، ومن أصدق من الله قيلا، والله من تأمل حال مشركي زمانه في كل زمان ومكان وجد هذه الصفة المطردة تجمعهم، فكم من عباد القبور من يزهدون في المساجد وتضيق صدورهم فيها ويستبشرون بالمشاهد والقبور، وكم من الممجدين للطواغيت ومحاكم الكفر والإلحاد والشرك والذين يعتبرونها من سلم الرقي والنجابة والحضارة بينما تضيق صدورهم بأحكام الشريعة، وكم أولئك الموالين للكفرة والملاحدة يفرحون برؤيتهم ويصاحبونهم ويصدقون في مصادقتهم ومحبتهم والتودد لهم وإذا رأوا أهل التوحيد والسنة والجهاد قامت قيامتهم وظهرت عليهم آيات الكفر بهم وصرحوا بعداوتهم ولمزهم وهمزهم والشماتة بهم وسلقوهم بألسنة وأقلام وسلاسل حداد وكم من أرباب الإرجاء من يعتذر للشرك وأهله فهم أعزة على المؤمنين الموحدين أذلة على المشركين والمرتدين والمنافقين، فهم خوارج مكفرون لأهل التوحيد مرجئة غلاة مع المرتدين والمشركين، حتى جعل بعضهم من يكفر عباد القبور والمشرعين للقوانين والحاكمين بها والموالين للكفار والمظاهرين لهم من الخوارج الذين تستباح دماؤهم ويجب تكفيرهم، فقلبوا وجه المجن وانقلبوا على أهل التوحيد فبدل أن يكفروا المرتدين كفروا الموحدين، فهؤلاء

ـ رحمك الله ـ خصوم التوحيد وأهله في كل زمان فما أعداء إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب ورميه من أرباب الرفض والتصوف بأنه خارجي تكفيري عن مرجئة زماننا عنهم ومنهم ببعيد، والحمد لله الذي أرانا نفاقهم وعورهم وعرفنا كفرهم في لحن أقوالهم، وإن على هذه النعمة لربنا ومعبودنا من الشاكرين ولفضله من الموقنين والحمد لله رب العالمين.

المسألة الثامنة والثلاثون: من أعظم لوازم ومقتضيات كلمة التوحيد الولاء والبراء:

دلت كلمة التوحيد على الموالاة والمعاداة بالدلالات الثلاث المطابقة والتضمن والتلازم، وقد بينا ذلك في كتابنا قواعد الولاء.

ودل على هذا الأصل أدلة منها :

قوله سبحانه: ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ المجادلة:٢٢.

وقوله تعالى: ﴿ **تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ المائدة:٨٠ـ٨١.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما:" قال من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخات الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيء " رواه الطبري.

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب:" ولا يصح للمؤمن دين إلا بموالاة أهل التوحيد ومعاداة أهل الضلال وبغضهم والبراءة منهم كما تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار وكما تبرأ نبينا محمد ﷺ وصحبه من كفار قريش وهذه هي الموالاة للمؤمنين والمعاداة للمشركين التي هي أصل عرى الإيمان وأوثقها "(١).

وقال ابن تيمية:" إن الإيمان بالله وبالنبي ﷺ وما أنزل إليه يقتضي عدم ولاية الكفار فثبوت موالاتهم يوجب عدم الإيمان لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم "(٢).

قال ابن القيم في النونية:

أتحب أعداء الحبيب وتدعي ... حبا له ما ذاك في الإمكان

وكذا تعادي جاهدا أحبابه ... أين المحبة يا أخا الشيطان

شرط المحبة أن توافق من ... تحب على محبته بلا نقصان

---

(١) الدرر ٩٥/٢ .

(٢) مجموعة التوحيد ٢٥٩.

المسألة التاسعة والثلاثون: قيام الولاء والبراء على ركنين:

الولاء يقوم على ركنين: ١ـ المحبة الباطنة ٢ـ النصرة وهي الموالاة الفعلية الظاهرة.

البراء يقوم على ركنين: ١ـ البغض الباطن ٢ـ المعاداة الفعلية الظاهرة.

ولا يتم الولاء والبراء إلا بركنيه الظاهر والباطن ولا يقبل من المسلم توحيده إلا بقيامه بموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين.

ولا يقبل ولاؤه للمؤمنين إلا بمحبتهم ومناصرتهم وموالاتهم ظاهرا وباطنا.

ولا تصح البراءة من المشركين إلا ببغض الكفار بالقلب ومعاداتهم وجهادهم والكفر بهم وتكفيرهم بالعمل الظاهر.

والبغض من أفراد البراء وأبوابه.

والولاء والبراء ضدان:

فالتوحيد أن يصرف الولاء للمؤمنين والبراء والبغض والعداء للمشركين والكافرين.

والكفر والشرك أن يصرف البراء والعداوة للمؤمنين، والولاء والمحبة للكفر والكافرين، فبهذا تتبين علاقة البغض التعبدي والبغض الشركي الكفري (كفر البغض) بالولاء والبراء.

والقاعدة:

١ـ أن من تجب محبته تجب موالاته ونصرته ومن يجب بغضه يجب معاداته.

٢ـ ومن تجب محبته يحرم بغضه ومعاداته ومن يجب بغضه يحرم حبه وموالاته.

المسألة الأربعون: البراءة من الشرك وأهله ومعاداتهم من أعظم لوازم شرط المحبة:

وهذا فصل وتحته فوائد ووقفات

أولها: أن الإسلام بدون البراءة من المشركين وشركهم لا يكون مقبولا، والتوحيد بدون الكفر بالطاغوت لا يقبل، وهذا هو حقيقة لا إله إلا الله، عبادة الله والبراءة من عبادة غيره.

ثانيها: أن البراءة متعلقة بالشرك وفاعلي الشرك الذين هم أهله وهم المشركون، فلا تكفي البراءة من الشرك الذي هو الفعل دون فاعله ولا العكس، بل لا بد من البراءة من الفعل والفاعل والمفعول، من الشرك والكفر ومن فاعل ذلك الذي هو الكافر والمشرك ومن المعبود والطاغوت حيا كان أو جمادا.

ثالثها: أن البراءة من المشركين تكون بالقلب واللسان واليد، فهي قول وعمل واعتقاد، ولا تكفي البراءة بالقلب دون ركنها العملي الظاهر القائم على المعاداة.

رابعها: أن البراءة لا تتم إلا بأربعة أركان:

١ـ البغض للكفار وهذا الركن القلبي.

٢ـ معاداتهم وإظهارها وهذا هو الركن العملي الظاهر.

٣ـ تكفيرهم والكفر بمعبوداتهم وشركهم وهذا الركن القولي اللساني.

٤ـ جهادهم وهو من صور معاداتهم.

خامسها: أن أهل الشرك على قسمين: أصلي ومرتد:

وكثير من العوام والجهال بحقائق الدين والتوحيد يظن أن البراءة خاصة بالكافر الأصلي دون المرتد، ولا يحقق من البراءة مع المرتد شيئا ولا يفعل منها شيئا لا بغض ولا عداوة ولا تكفير ولا قتال، وكم يريد المرجئة طمس هذا الباب ويسعون حثيثا في إغلاق باب الردة وتكفير المرتد.

سادسها: من أعظم صور موالاة الكفار والإيمان بالطاغوت في عصرنا ما ابتدعه المنافقون مما أسموه:

بالتعايش السلمي، والإخاء والتقريب بين الأديان، والحوار بين المسلم وغيره من المشركين والمرتدين والكفار، ولقاء الحضارات، والعولمة والحرية والليبرالية والعلمانية.

سابعها: كلام أهل العلم في أن الإسلام لا يقبل إلا بالبراءة من المشركين وتكفيرهم

ـ قال الإمام محمد بن عبد الوهاب:" وأنت يا من منَّ الله عليك بالإسلام وعرفت أن ما من إله إلا الله، لا تظن أنك إذا قلت هذا هو الحق وأنا تارك ما سواه لكن لا أتعرض للمشركين ولا أقول فيهم شيئا لا تظن أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام ، بل لابد من بغضهم وبغض من يحبهم ومسبتهم ومعاداتهم كما قال أبوك إبراهيم: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ الممتحنة:٤، ولو يقول رجل أنا اتبع النبي ﷺ وهو على الحق ولكن لا أتعرض للاة والعزى ولا أتعرض أبا جهل وأمثاله ما عليا منهم لم يصح إسلامه ".

ـ وقال:" ومعنى الكفر بالطاغوت أن تتبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه ولو كان أباك أو أخاك ".

ـ وقال:" فإذا فهمت هذا عرفت أن كثيرا من الذين يدعون الدين لا يعرفون لا إله إلا الله وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك والعذاب والأسر والضرب والهجرة للحبشة مع أنه صلى الله عليه وسلم أرحم الناس لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم "(١).

---

(١) مجموعة التوحيد ١٩.

ـ وقال:" الله الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وأسه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين منكم نسبا واكفروا بالطواغيت

وعادوهم وابغضوهم، وابغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم أو قال ما علي منهم أو قال ما كلفني الله بهم فقد كذب هذا على الله وافترى إثما مبينا، وقد كلف الله كل مسلم ببغض الكفار، وافترض عليه عداوتهم، وتكفيرهم والبراءة منهم، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم، فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا ".

ـ وقال:" إن الإنسان لا يستقيم له دين ولا إسلام ولو وحد الله وترك الشرك، إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء "(١).

ـ وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في أول كتابه الدلائل:" اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل وأعانهم عليه بالنصرة والمال ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين وصار من جنود القباب والشرك وأهلها بعد ما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله

ولرسوله ﷺ ، ولا يستثنى من ذلك إلا المكره وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له اكفر أو افعل كذا وإلا فعلنا بك وقتلناك أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان، وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلا أنه يكفر فكيف بمن أظهر الكفر خوفا وطمعا في الدنيا ".

ـ وقال في التيسير:" قوله ووالى في الله هذا بيان للازم المحبة في الله وهو الموالاة فيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب بل لا بد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب وهي النصرة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين باطنا وظاهرا، وقوله: وعادى في الله هذا بيان للازم البغض في الله وهو المعاداة فيه أي إظهار العداوة بالفعل كالجهاد لأعداء الله والبراءة منهم والبعد عنهم باطنا وظاهرا، إفادة إلى أنه لا يكفي مجرد بغض القلب بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه "(٢).

ـ وقال الشيخ عبد الله وأخوه حسين ابنا الإمام محمد بن عبد الوهاب:" فمن قال لا أعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفرهم أو قال لا أتعرض أهل لا إله إلا الله ولو فعلوا الكفر والشرك وعادوا دين الله أو ارتدوا أو قال لا أتعرض للقباب فهذا لا يكون مسلما والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين ومنابذتهم وتكفيرهم ".

ـ وقال الشيخ عبد الله بن محمد:" إن الإسلام لا يستقيم إلا بمعاداة المشركين فإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله ".

---

(١) الفتاوي ١١٣/٨.
(٢) تيسير العزيز الحميد ٤٢٢.

ـ قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن:" أجمع العلماء سلفا وخلفا من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة أن المرء لا يكون مسلما إلا بالتجرد من الشرك الأكبر والبراءة منه وممن فعله وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة وإخلاص الأعمال كلها لله ".

ـ وقال:" فلا يتم لأهل التوحيد توحيدهم إلا باعتزال أهل الشرك وعداوتهم وتكفيرهم ".

ـ وقال:" وقد فرض الله تعالى البراءة من الشرك والمشركين، والكفر بهم وعداوتهم، وبغضهم وجهادهم، ﴿ **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ** ﴾ البقرة:٥٩. فوالوهم وأعانوهم وظاهروهم واستنصروا بهم على المؤمنين، وأبغضوا المؤمنين وسبوهم من أجل ذلك، وكل هذه الأمور تناقض الإسلام، كما دل عليه الكتاب والسنة.....وعند هؤلاء وأمثالهم ـ قلت: وأفراخهم من مرجئة عصرنا من دعاة السلفية من الخلوف وجماعة الإخوان والسرورية ـ أنهم على الدين الذي كانوا عليه لم يفارقوه "(١).

ـ وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ:" لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء أي الطواغيت وتكفيرهم كما قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ البقرة:٢٥٦.

ـ وقال أيضا:" والمرء قد ينجو من الشرك ويحب التوحيد، ولكنه يأتيه الخلل من جهة عدم البراءة من أهل الشرك وترك موالاة أهل التوحيد ونصرتهم فيكون متبعا لهواه داخلا من الشرك في شعب تهدم دينه وما بناه، تاركا من التوحيد أصولا وشعبا لا يستقيم معه إيمانه الذي ارتضاه فلا يحب ولا يبغض لله ولا يعادي ولا يوالي لجلال من أنشأه وسواه، وكل هذا يؤخذ من شهادة أن لا إله إلا الله "(٢).

ـ ويقول أيضا:" وأفضل القرب إلى الله مقت أعدائه المشركين وبغضهم وعداوتهم وجهادهم وبهذا ينجو العبد من توليهم "(٣).

ـ وقال:" وما جاء في القرآن من النهي والتغليظ الشديد في موالاتهم وتوليهم، دليل على أن أصل الأصول لا استقامة له ولا ثبات له إلا بمقاطعة أعداء الله وحربهم وجهادهم والبراءة منهم، والتقرب إلى الله بمقتهم وعيبهم، وقد قال تعالى لما عقد الموالاة بين المؤمنين وأخبر أن الكافرين بعضهم أولياء بعض : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ الأنفال:٧٣.

وهل الفتنة إلا الشرك، والفساد الكبير هو انتثار عقد التوحيد والإسلام وقطع ما أحكمه القرآن من الأحكام والنظام...فليتأمل من نصح نفسه وينظر ما وقع من أكثر الناس اليوم، فإنه يتبين أنها تتناول مَن ترك جهادهم، وسكت عن عيبهم، وألقى إليهم السلم، فكيف بمن أعانهم، أو جرهم على بلاد أهل الإسلام، أو أثنى عليهم أو فضلهم بالعدل على أهل الإسلام واختار ديارهم ومساكنتهم وولايتهم وأحب ظهورهم، فإن هذا ردة صريحة بالاتفاق "(٤).

---

(١) الدرر ١٩٠/٨.
(٢) الدرر ٦٨١/٨.
(٣) الدرر ٨٤٢/٨.
(٤) الدرر ٣٢٤/٨.

ـ ويقول الشيخ اسحاق بن عبد الرحمن:" ولا يكفي بغضهم بالقلب، بل لا بد من إظهار العداوة والبغضاء...فانظر إلى هذا البيان الذي ليس بعده بيان، حيث قال: (بدا بيننا) أي ظهر، هذا هو إظهار الدين فلا بد من التصريح بالعداوة وتكفيرهم جهارا والمفارقة بالبدن، ومعنى العداوة أن تكون في عدوة والضد في عدوة كما أن أصل البراءة المقاطعة بالقلب واللسان والبدن، وقلب المؤمن لا يخلو من عداوة الكافر، وإنما النزاع في إظهار العداوة "(١).

ـ وقال عبد الله بن عبد اللطيف:" التولي كفر يخرج من الملة، وهو كالذبِّ عنهم وإعانتهم بالمال والبدن والرأي، والموالاة كبيرة من كبائر الذنوب كبلِّ الدواة، أو بري القلم، أو التبشبش لهم أو رفع السوط لهم "(٢).

ـ وقال أيضا عن إعانة المشركين على المسلمين:" ومن جرهم وأعانهم على المسلمين بأي إعانة فهي ردة صريحة "(٣).

ـ وقال الشيخ حمد بن عتيق في كتابه النفيس سبيل النجاة والفكاك عند قوله تعالى: ﴿ **وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا** ﴾ الممتحنة:٤ . :" تأمل تقديم العداوة على البغضاء لأن الأولى أهم من الثانية فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم فلا يكون آتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ولا بد أيضا أن تكون العداوة والبغض باديتين ظاهرتين بينة ودائمة، وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب فإنها لا تنفع حتى تظهر أثارها وتبين علامتها ولا تكون كذلك حتى تعرف بالعداوة والمقاطعة فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين أما إذا وجدت الموالاة والمواصلة فإن ذلك يدل على عدم البغضاء ".

ـ وقال:" فإن كثيرا من الناس قد ظن أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين وأن يصلي الصلوات ولا يُرد عن المساجد فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشركين أو في أماكن المرتدين وقد غلطوا أقبح الغلط، فلا يكون مظهرا لدينه إلا مَن صرح مَن ساكنه من كل كافر ببراءته منه وأظهر له عداوته لهذا الشيء الذي صار به كافرا ولهذا قال المشركون للنبي ﷺ عاب ديننا وسفه أحلامنا وشتم آلهتنا ".

ـ وقال أيضا:" قد دل القرآن والسنة على أن المسلم إذا حصلت منه موالاة أهل الشرك والانقياد لهم، أرتد بذلك عن دينه "(٤).

ـ وقال:" إن مظاهرة المشركين ودلالتهم على عورات المسلمين أو الذب عنهم باللسان أو الرضا بما هم عليه، كل هذه مكفرات، فمن صدرت منه فهو مرتد، وإن كان مع ذلك يبغض الكفار ويحب المسلمين "(٥).

---

(١) الدرر الجهاد ١٤١.
(٢) الدرر ٤٢٢/٨.
(٣) الدرر ٤٢٩/١٠.
(٤) الدرر ٢٦٣/٩.
(٥) الدفاع عن أهل السنة والاتباع ٣١.

والمقصود من هذا النقل الرد على أقوام تلبسوا بالسلفية والدعوة الوهابية وهي منهم في براء وفي مقابلهم آخرون بالإخوانية الشيطانية، فأرادوا إسلاما لا معادات ولا تكفير فيه، وسعوا في توحيد لا كفر بالطاغوت فيه، فدعوا إلى دين لا حقيقة له ومذهب إرجائي لا فائدة فيه، ووالله ما عرفنا كلام السلف عن المرجئة وحقيقته إلا لما رأيناهم وسمعنا منهم مقالاتهم، وهم وأيم الله أشد على الدين ضررا وفسادا من اليهود والنصارى، إذ مرغوا الدين واستباحوا الحمى وأزهقوا التوحيد وأماتوا الجهاد فيه، وهذا كله مع دعوة الوهابية والسلفية.

المبحث الثاني

كفر البغض والكره

المسألة الأولى: تعريف البغض والكره:

البغض نقيض المحبة، والمباغضة والتباغض تكون من الطرفين بالمفاعلة ضد التحابب.

والكره: بفتح الكاف وضمها لغتان وهو ضد الحب والرضا.

المسألة الثانية: أدلة كفر البغض:

قال تعالى: ﴿ **حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ التوبة:٤٨.

وقال تعالى: ﴿ **وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ التوبة:٥٤.

وقال سبحانه : ﴿ **وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ التوبة:٨١.

وقال سبحانه: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ محمد:٢٨.

وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ محمد:٨ـ٩. فحكم الله عليهم بالكفر وأحبط أعمالهم لردتهم.

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ** ﴾ محمد:٢٦.

وقال سبحانه: ﴿ **لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ﴾ الزخرف:٧٨.

وقال تعالى: **أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** المؤمنون:٧٠.

وقال سبحانه: ﴿ **أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ** ﴾ هود:٢٨.

وقال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ الزمر:٤٥.

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ المجادلة:٥.

وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ** ﴾ الأعراف:٤٥.

المسألة الثالثة: في كلام أهل العلم:

قال الإمام محمد: الناقض الخامس:" من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر ".

قال ابن تيمية في الصارم:" ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه ويقول أنا لا أقر بذلك ولا ألتزمه وأبغض هذا الحق وأنفر عنه وتكفير هذا معلوم بالإضطرار من دين الإسلام والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع ".

وقال البهوتي في كشاف القناع شرح الإقناع للحجاوي:" قوله: أو كان مبغضا لما جاء به الرسول ﷺ ولو لم يشرك بالله لكن أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه، كما هو حال من يدعي العلم ويقرر أنه دين الله ورسوله ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارى بل يعادون من التفت إليه ويحلون دمه وماله ويرمونه عند الحكام ".

قلت: إذا كان هذا في عصرهم فكيف بعلماء السوء في زماننا في تلبيسهم دين الله وصد الناس عنه ونشر فتاويهم الموافقة لما يريده اليهود وأهل الصليب حتى صاروا يتبرعون بطبع كتبهم ونشر فتاواهم في البلدان التي يحتلونها.

وقال ابن بطه في الإبانة:" لو أن رجلا آمن بجميع ما جاء به الرسل إلا شيئا واحدا كان برد ذلك الشيء كافرٌ عند جميع العلماء".

المسألة الرابعة: البغض ضد المحبة:

المحبة شرط من شروط لا إله إلا الله وهي تنافي البغض، وبغض لا إله إلا الله يدخل فيه بغض الله ورسوله ﷺ ودينه وأفعاله وأوليائه وهو ضد محبتها ومحبة ما تدل عليه ومقتضاها.

فمن أبغض شيئا مما جاء به حبيبنا ﷺ عن حبيبنا وربنا المولى عز وجل فإن ذلك يناقض هذه المحبة لله ولرسوله ﷺ ولدينه ويكذب وجود المحبة، ومعلوم أن العبادة تقوم على المحبة ومن لا يحب الله وما أحبه الله فليس من عبيد الله وأوليائه ولا المؤمنين به.

المسألة الخامسة: البغض من أعمال القلوب:

البغض محله القلب إلا أن أثاره ولوازمه تظهر على اللسان والجوارح وتسمى آثاره ولوازمه بالبغض العملي وهو ما يدل على بغض القلب ويستلزمه.

المسألة السادسة: أركان البغض:

١ـ بغض القلب: وهذا محل البغض وأصله.

٢ـ بغض اللسان: ويكون بالسب وإظهار الكره ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَر ﴾ آل عمران:١١٨.

٣ـ بغض الجوارح: ويكون بأعمال الجوارح والأفعال الظاهرة والعداوة.

المسألة السابعة: البغض العملي:

وهو ما يتعلق بالأفعال الظاهرة وأعمال الجوارح، وضابطه العمل الذي يدل على بغض القلب وكره ويستلزمه مثل قتال النبي ﷺ وقتل أولياء الله ومحاربتهم وحرب الدين وما أمر الله به وافترضه، والسب والشتم للدين وأهله، فإن هذه الأعمال الظاهرة لا تصدر من قلب محب لله ورسوله ودينه راضيا بها، وإنما يصدر من قلب كافر ومنافق، قلبه مبغض لله ولرسوله ولدينه، ولا يخالف في ذلك إلا المرجئة الذين ينكرون العلاقة التلازمية بين الباطن والظاهر كما هو معلوم من مذهبهم، ومما يدل على أن البغض يظهر، قوله تعالى: ﴿ **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ** ﴾ آل عمران:١١٨.

والبغض العملي من جنس الاستحلال العملي والجحود العملي ونحوه.

وانقسم الناس في هذا الأصل بين خارجي يكفر بآحاد الأعمال والمعاصي، والمرجئة الذين لا يكفرون إلا باعتقاد القلب.

المسألة الثامنة: لوازم البغض:

كما أن للمحبة لوازم من إتباع للمحبوب وطاعته والرضا به والانقياد له والدفاع عنه ومناصرته، فكذلك البغض له لوازم فيلزم منه المعاداة والمجاهدة والسب والبراءة والخصومة والتخلص والمجانبة. فمن أبغض شيئا عاداه وجاهده وتبرأ منه وأظهر كُرهه له ورده، وإلا كان بغضه كاذبا ومجرد دعوى.

كما أن من ظهر منه السب والحرب والعداوة والمجاهدة لزم ذلك وجود البغض ودل على وجوده في القلب.

المسألة التاسعة: صور بغض التوحيد:

١ـ حرب التوحيد وتضييق مجاريه وعدم التمكين له مع السماح للشرك والكفر بالحرية والظهور.

٢ـ الصد عن سبيل الله ومنع الناس من العمل بالدين والدخول فيه والقيام به على وجه، أو السعي في إخفاء معالم الدين وشعائره الظاهرة، أو نشر وترويج كل ما يخالف الدين ويضاده ويهدمه ويقدح فيه والدفاع عنه وعن أهله ومحبة إشاعة الفاحشة.

٣ـ ذم الدين وسبه وشتمه والقدح فيه والسخرية به أو بشيء منه.

٤ـ مدح الكفر وإظهاره والسماح له وتأييد أهله ومدحهم وإعانتهم على كفرهم.

٥ـ محاربة أهل الدين والتربص بهم وأذيتهم وسبهم ولمزهم والإساءة إليهم.

٦ـ حرب الجهاد وأهله وصد الناس عنه، وهذه أبرز علامات أهل النفاق.

قال تعالى: ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ** ﴾ آل عمران:١٦٧.

٧ـ كتمان الحق أو لبسه بالباطل وهو من أخطر ما يواجه به أهل الإسلام.

المسألة العاشرة: أحكام البغض:

١ـ البغض الواجب التعبدي: وهو بغض الشيطان والكفرة والمشركين والمعبودات والطواغيت والكفر وأهله وأعداء الله الكافرين وبغض كل ما يبغضه الله ولا يرضى به وكل ما يصد عن ذكر الله من الأفعال والأعيان، وينقسم هذا النوع إلى قسمين:

أـ ما تركه كفر وهو الكفر بالطاغوت وبغض الكفر وأهله.

ب ـ ما تركه محرم ولكن لا يصل إلى الكفر كترك بغض واحد من الكفار أو عدم بغض معصية من المعاصي كمحبة النظر للمحرم أو سماع الغناء ونحو ذلك.

٢ـ البغض الكفري: وهو بغض الله أو أفعاله وصفاته أو رسوله ﷺ أو أنبيائه وأوليائه وأهل دينه أو بغض دينه وأمره أو هدي الرسول ﷺ وسنته أو شيئا مما جاء به.

٣ـ البغض المحرم: ولا يصل إلى الكفر كالتباغض لأجل الدنيا.

٤ـ البغض المستحب الكامل: وهو البغض لله وفي الله كبغض الفاسق لفسقه.

٥ـ البغض المكروه: ككره وتثاقل عن بعض التكاليف.

٦ـ البغض المباح الطبعي: كبغض بعض الأمور الدنيوية.

المسألة الحادية عشرة: البغض الكفري:

ومناط الكفر في البغض هو كل ما ينافي أصل المحبة لله ولتوحيده وللشهادتين والرضا بها وقبولها وله صور:

الأولى: أن يبغض العبد ربه عز وجل وهذا القسم والصورة نادرة، أو يبغض العبد توحيد الله وعبادته وإخلاصه بالعمل قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ الزمر:٤٥.

أو أن يبغض العبد شيئا من صفات المولى عز وجل أو أسمائه وأفعاله ويتسخط عليها ويعترض عليها، أو قضاء الله وقدره وحكمه وحكمته وأفعاله.

وهناك فرق بين الرضا بأفعال الله ومحبتها وبين مفعولاته.

الثانية: بغض الإسلام وحكم الله وشرعه ودينه وأمره ونهيه أو يبغض التحاكم له أو شيئا من الدين أو يحب ما حرم الله ونهى عنه ويبغض ما أمر به وافترضه.

الثالثة: بغض أحد أنبياء الله ورسله أو الملائكة.

الرابعة: أن يبغض الرسول لذاته أو أفعاله وهديه وشرعه ودينه وسنته أو شيئا مما جاء به.

الخامسة: بغض القرآن أو آية منه أو السنة والأحاديث وردها أو شعيرة من شعائر الله أو مبدأ الولاء والبراء والكفر بالطاغوت أو لقاء الله أو الجنة.

السادسة: بغض الصحابة رضي الله عنهم أو أهل الإيمان والدين أو العلماء أو المجاهدين.

هذه الأمور والعياذ بالله كفر وردة إذا وقعت من المسلم.

المسألة الثانية عشرة: علاقة البغض بالنفاق وأيهم السبب في الآخر:

البغض قد يكون سبب حصول النفاق وأساس وجوده، والعكس صحيح فقد يكون النفاق هو الذي أوجد البغض.

المسألة الثالثة عشرة: أوجه كون البغض كفراً:

لأنه يناقض المحبة التي هي ركن العبادة القائمة على كمال المحبة والتذلل.

ويناقض لا إله إلا الله من جهة أخرى من حيث شروطها القائمة على شرط المحبة لها، كما يناقض البغض قبول لا إله إلا الله والرضا بها والتسليم لها فضلا عن الانقياد لها، كما يناقض تعظيم الله والذل له والخضوع له.

المسألة الرابعة عشرة: علاقة البغض بالانقياد والعمل:

قد يوجد بغض لشيء من الدين مع الانقياد الظاهر له، وهذا لا ينفع صاحبه ويكون كفره اعتقاديا فمن أبغض الصلاة وصلى لم تنفعه صلاته.

المسألة الخامسة عشرة: علاقة كفر البغض بشروط لا إله إلا الله:

كفر البغض ينقض شرط المحبة بالمطابقة، وينقض شرط القبول والانقياد بالتضمن، وينقض شرط اليقين والصدق والإخلاص بالتلازم.

المسألة السادسة عشرة: أسباب البغض الكفري:

الجهل والكبر واحتقار الغير والحسد وذهاب المصالح ومخالفة الهوى والشهوة.

المسألة السابعة عشرة: الكُرْهُ الطبعي الذي سببه المشقة:

الكره الذي يحصل للمسلم مما يناله من ثقل بعض التكاليف التي فيها كلفة ومشقة على النفس فهذا ليس هو المقصود بالبغض الكفري والكره الاعتقادي، يدل لذلك، قوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ** ﴾ البقرة:٢١٦.

حديث عبادة:" بايعنا رسول الله ﷺ على المنشط والمكره ".

وقول النبي ﷺ :" حفت الجنة بالمكاره ".

وقوله ﷺ :" اسباغ الوضوء على المكاره ".

الشرط السادس

القبول

وسادسها وهو القبول وضده	هو الرد فافهم ذلك القيد ترشد
كحال قريش حين لم يقبلوا الهدى	وردوه لما أن عتوا في التمرد
وقد علموا منها المراد وأنها	تدل على توحيده والتفرد
فقالوا كما قد قاله الله عنهم	بسورة صاد فاعلمن ذلك تهتدي
فصارت به أموالهم ودماؤهم	حلالا وأغناماً لكل موحد

المسألة الأولى: تعريف القبول:

القبول بفتح القاف وضمها، أصله قَبِـلِ من المواجهة، ومنه القبلة لأن الإنسان يواجهها، وكذا القابلة والقُبل والتقابل والمقابلة والليلة المقابلة، وقبائل العرب لكونها تتقابل وتتواجه وتجتمع، ومنه الحديث:"

إن الله كلمه قُبلاً " ، وقوله سبحانه: ﴿ **عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** ﴾ الصافات:٤٤.

والقبول من أركان العقود المتعلقة بالمعاملات المالية والبيوع والنكاح والذمة، والقبول هو الذي يقابل الإيجاب ويأتي بعده، ويكون القبول فعلي، كبيع المعاطاة، ويكون بالإشارة للأخرس ونحوه.

مرادفات القبول:

الإقرار ـ الاعتراف ـ التسليم ـ الرضا.

المسألة الثانية: مدار القبول على أصلين ومعنيين:

الأول: الاخذ واللزوم:

تقول قبلت الهدية إذا أخذتها، وقبلت الأمر إذا أخذت به، ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ** ﴾ آل عمران:٣٧. أي أخذها، وقوله تعالى: ﴿ **نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا** ﴾ الأحقاف:١٦. أي نأخذ به، والله عز وجل يتقبل الأعمال أي يأخذها، والإقبال على الشيء الأخذ به وملازمته، ولعل قوله تعالى:

﴿ **لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا** ﴾ النمل:٣٧. أي لا قدرة ولا طاقة لهم على مقاومتهم أخذهم، يدخل في هذا الباب.

الثاني: الرضا وميل النفس:

تقول قبلت الشيء، إذا رضيته، وتقبلته إذا رضيت به.

ومنه الإيجاب والقبول في العقود.

ومنه قول الرسول ﷺ :" ثم يوضع له القبول في الأرض " رواه البخاري.

وقال ابن منظور في اللسان:" القبيل طاعة الله والدبير معصيته ".

والقبول في الشرع هو ما جمع هذين المعنيين:

أخذ الأمر ولزومه، مع الرضا به وميل النفس إليه وعدم رده ورفضه وتركه.

المسألة الثالثة: معنى القبول في الشرع وتعريفه في الاصطلاح العقدي:

معنى القبول لكلمة التوحيد لا إله إلا الله أي: قبول كل ما تقتضيه الشهادتين سواء كان ذلك من مضمونها أو من مدلولها وملزومها، ويكون ذلك بأخذها ولزومها وملازمتها والرضا بها والتسليم لها

وعدم ردها ورفضها أو الإعراض عنها أو الاعتراض عليها، وكذلك من قبولها أن يقبل كل ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ ويلزمه ويرضى به ولا يرد منه شيئاً مع انصياع القلب وذله وانكساره وخضوعه لما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ والرضا به.

المسألة الرابعة: حكم القبول وأهميته ومنزلته ومكانته:

القبول ركن الدين القويم الذي يدخل المرء به في دائرة الإسلام، ويُحكم على من أتى به بأحكام أهل الإسلام، ولا ينظر فيما عداه عند عدمه، لأنه أول خطوة للدخول في الدين.

المسألة الخامسة: أدلة القبول:

١ـ قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾ البقرة:٢٠٨. أي: اقبلوه وأذعنوا له واعملوا به.

٢ـ وقال تعالى: ﴿ **آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ البقرة:٢٨٥. والسماع هنا هو سماع الإجابة القبول، والطاعة والإيمان هو مقتضى القبول، ومن معاني القبول الاستماع والاستجابة.

٣ـ وقال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ النساء:٦٥.

٤ـ وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ النور:٥١.

٥ـ وقال سبحانه: ﴿ **وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ سبأ:٦. وقال سبحانه: ﴿ **أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ الرعد:١٩ وقوله تعالى: ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ** ﴾ الحج:٥٤. والعلم هنا بمعنى التسليم والقبول ذكره ابن القيم في المدارج.

٦ـ وقال سبحانه: ﴿ **قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا** ﴾ آل عمران:٨١. (١).

---

(١) الأدلة من ٧ إلى ١٤ حصل لها سقط عند النقل من الكتاب الأصل ولم نعثر عليها.

عند إعادة طبع الكتاب الذي نشرته الدولة الإسلامية ، وذلك ليقل حجمه وتصحيح بعض الأخطاء المطبعية.

١٥ـ وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ** ﴾ الزخرف:٢٣ـ٢٤.

١٦ـ وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ** ﴾ سبأ:٧ـ٨.

١٧ـ وقال تعالى: ﴿ **وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا** ﴾ الكهف:٥٦.

١٨ـ وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ** ﴾ الأنعام:٩٣. وهذا لعدم قبول ما أنزل الله.

١٩ـ وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ** ﴾ الكهف:٢٨.

٢٠ـ وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا** ﴾ النساء:١٥٠ـ١٥١.

٢١ـ وقال تعالى: ﴿ **لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا** ﴾ آل عمران:٩٩.

٢٢ـ وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** ﴾ إبراهيم:٣.

٢٣ـ وقال تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ** ﴾ الذاريات:٥٢.

٢٤ـ وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ** ﴾ ص:٤ـ٨. فردوا التوحيد ولم يقبلوا.

٢٥ـ وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ** ﴾ الفرقان:٤.

٢٦ـ وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾ الفرقان:٤١ـ٤٢.

٢٧ـ وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ** ﴾ الأنبياء:٣٦.

٢٨ـ وقال تعالى: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** ﴾ البقرة:٢٩.٨٥

٢٩ـ وقال عز وجل: ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ** ﴾ طه:١٣٣.

٣٠ـ وقال تعالى: ﴿ **مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ** ﴾ الأنبياء:٢ـ٦.

وهذه الآيات وما سبقها في حال من رد التوحيد ولم يقبله.

ومن السنة:

١ـ قال الرسول ﷺ :" من قبل مني الكلمة التي عرضتها على عمي فردها علي فهي له نجاة " رواه أحمد، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن قبول لا إله إلا الله وعدم ردها هو شرط النجاة.

٢ـ قال النبي ﷺ مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به " متفق عليه.

فمثَّل الرسول ﷺ القابل للتوحيد والدين والراد له بالأرض الطيبة والخبيثة.

٣ـ وقال صلى الله عليه وسلم :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ". رواه مسلم وابن حبان. وفي رواية" حتى يقولوا ".

والحديث دليل على شرط القبول من جهات:

الأولى: في قوله صلى الله عليه وسلم: حتى يقولوا لا إله إلا الله، وقولها هو قبولها، ومن لم يقلها كحال عمه أبي طالب فإنه لم يقبلها.

الثانية: في قوله ﷺ ويؤمنوا بي وبما جئت به وهذا صريح في اشتراط القبول.

٤ـ وقال صلى الله عليه وسلم :" ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا " رواه مسلم.

ثانيا: العقل والحس والفطرة:

دل العقل على القبول لأن من لم يقبل بالشيء لا يعتبر داخل فيه.

كما أن الفطرة السليمة فطرت على قبول أوامر ربها وخالقها والإذعان والتسليم له.

المسألة السادسة: كلام أهل العلم في القبول:

ـ قال الفضيل بن عياض:" الإيمان عندنا الإقرار باللسان والقبول بالقلب والعمل ". أخرجه اللالكائي وعبد الله في السنة.

ـ قال ابن القيم في إعلام الموقعين:" العمل المقبول هو ما أحبه الله ورضيه".

ـ قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم:" لكن القبول قد يراد به الرضا بالعمل ومدح فاعله والثناء عليه من الملائكة والمباهات به، وقد يراد به حصول الثواب والأجر عليه، وقد يراد به سقوط الفرض به من الذمة ".

ـ وقال أيضا:" والرضا بمحمد ﷺ رسولا يقتضي الرضا بجميع ما جاء به من عند الله، وقبول ذلك بالتسليم والانشراح ".

ـ وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي:" القبول في ألسنة السلف: الرضا، قبلت الشيء رضيته وأردته والتزمته ".

ـ وقال ابن تيمية في الصارم:" فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبى أن يذعن لله وينقاد فهو إما جاحد أو معاند فهذا أشد كفرا ممن قبله ".

ـ وقال إسحاق بن راهويه:" وقد أجمع العلماء أن من دفع شيئا أنزله الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر " نقله عنه ابن عبد البر في التمهيد.

ـ قال البربهاري في شرح السنة:" ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل أو يرد شيئا من آثار الرسول ﷺ فإذا فعل شيئا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام".

ـ وقال:" لا يقبل الله شيئا من السنة في ترك البعض، ومن رد منها شيئا فقد رد السنة كلها، فعليك بالقبول ".

ـ قال البهوتي في شرح منتهى الإرادات عن سبب كفر الجاحد والمنكر:" المعاندة للإسلام وامتناعه من قبول الأحكام غير قابل لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الأمة ".

ـ قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ البقرة: ١٩٣. :" هو من أبى أن يقول لا إله إلا الله ".

ـ وقال ابن عبد البر في التمهيد:" وقد أجمعوا على أن مستحل الخمر كافر راد على الله عز وجل خبره في كتابه مرتد يستتاب ".

ـ وقال ابن القيم في التبيان بتصرف:" أقسم سبحانه بنفسه المقدسة على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله ﷺ في كل ما شجر بينهم، ولم يثبت لهم هذا الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وتنشرح صدورهم وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضا والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض ".

ـ وقال ابن تيمية في الإيمان عن الإقرار:" يتناول الالتزام والتصديق ولا بد منهما وقد يراد بالإقرار مجرد التصديق بدون التزام الطاعة ".

ـ وقال:" أصل السماع الذي أمر الله به هو سماع ما جاء به الرسول ﷺ سماع فقه وقبول، ولهذا انقسم الناس فيه أربعة أصناف:

صنف: معرض ممتنع عن سماعه كالذين قال الله فيهم: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآَنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ فصلت:٢٦.

والصنف الثاني: من سمع الصوت بذلك لكن لم يفقه المعنى قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ الأنعام:٢٥. وقوله تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ يونس:٤٢.

الصنف الثالث: من سمع الكلام وفقهه لكن لم يقبله ولم يطع أمره كاليهود: ﴿ **وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** ﴾ البقرة:٩٣. وقال تعالى: ﴿ **يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة:٧٥.

الصنف الرابع: الذين سمعوا سماع فقه وقبول، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ المائدة:٨٣ (١).

---

(١) المجموع ٨/١٦.

المسألة السابعة: محل القبول وأركانه:

محل القبول القلب واللسان وأركانه متعلقة بهما ويكون لازمه في العمل:

أركانه:

الأول: القبول القلبي الباطن:

وذلك بأن يقر ويعترف ويرضى ويسلم ويفرح بما قبل به بعد أن يصدق به.

والقبول القلبي قسمان:

١ـ ما يتعلق بقول القلب: والذي هو التصديق والمعرفة واليقين والاستماع.

٢ـ القبول المتعلق بعمل القلب: وهو القائم على الإقرار والتسليم والرضا والإجابة والاعتراف.

الثاني: القبول القولي الظاهر: وذلك بأن يتكلم بالقبول به ويقر به بلسانه.

الثالث: القبول العملي الظاهر:

المسألة الثامنة: هل يوجد قبول عملي:

القبول العملي هو المتعلق بالظاهر وعمل الجوارح، قال الفضيل بن عياض:" الإيمان عندنا الإقرار باللسان والقبول بالقلب والعمل " أخرجه اللالكائي.

وليس العمل هو من مضمون القبول وإنما من لوازمه ومقتضياته.

بمعنى أن الإنسان يقبل بقلبه ولسانه، فإذا قبل لزم قبوله ذلك أن تنقاد جوارحه ويظهر القبول عليها.

فإذا أطلق القبول لم يتناول عمل الجوارح، وهذا هو الأصل ولا يتناول القبول عمل الجوارح إلا إذا قيد بها بأن يقال قبول الجوارح أو القبول العملي.

المقصود بالقبول العملي الانقياد:

القبول العملي هو الانقياد والإذعان القائم على عمل الجوارح، وهو ركن في الإيمان لا يصلح إلا به.

المسألة التاسعة: العلاقة بين القبول والانقياد:

القبول والانقياد يتناول كل منهما الآخر عند الافتراق والإطلاق، فهي من الألفاظ التي إذا افترقت في اللفظ اجتمعت في المعنى وتناول كل منهما صاحبه ودل على نفس ما دل عليه، وإذا اجتمعت في اللفظ افترقت في المدلول وصار لكل منهما معنىً يخصه.

فعند ذلك يختص القبول بالباطن والتصديق وما يتعلق بالقلب وقول اللسان دون الالتزام بالطاعة وعمل الجوارح، بينما يختص الانقياد بالظاهر وعمل الجوارح.

قال ابن تيمية في الإيمان عن الإقرار:" يتناول الالتزام والتصديق ولا بد منهما وقد يراد بالإقرار مجرد التصديق بدون التزام الطاعة ".

الفرق بين الانقياد والقبول:

١ـ أن الانقياد أعم من القبول، فكل انقياد شرعي يشتمل على القبول وليس كل قبول يشتمل على الانقياد فقد يقبل الإنسان الأمر ولا ينقاد له لكن إذا انقاد له فيعني أنه قد قبله والمقصود الانقياد الشرعي فلا يدخل فيه انقياد النفاق والمنافق في الظاهر دون قبول في الباطن.

٢ـ أن الانقياد متعلق بالأعمال الظاهرة، والقبول يتعلق باللسان والقلب والباطن.

٣ـ أن القبول يسبق الانقياد ويتقدم عليه دائما، والانقياد يتأخر عنه ويكون ثمرة له.

فالإنسان أولا يقبل ثم بعد ذلك ينقاد بما قبله.

القبول يستلزم الانقياد :

القبول الحق الصادق يستلزم الانقياد والعمل، والانقياد يشمل الخضوع وفعل الفرائض والتحاكم للشريعة والالتزام بالدين والعمل بالتوحيد، وكل ما يتضمنه الانقياد فهو من مقتضيات القبول ولوازمه، فيدخل فيه من باب اللزوم والاستلزام كالقول في من أعطي هدية فإنه لا يعتبر قبلها ما لم يأخذها، ولو قال هدية مقبولة بلسانه مع امتناعه عن أخذها من دون عذر فإنه لا يسمى قابلا لها.

وعلى ذلك فالقبول لا يتحقق إلا بالعمل، وسواء قلنا العمل من القبول أو من لوازمه وأن متعلق القبول ومحله القلب والعمل لازم له لا يصح إلا به ولا يتحقق القبول إلا بوجود العمل، فلا مشاحة ولا فرق كما لو قلنا أصل الإيمان في القلب وعمل الجوارح مقتض ولازم له ولا يقبل ولا يصح إلا به، ما دام أن النتيجة واحدة وهي كفر من ترك العمل والانقياد، كما قرره شيخ الإسلام في الإيمان.

المسألة العاشرة: علاقة شرط القبول ببقية الشروط:

القبول الحق التام الكامل المعتبر شرعا يستلزم بقية الشروط، كما أن الشروط الأخرى تستلزمه وتستدعيه، إلا أنه قد توجد بعض الشروط بدونه أو هو يوجد بدون بعض الشروط، وفي كلتا الحالتين لا ينتفع صاحب لا إله إلا الله بها لكونه فاقداً لبعض شروطها اللازمة لصحتها.

الخلاصة أن القبول بمفرده لا يكفي لتحقيق التوحيد إذا لم ينظم معه بقية الشروط.

وإليك بعض الأمثلة لبيان هذه القاعدة:

١ـ قد يقبل العبد لا إله إلا الله إلا أنه لا ينقاد لها ولا يعمل بمقتضاها، ومن هذه حاله يعتبر كفره كفر الإعراض وكفر الامتناع والتولي، والعكس لو انقاد بدون قبول فهو كفر النفاق وهو من ينقاد ظاهرا ويتظاهر بالإسلام ولا يقبل باطنا وإنما يبطن الكفر والرد.

٢ـ قد يقبل العبد التوحيد إجمالا لكن يجهله فلا يعرفه أو يشك في مقتضاه وحقيقته، وهذا كحال جهال عباد القبور وكثير من مشركي زماننا.

والعكس قد يتيقنها ويعلم بها ولا يقبل بها وهذا من كفره كفر عناد مثل أكثر كفار العرب وغيرهم.

٣ـ قد يحب التوحيد ولا يقبله مثل هرقل وأبي طالب.

وقد يقبله ولا يحبه ولا يصدق فيه وهؤلاء هم المنافقون

٤ـ وقد يقبل ولا يخلص وهؤلاء هم المشركون.

المسألة الحادية عشرة: ما يكون عليه القبول وما يتضمنه:

١ـ القبول للتوحيد يعني أن يقبل العبد بألوهية الله ويفرده بها، ويقبل بربوبيته ويقبل بتوحيد الله في ذلك كله.

٢ـ أن يقبل الموحد برسالة محمد ﷺ وما تقتضيه وبخاتمتها.

٣ـ أن يقبل بالإسلام وما فيه من الأوامر والنواهي ويدين بذلك كله، ويدعو إليه ويُحكِّمُه ويتحاكم إليه.

٤ـ أن يقبل بالقرآن فيؤمن به ويعمل بما فيه ويحكم به.

٥ـ أن يقبل بكل ما أخبر الله عنه ويصدقه.

٦ـ أن يقبل بعقيدة الولاء والبراء وتولي المؤمنين وحب الصحابة والسمع والطاعة لأئمة المسلمين والبراءة من المشركين وجهادهم.

٧ـ النطق بكل ما سبق، والبقاء والاستمرار على ذلك حتى يموت المسلم ويلقى الله وهو قابل لم يرتد أو يبدل.

٨ـ ومما يدخل في القبول الرضا بذلك كله ومحبته.

قال ابن العربي في عارضة الأحوذي:" القبول في السنة السلف الرضا، قبلت الشيء رضيته وأردته والتزمته ".

المسألة الثانية عشرة: لوازم القبول:

١ـ عبادة الله وحده والبراءة من الشرك.

٢ـ فعل الفرائض وترك المحرمات.

٣ـ الحكم بما أنزل الله والكفر بالتحاكم للطاغوت.

٤ـ موالاة المؤمنين ومعاداة المشركين.

٥ـ تعظيم شرع الله وإكرام الدين ومحبته.

٦ـ اتباع الرسول ﷺ والاقتداء بهديه ومتابعة سنته.

المسألة الثالثة عشرة: القبول أصل وكمال:

الأول: أصل القبول: وهو القبول المتعلق بالتوحيد وأصل الدين والإيمان، وهذا يكفر فاقده.

الثاني: كمال القبول أو القبول التام والكامل:

وهذا على درجات: منه الواجب الذي يأثم من تركه مع بقاء حكم الإسلام على فاعله، والمستحب الذي لا يأثم من أخل به أو تركه.

والناس يتفاوتون فيه من حيث كمال مقتضيات القبول ولوازمه من الانقياد التام والرضا والمحبة والمسارعة والانصياع للدين.

أما في نفسه فإن القبول واجب لله فيجب القبول بكل شيء جاء عن الله وعن رسوله ﷺ ولو رد على الله ورسوله ﷺ شيئا من الدين ولو قلَّ ولو أمرا واحدا كفر بذلك.

والقوادح في شرط القبول المنقصة له:

إما أن يكون صاحبها قصر في الواجب منه وأنقص منه.

أو أنه يأتي بما يقدح فيه من الأفعال التي تستلزم معارضة كمال القبول.

المسألة الرابعة عشرة: قوادح القبول:

١ـ البدع وحقيقة البدع راجع لعدم القبول التام للشرع.

٢ـ المعاصي تناقض القبول التام الكامل وتنقص كماله وتقدح فيه.

٣ـ تعطيل الأسماء والصفات.

٤ـ معارضة الوحي والشرع بالعقل كما درج على ذلك المتكلمون.

٥ـ عدم الرضا والتسليم بشرع الله وقدره.

وهذه القوادح منها ما يبطل القبول ويزيله من أصله فيصير صاحبه كافرا مرتدا، ومنها ما يقدح في كماله وينقصه مع بقاء أصله فلا يزول بل ويبقى الإسلام مع صاحبه .

المسألة الخامسة عشرة: موانع القبول:

١ـ الجهل.

٢ـ العناد والحسد والكبر.

٣ـ الكره والبغض.

٤ـ المصالح الدنيوية من مال وملك وجاه.

المسألة السادسة عشرة: القبول من صفات الله وأفعاله:

ومعناه الأخذ والرضا والمحبة والثواب ومنه قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ آل عمران:٣٧.
وقال تعالى: ﴿ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ الأحقاف:١٦.

ومن القبول الذي هو من أفعال الله ويوصف به تقبل الأعمال وقبول الطاعات.

المسألة السابعة عشرة: هل يوجد قبول بدون رغبة ورضا ومحبة:

القبول الشرعي قائم على محبة ما قبله، والرغبة فيما قبله، والرضا عنه والفرح به، والذل له وكل هذا في الباطن.

المسألة الثامنة عشرة: علاقة القبول بالرضا:

الرضا من لوازمه القبول بل هو منه ضمنا، فالقابل للشيء الأصل أنه راضٍ به، ومن معاني القبول الرضا فالذي لم يرض بالدين والتوحيد لا يعتبر قابلا، والرضا بالشيء يستلزم قبوله وإلا كان رضاه به مكذوبا، لأن الرضا صفة تضم المحبة للشيء وقبوله والانقياد له وما دام أن القبول لم يوجد فالرضا غير صحيح وليس بموجود في الحقيقة.

فلا يتصور وجود من رضي ولم يقبل إلا في المكره الذي يظهر عدم القبول والرضا مع قبوله في الباطن، ومما يظهر المعنى حديث:" إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلُقَه فزوجوه " فقد يرضى الولي بالخاطب ولا يقبل به لأجل امتناع القرابة.

كذلك لا يتصور وجود قبول من دون رضا إلا في المكره على القبول ومثله المنافق الذي يظهر القبول مع عدم رضاه بالدين في الباطن.

مبحث

النطق بالشهادتين والإقرار بها

من شرط القبول

ـ مسألة: يدل لهذا الأصل حديث:" من قال لا إله إلا الله " وحديث:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا " وغيرها.

ـ مسألة: من لم يتكلم بالشهادتين فهو كافر بالإجماع.

قال ابن تيمية في الإيمان:" الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين وهو كافر باطنا وظاهرا ".

وضد القدرة هو الخرس والبكم.

ـ **مسألة:** إذا قلنا أن القول ركن في الإيمان والتكلم بالتوحيد من شرط قبوله على الأصل أن الإيمان والتوحيد قول وعمل واعتقاد، فالكفر الذي هو ضده يكون بالقول والعمل وليس مجرد الاعتقاد كما تزعم المرجئة.

ـ **مسألة:** ولا يجزئ عن شهادة التوحيد شيء، ومن كان أعجميا وجب تلقينه لفظها وتعليمه بلغته معناها، فالتلفظ بها ركن واجب، ولا حجة للمخالف بحديث:" من استقبل قبلتنا " في اسقاط وجوب التكلم بالشهادتين، لأن الكلام في الحديث عن ضابط المسلم لا ما يدخل به المرء في الإسلام.

وأما من قتلهم خالد حين قالوا صبأنا ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ونحوه، وإنكار الرسول ﷺ ، فهذا ظاهر أن من أراد الإسلام يحقن دمه ويلقن كلمة التوحيد، لا أن الحديث مسقط لوجوب التلفظ بالشهادة، وقد قال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا** ﴾ النساء:٩٤.

ـ **مسألة:** من كان جاحدا أو قائما على كفر معين فالتلفظ بالشهادة لا تكفي حتى يقلع عن كفره أو ما كان سببا في خروجه من الإسلام به ويتبرأ منه.

وفي فتح المجيد وفتح الباري قال الحلبي:" لو قال الوثني لا إله إلا الله وكان يزعم أن الصنم يقربه إلى الله لم يكن مؤمنا حتى يتبرأ من عبادة الأصنام ".

ـ مسألة: النطق بالشهادتين لا تنفع صاحبها إلا بأمرين:

١ـ العمل بمقتضاها والالتزام بها والانقياد لها واستكمال شروطها والكفر بالطاغوت.

٢ـ عدم الإتيان بناقض يفسدها ويبطل مدلولها ومعناها وحقيقتها.

ـ **مسألة:** الفرق بين ما يدخل به المرء في الإسلام وما يحكم له باستمراره:

فالدخول في الإسلام وحتى يحكم به ويصح أن يقال فلان مسلم، يكفي فيه النطق بالشهادتين، أما استمرار الإسلام والحكم على المعين بأنه مسلم فلا بد فيه من شرطين: الالتزام، وعدم الوقوع في ناقض.

ـ **مسألة:** مخالفة المرجئة فيما ذهبوا إليه من كون النطق بالشهادتين يُدخل الجنة مطلقا ولو وقع في النواقض ولو لم يلتزم بمقتضاها وأن مجرد قولها كافٍ في الحكم بإسلام قائلها، وقد رددنا هذه الشبهة في ردنا على الأشاعرة والمرجئة وأجبنا عن الأحاديث التي استدلوا بها.

الجهمية: زعموا أن التصديق بالقلب كافٍ وأما النطق فليس بلازم للحكم بالإسلام ولا يضر من ارتكب النواقض وقال الكفر بلسانه ما دام مقرا ومصدقا.

الكرامية: على العكس فالمتكلم يحكم بإسلامه مهما فعل واعتقد فاكتفوا بمجرد النطق.

ومرجئة العصر جمعوا بين فاسد المذهبين فأتوا بما لم يسبقوا إليه.

مبحث

الموت على التوحيد

ـ **مسألة:** من شرط اعتبار صحة قبول كلمة التوحيد الاستمرار عليها حتى الموت، والموافاة عليها وعدم الارتداد عن الدين بالوقوع في أحد نواقض الإسلام.

يدل لذلك قول الرسول ﷺ :" ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة " رواه مسلم.

وفي الحديث:" إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها " متفق عليه.

وكما أن الإسلام لا ينفع صاحبه إلا إذا مات عليه، فكذلك الكفر لا يُهلك صاحبه إلا إذا مات عليه، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ** ﴾ البقرة:٢١٧.

وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ** ﴾ البقرة:١٦١.

ـ **مسألة:** الفرق بين ما يدخل به المرء في الإسلام والوصف الذي يستمر له حكم الإسلام:

فالدخول في الإسلام يكفي فيه النطق بالشهادتين أما استمرار حكمنا بالإسلام على المسلم فيشترط له شرطان:

الأول: إظهار الإسلام بالنطق بالشهادتين والانقياد والصلاة.

الثاني: أن لا يقوم بمكفر وناقض للإسلام.

ـ **مسألة:** وجوب تكفير من وقع في ناقض:

يجب تكفير المرتد ولا ينفعه نطقه بالشهادتين ولا إتيانه ببعض فروض الإسلام، ولو كان لا يرى أن هذا العمل كفرا، مثل من يدعو غير الله واسْتُتِيب وبين له فلم يقلع فإنه يكفر، ولا يمنعنا قوله لا إله إلا الله من تكفيره، بل يجب على من تيقن أن مُعيَّنا وقع في الكفر والشرك أن يكفره.

قال البربهاري في شرح السنة:" فإذا فعل شيئا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام ".

ـ **مسألة:** وجوب قتل من وقع في ناقض ولم يتب ويرجع:

كذلك يجب قتل المرتد بعد إقامة الحجة عليه، ولا ينفعه نطقه بالشهادتين ولا إتيانه ببعض فروض الإسلام ولو كان لا يرى أن هذا العمل كفر، ولا تحقن لا إله إلا الله دمه.

ـ **مسألة:** قولنا بالقتل غير التكفير، فمن وقع في الشرك لحقه اسم الشرك وكفر بفعله للشرك، لكن لا يقتل إلا بعد قيام الحجة واستتابته.

ومن الكفر ما لا استتابة فيه، مثل سب الرسول ﷺ والزنديق، والرافضي عند الأحناف لا توبة له لأنه كالمنافق والزنديق، يعمل بالتقية وكذا من ردته مغلظة.

ـ **مسألة:** ليس كل من يجب قتله فهو كافر، مثل المحصن الزاني والقاتل والمحارب.

المبحث الثاني

كفر الرد

المسألة الأولى: الكفر المتعلق بترك القبول:

كفر الرد وهو يشمل كفر الجحود والاستحلال وإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

قال إسحاق ابن راهويه:" وقد أجمع العلماء أن من دفع شيئا أنزله الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل اللَّه أنه كافر ".

وقال البربهاري في شرح السنة:" ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل أو يرد شيئا من آثار الرسول ﷺ ، فإذا فعل شيئا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام ".

المسألة الثانية: ما يقابل القبول ويعارضه:

الرد يقابل القبول ويناقضه ومن معاني الرد ومرادفاته:

١ـ الإنكار وهو يقابل الاعتراف قال تعالى:﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَـهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ النحل:٨٣. وقال تعالى: ﴿ **أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ** ﴾ المؤمنون:٦٩.

والإنكار بمعنى الرد ضد القبول والاعتراف.

٢ـ الجحود والاستحلال ويقابلان الإقرار، والجحود هو عدم الإقرار والقبول، قال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ النمل:١٤.

وقال تعالى: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآَيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ الأنعام:٣٣.

وقال تعالى: ﴿ **فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ** ﴾ التوبة:٣٧.

٣ـ التكذيب ويقابله التصديق:

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ** ﴾ الأنعام:٣٤.وقال تعالى: ﴿ **فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾ القيامة:٣١ـ٣٢. وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى** ﴾ الليل:٩.

٤ـ الإباء:

وقال تعالى عمن أبى ولم يقبل: ﴿ **يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ** ﴾ التوبة:٨. وقال تعالى:

﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآَنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا** ﴾ الإسراء:٨٩.

وقال تعالى:

﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ البقرة:٣٤. وقال تعالى: ﴿ **إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ** ﴾ الحجر:٣١.

والإباء هنا هو الامتناع ويدل على عدم القبول أيضا.

٥ـ الإعراض والتولي ويقابل العلم والحرص والطاعة:

قال تعالى: ﴿ **وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ التوبة:٧٦.

٦ـ الاعتراض ويقابله التسليم:

ومن أدلته وأمثلته:

قال تعالى: ﴿ **وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ** ﴾ الكهف:٥٦. وقال سبحانه وتعالى:

﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آَبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ** ﴾ **الزخرف:٢٣ـ٢٤. وقال تعالى:** ﴿ **هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾ سبأ:٧. وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ** ﴾ الأنعام:٩٣. وهذا لعدم قبوله ما أنزل الله، وقال تعالى: ﴿ **لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا** ﴾ آل عمران:٩٩. وقال تعالى:

﴿ **أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آَلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآَخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا** ﴾ص: ٥ـ٨. فردوا التوحيد ولم يقبلوه، وقال تعالى: ﴿ **أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا** ﴾ الفرقان:٤١، وقال تعالى:

﴿ **أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آَلِهَتَكُمْ** ﴾ الأنبياء:٣٦، وقال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّهِ** ﴾ طه:١٣٣،

وقال تعالى: ﴿ **هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** ﴾ الأنبياء:٣.

المسألة الثالثة أدلة كفر الرد:

ذكرناها في المسألة السابقة وفي أدلة شرط القبول.

المسألة الرابعة: الرد المجرد والمغلظ:

يكون الرد مجردا وقد يوجد معه ما يجعله مغلظا.

الكافر قد يكون غير قابل للدين ولا يقارنه ما يناقضه، وقد يقارن عدم القبول والرد أمر آخر من الاعتقاد الباطل المناقض للحق، كالاعتراض والتكذيب والسب.

كذلك قد يكون الرد معه عناد وإباء وتكذيب ومعارضة وعداوة، وقد يكون مجرد رد وإنكار فيكون مصدقا بل ومحبا للحق والذي جاء به وهذا كحال أبي طالب لم يقبل الحق والدين مع عدم تكذيبه بل ولا كرهه ولا عاداه خلافا لأبي لهب، قال سبحانه عن حال أكثر المشركين: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ الأنعام:٣٣، وقال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظلماً وعلواً** ﴾ النمل:١٤.

المسألة الخامسة: أقسام الرد:

١ـ الرد القلبي.

٢ـ الرد القولي.

٣ـ الرد العملي الفعلي.

ومنه وضع الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب حتى لا يسمع الحق أو يقبله.

ويسمى القولي والقلبي الرد الصريح الحقيقي.

والرد العملي هو المسمى بالرد الحكمي، وهو ما يحكم على صاحبه بالرد من ناحية فعله وعمله لا من ناحية قوله.

وضابطه هو من يعمل عملا يلزم منه أن صاحبه جاحدا ومستحلا، وهو من قبيل ما يسميه أهل العلم بالجحود العملي والاستحلال العملي ويكون بعدم تحقيق مقتضى القبول والإتيان بلازمه، بنحو الإعراض عن الدين والامتناع والتولي عنه والامتناع والإباء أو السخرية أو الاستخفاف بالدين والاستهزاء بحملته أو سبه.

المسألة السادسة: أنواع الرد:

١ـ رد صريح بالتكذيب والجحود وعدم القبول.

٢ـ رد غير صريح، وذلك بعدم تحقيق مقتضى القبول وعدم الإتيان بلوازم القبول ومقتضياته، ومن ذلك ترك حكم الشريعة وبغض التوحيد وموالاة المشركين.

المسألة السابعة: أنواع كفر الرد:

القسم الأول: الرد الكلي: بتكذيب الرسول ﷺ أو جحد رسالته أو ما جاء به أو ينكر الشريعة أو القرآن وجحدها بالكلية.

الثاني: الرد الجزئي والخاص: ويكون برد شيء من الشريعة أو أمرا غيبيا كالجن والملائكة أو نبي من الأنبياء أو فريضة من الفرائض.

ومن رد أمرا واحدا وكذب به وجحده فحكمه كحكم من كذب بالدين كله، ومن كذب برسول واحد وأنكره فمثله مثل من كذب بالرسل جميعا، ومن كذب بآية واحدة وجحدها فهو كمن أنكر القرآن كله.

قال ابن القيم:" وكفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام وكفر مقيد خاص فالمطلق أن يجحد جملة ما أنزل الله وإرسال الرسول، والخاص المقيد أن يجحد فرضا من فروض الإسلام وتحريم محرم من محرماته أو صفة وصف الله بها نفسه أو خبرا أخبر الله به عمدا أو تقديما لقول من خالفه عليه لغرض من

الأغراض "(١).

وكليهما يخرج من الملة بعد قيام الحجة والأول أشد كفرا.

المسألة الثامنة:

من رد شيئا من الدين والامر والنهي أو آية واحدة أو حديثا وسنة واحدة فهو كمن رد الدين كله، وهو بهذا الرد الجزئي مرتد يجب تكفيره.

قال إسحاق بن راهويه:" وقد أجمع العلماء أن من دفع شيئا أنزله الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر.

وقال ابن عبد البر:" وقد أجمعوا على أن مستحل الخمر كافر راد على الله عز وجل خبره في كتابه مرتد يستتاب ".

وقال البربهاري في شرح السنة:" ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عز وجل أو يرد شيئا من آثار الرسول ﷺ فإذا فعل شيئا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام".

وقال:" لا يقبل الله شيئا من السنة في ترك البعض، ومن رد منها شيئا فقد رد السنة كلها، فعليك بالقبول".

المسألة التاسعة: ما يكون فيه كفر الرد:

الرد بأنواعه من تكذيب وإنكار وجحود واستحلال متعلق بأمور منها:

١- الرد المتعلق بالله عز وجل بإنكار وجوده كما هو عند الملاحدة.

٢- تكذيب الله وعدم تصديق أخباره.

٣- جحد أسمائه وصفاته وأفعاله وإنكارها.

٤- جحد أوامر الله وفرائضه واستحلال نواهيه ومحارمه.

---

(١) المدارج ٣٦٧/١٠.

٥- تكذيب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو جحد وإنكار بعثتهم ووجودهم.

٦- التكذيب بالملائكة والجن وإنكار وجودهم.

٧- إنكار الشريعة والتكذيب بالدين أو بشيء منه أو إنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة.

٨- التكذيب بآيات الله الكونية والشرعية.

٩- التكذيب بيوم القيامة وإنكار الجنة والنار.

١٠- التكذيب بالقرآن أو جحد شيء منه وإنكاره.

١١- التكذيب بالسنة ورد شيء منها والأوامر أو الأخبار الغيبية.

١٢- الكذب على الله وعلى الرسول ﷺ ، فإن الكذب على الله ورسوله متضمن للرد وزيادة.

١٣- ادعاء النبوة والكذب في ذلك.

١٤- جحد الواجبات واستحلال المحرمات.

المسالة العاشرة: أوجه كفر الرادّ والمنكر والجاحد:

١- أنه مكذب لله وناقض للإيمان القائم على التصديق والإقرار والقبول.

٢- أن هذا اعتراض على الله ورد عليه أمره وخبره وحكمته واستدراك على الله.

٣- فيه التنقيص والتجهيل وإنكار حكمة الله وكماله عز وجل.

٤- أن الرد والجحود يناقض شرط المحبة ويوجب البغض.

٥- أن الرد يناقض شرطي القبول والانقياد والرضا.

الـشـرط الـسـابـع

الانـقـيـاد

وسابعـها فـالانـقـيـاد وضــده هو الترك للمأمور أو فعل مفسد

فتنقـاد حقـاً بالحقـوق جـميعها وتعمل بالمفروض حتما وتقتدي

وتتـرك ما قـد حرم اللّه طائعـاً ومستسلما للّه بالـقـلب تـرشـد

فمن لم يكـن للّه بالقلب مسلماً ولم يكـن طـوعـاً بالجـوارح ينقـد

فليس على نهج الشريعة سالكًا وإن خال رشدا ما أتى من تعـبـد

المسألة الأولى: تعريف الانقياد لغة:

قال الجوهري:" هو الخضوع تقول قدته فانقاد لي إذا أعطاك مقادته ".

والقيادة تكون للقائد من الأمام، ضد السياقة التي تكون للسائق من الخلف، ومنه قولهم الديك لا ينساق ولا ينقاد، والانقياد لله ورسوله أن تجعل الله ورسوله أمامك وتتبع كل ما يأمرونك به، وأنت خلفهم مذعن مستسلم ملتزم خاضع.

المسالة الثانية مرادفة الانقياد:

من الألفاظ المرادفة والمقاربة لمعنى الانقياد:

الإذعان ـ الامتثال ـ الالتزام ـ الطاعة ـ الإسلام ـ الاستسلام ـ التسليم ـ الاتباع ـ الانصياع ـ الذل ـ الخضوع ـ الخشوع ـ الإخبات ـ الاستكانة ـ التضرع ـ الاطمئنان ـ التواضع ـ الاستخذاء ـ الخنوع ـ التقوى ـ العنا، قال تعالى: ﴿ **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ** ﴾ طه:١١١ـ الدخور ـ قال تعالى: ﴿ **وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ** ﴾ النمل:٨٧.

كل هذه الألفاظ تدور حول معنى واحد وأصل جامع ألا وهو إتباع الآمر وفعل المأمور والرضا به مع الذل والخضوع (١).

المسألة الثالثة: تعريف الانقياد في الشرع والمراد به وحقيقته:

الانقياد: هو الإذعان والاستسلام ظاهرا وباطنا لله تعالى، والالتزام بدينه وشرعه وامتثال أمره والقيام بطاعته والعمل بكتابه، وعبادته وحده، وعدم الامتناع عن ذلك، ولا التولي عن طاعته ولا ترك فرائضه ولا مخالفة أمره، ولا تعقب شيء من حكمه.

وكذلك الاستسلام لرسوله ﷺ واتباع ما جاء به والعمل بسنته والرضا بحكمه وطاعة أمره، ومن تولى عن الرسول ﷺ وأعرض عن طاعته فهو لم ينقد لـ لا إله إلا الله، إذ الانقياد لـ لا إله إلا الله هو العمل بمقتضاها، ومقتضاها عبادة الله وحده وترك الشرك وفعل الفرائض والإتيان بأركان الإسلام والإيمان والالتزام بالدين وامتثال الشريعة والعمل بسنة الرسول ﷺ وهديه ومتابعته، وعدم الامتناع عن الطاعة والعمل بالقلب والجوارح، أو التولي والإعراض عن ذلك.

ولا ينتفع قائل لا إله إلا الله بها إلا بهذا الانقياد فإذا انعدم انعدمت وزالت.

---

(١) راجع ذلك في المخصص لابن سيدة والألفاظ المختلفة لابن مالك والمترادفة للكرماني.

المسألة الرابعة: أدلة وجوب الانقياد وكونه شرطا لقول لا إله إلا الله:

١ـ قال تعالى: ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ** ﴾ الزمر:٥٤، وقال تعالى: ﴿ **وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ يونس:٧٢، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ لقمان:٢٢.

قال أهل التفسير: أسلم ويسلم ومسلم بمعنى انقاد وينقاد منقاد، ومن انقاد فقد استمسك بكلمة التوحيد التي هي العروة الوثقى، ودلت الآية الأخيرة على أن من لم يسلم ولم ينقد فليس بمستمسك بكلمة التوحيد، ومن لم يستمسك بها فهو كافر ليس بمسلم ولا مؤمن.

٢ـ وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** ﴾ النساء:١٢٥، وقال تعالى: ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ آل عمران: ٨٣.

وهتان الآيتان دلتا على الانقياد من أربعة أوجه:

الأول: أن الدين هو الذي يتدين به العبد ويلزمه ويتقيد بحدوده وينقاد ويذعن له.

الثاني: قوله: ﴿ **دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ** ﴾ حيث فسر الدين الذي يريده بالإسلام، والإسلام هو الإخلاص لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة.

كما أنكر سبحانه في الآية الأخرى على من لا يريد الانقياد للدين ويبتغي غيره.

الثالث: قوله: ﴿ **وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ والإحسان لا يكون إلا باتباع الرسول ﷺ والانقياد لأمره.

الرابع: قوله: ﴿ **وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** ﴾ : وملته كانت قائمة على الانقياد والإخلاص والولاء والبراء والكفر بالطاغوت، فمن افتقد أحد هذه الأركان الثلاثة والشروط الملية الإبراهيمية فقد بطل دينه ولم يكن محسنا ولم تنفعه لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ البقرة:١٣١.

٣ـ قال تعالى: ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ الحجر:٩٢-٩٣، قال مجاهد وغيره وروي عن أنس وابن عمر: ليسألون عن العمل بلا إله إلا الله.

وقال الآلوسي في روح المعاني وغيره من أهل العلم عن الآية:" والمعنى على ما في البحر: يُسألون عن الوفاء بلا إله إلا الله والتصديق لقولها بالأعمال ".

٤ـ وقال تعالى: ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا** ﴾ الفتح:٢٦.

أخبر تعالى أنه امتن على المؤمنين بلا إله إلا الله والانقياد لها وترك الشرك وملازمتها، وجعلهم أهلها والأحق بها من المشركين الذين امتنعوا من قولها والعمل بها.

وقال بعض أهل العلم: والزامهم إياها بالحكم والأمر بها والانقياد لها.

٥- وقال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا** ﴾ الأحزاب:٣٦.

٦- وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ النور:٥١-٥٢.

٧- وقال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ النساء:٦٥.

٨- وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ النساء:٥٩.

٩- وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾ الأحقاف:١٣، قال ابن عباس في الطاعة.

١٠- وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾ البقرة:٢٠٨.

١١- قال تعالى: ﴿ **فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا** ﴾ الحج:٣٤، والإسلام والسِّلْم والإخبات هي بمعنى الانقياد.

١٢- وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ الأنعام:١٦٢-١٦٣.

١٣- وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي** ﴾ آل عمران:٣١.

١٤- وقال تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ الحشر:٧.

١٥- وقال تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ النور:٥٤.

١٦- وقال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ البقرة:٢٥٦، أي انقاد وعمل بلا إله إلا الله.

١٧- وقال تعالى: ﴿ **وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ** ﴾ النحل:٥٢، أي تنقادون له وتطيعونه.

١٨- وقال تعالى: ﴿ **أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ** ﴾ النحل:٢، أي: أطيعوا وانقادوا.

١٩- وقال سبحانه: ﴿ **اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ الأنعام: ١٠٦، فجعل الاتباع والانقياد من لوازم التوحيد وشروطه.

٢٠ـ وقال تعالى: ﴿ **أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا** ﴾ الأنعام:١١٤.

٢١ـ وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ الحجرات:١.

٢٢ـ وقال تعالى: ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ** ﴾ الحج:٥٤. فتخبت : أي: تقبل وتنقاد.

٢٣ـ وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** ﴾ الزمر:١٧ـ١٨، وهذه الآية دليل على شرط القبول والانقياد معاً فإن الإنابة والاستماع من معاني الانقياد والقبول والاتباع.

٢٤ـ وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ** ﴾ طه:١١٢، وقوله: ﴿ **وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ** ﴾ طه:٧٥.

٢٥ـ وقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ** ﴾ لقمان:٢٣.

٢٦ـ وقال تعالى: ﴿ **ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** ﴾ التوبة:١٢٧.

٢٧ـ وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ** ﴾ المرسلات:٤٨.

٢٨ـ وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ النساء: ٦٤.

وهناك أدلة سنذكرها في الانقياد للقران والرسول ﷺ واتباعه وفي كفر الإعراض والتولي والامتناع عن الانقياد.

ومن السنة:

١ـ قال رسول الله ﷺ :" كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول الله، قال: من أطاعني دخل الجنة ومن أعصاني فقد أبى " رواه البخاري.

٢ـ وقال ﷺ :" لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها، قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها ؟ قال: أن يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير " رواه الحاكم.

٣ـ وقال ﷺ :" من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له أطاع بها قلبه وذل بها لسانه وشهد أن محمدا رسول الله حرمه الله على النار " رواه الطبراني في الأوسط.

.

٤ـ وقال ﷺ :" لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة " رواه البخاري، فجعل الرسول ﷺ ترك الانقياد للدين مهدرا للدم ناقضا للشهادة.

٥ـ وقال الرسول ﷺ :" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " رواه ابن أبي عاصم والبغوي وغيرهم وفي إسناده ضعف.

٦ـ عن بشير بن الخصاصية قال أتيت النبي ﷺ لأبايعه، فاشترط علي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن أقيم الصلاة وأن أوتي الزكاة وأن أحج حجة الإسلام وأن أصوم رمضان وأن أجاهد في سبيل الله، فقلت يا رسول الله أما اثنتين فوالله لا أطيقهما الجهاد والصدقة فقبض رسول الله يده ثم حركها وقال:" لا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة إذا؟ " قلت: يا رسول الله أنا أبايعك فبايعته عليهن كلهن " رواه أحمد في المسند.

يدل على أن لا إله إلا الله لا تدخل صاحبها الجنة إلا بشروط أعظمها الانقياد ومنه العمل بالجهاد والصدقة.

قال ابن رجب:" ففي هذا الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج ".

٧ـ وقال ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله " رواه مسلم.

٨ـ وقال الرسول ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله " رواه البخاري.

أوجه الدلالة من منطوق الحديث ومفهومه على دخول الانقياد في شروط لا إله إلا الله:

الأول: قوله ﷺ :" حتى يشهدوا " :

والشهادة تستلزم وتقتضي العمل والالزام والالتزام، وهي بهذا الاعتبار تقوم على القول والعمل، والأمر لا يطلق عليه أنه شهادة ولا يسمى بها إلا إذا كان مقترنا بلوازم وشروط ، وإلا لم يصح اطلاق الشهادة عليه، ألا ترى أن الله تعالى كذّب المنافقين في ادعائهم الشهادة بالرسالة لمحمد ﷺ مع علمهم أنه رسول الله حقا، وذلك حين لم يقوموا بشروط الشهادة ولوازمها من الانقياد والمحبة وبقية اللوازم والشروط، فتأمل هُديت للحق.

الثاني: قوله ﷺ :" فإذا فعلوا " :

والشاهد في إذا والتي هي أحد أدوات الشرط الدالة عليه، مما يدلنا على أن هناك شروطا لهذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد.

الثالث: قوله ﷺ :" فإذا فعلوا " :

فإذا فعلوا، هذا هو الانقياد المطلوب القائم على الفعل والذي يتحقق به قبول الإسلام ودخول الجنة وعصمة الدم، إذ في قوله: فعلوا: جعل التوحيد قولا وعملا وأن الانتفاع بكلمة التوحيد مقترن بشروط عملية لهذه الكلمة، وأن التوحيد ليس مجرد قول وإنما العبرة باجتماع القول والعمل، وأنه مشروط بالفعل ولا يقال أنهم فعلوا ذلك إلا مع إتيانهم بالأركان والشروط التي نص عليها في هذا الحديث وغيره.

الرابع: قوله ﷺ :" ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة " :

ووجه الدلالة في أنه رتب الجزاء والذي هو عصمة الدم والمال في الدنيا، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة على أمور زائدة على النطق بالتوحيد وهي أوصاف كثيرة وأفعال مختلفة، هي إقامة الصلاة والزكاة وهذه الأفعال وغيرها بمجملها هي الإسلام والانقياد.

الخامس: قوله ﷺ :" إلا بحقها " :

وهذه اللفظة تدل على أن كلمة التوحيد ليس مجرد قول بل لها حقوق لا تصح إلا بها ولا تقوم إلا عليها، وهذه الحقوق هي الشروط، لأن كلاً من الحق والشرط ينعدم الحكم بانعدامه ويتوقف عليه فمقتضاها وأركانها وشروطها هي حقوقها وأعظمها الانقياد.

وفي رواية:" إلا بحق الإسلام "

وفيه مزيد دلالة على شرطية الانقياد، لأن أعظم حقوق الإسلام هو ما تضمنه معنى ولفظا لغة وشرعا وهو الاستسلام والانقياد والطاعة.

السادس: قوله ﷺ :" أمرت أن أقاتل الناس حتى " :

فانظر كيف أُمِر الرسول ﷺ بقتال الناس الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمرتدين من المسلمين، حتى يأتوا بشروط لا إله إلا الله وحقها، وأعظم ما نص الحديث عليه أعمال في جملتها تمثل الانقياد، كما دل هذا الحديث على أن الأصل في التعامل مع المخالف الكافر أصلي أو مرتد القتال والتكفير والحرب وليس السلم وأن كل ذلك واقف على شروط لا إله إلا الله عملا وتركا وبالتالي عصمة للدم وهدرا.

السابع: قوله ﷺ :" ويؤمنوا بي وبما جئت به " :

ووجه الدلالة على الانقياد في قوله:" ويؤمنوا بي بما جئت به " ظاهر في اعتبار الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ ، فكل الدين يجب الإيمان به، والإيمان قول وعمل ولا تعتبر كلمة التوحيد بدون ذلك، وأيضا مما جاء به وجوب اتباعه وطاعته والانقياد لشرعه وأمره.

٩- وقال ﷺ :" العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ".

وهذا يدل على أن تارك العمل والانقياد كافر، لأنه إذا كان تارك الصلاة يعد كافرا فكيف بمن ترك العمل بالدين كله !.

الإجماع:

حيث أجمع السلف من الصحابة ومن بعدهم على كون الأعمال والتي تمثل الانقياد شرطا لصحة الإيمان وأن تارك العمل بالكلية كافر وليس بمسلم، وأن الإيمان قول وعمل واعتقاد وأن من فقد أحد هذه الثلاث فهو كافر غير مسلم، وهل قتال الصحابة لمانعي الزكاة والحكم عليهم بالردة إلا لأجل ترك الانقياد وامتناعهم عن الالتزام والانقياد.

ودليل الانقياد من ناحية العقل ووجه اشتراطه:

أن من فقد الانقياد لم يصح أن يسمى مسلما، لأن الإسلام هو الاستسلام والانقياد، وإنما يسمى ممتنعا مستكبرا متوليا معرضا معاندا، وقد حكم الله تعالى بكفر من كانت هذه صفته كما سيأتي عند كلامنا عن كفر الامتناع والتولي والإباء والاستكبار، ثم إن الشهادة قائمة على العمل والالتزام بما شهد به الشاهد وإلا لما صح إطلاق اسم الشاهد عليه، ثم إن الرسل لم تبعث إلا لتطاع ويعمل بأمرها قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ النساء:٦٤، ولأجل أن يعبد الله وحده ويتم الذل والانقياد له، فإذا انتفت هذه الحكمة فما فائدة ارسال الرسل وإنزال الكتب والأمر بالعبادة والطاعة والمتابعة ؟ وهل امتنعت أعداء الرسل من الانقياد وأَنِفَتْ منه إلا لعلمهم أن الدين لا يصح إلا بكل ذلك؟! وإلا لو كان الدين مجرد كلام ونطق مجرد عن العمل وعارٍ عن مطابقة العمل للقول لما توقفوا من النطق بالشهادتين، ومن تأمل طلب الرسول ﷺ لهم بقول كلمة واحدة ووعدهم بالعز والنصر بعدها فأرادوا معرفتها ليسارعوا في قولها، فلما علموا أنها الشهادتان وهم العالمون بمعناها وما تقتضيه وتستلزمه من أعمال كثيرة وأنها ليست مجرد كلمة تقال بلا فعل، امتنعوا وأعرضوا وأبوا.

ثم أيضا لماذا أمر الرسول ﷺ صحابته بالصبر والجهاد وقبله الهجرة للحبشة لو كان ترك العمل والانقياد ليس بكفر ؟.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب:" كثير من الذين يدعون الدين لا يعرفون لا إله إلا الله، وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك والعذاب والأسر والضرب والهجرة للحبشة مع أنه صلى الله عليه وسلم أرحم الناس لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم ".

فهل بعد هذه الحجة حجة، وهل يصح أن يقال بما ذهبت إليه المرجئة من صحة الدين وقبوله بدون عمل ولا انقياد وإذعان.

المسألة الخامسة: في أقوال أهل العلم:

فصل في النقولات في الانقياد وكفر تارك العمل:

ـ قال ابن تيمية في الصارم:" فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبى أن يذعن لله وينقاد فهو إما جاحد أو معاند فهذا أشد كفرا ممن قبله ".

ـ قال ابن عقيل في الواضح:" الطاعة والانقياد والاتباع نظائر فهي الاستجابة بسهولة ".

ـ قال ابن رشد في البيان والتحصيل:" حتى يقولوا لا إله إلا الله " أي: حتى يسلموا فيقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويلتزموا سائر قواعد الإسلام ".

ـ قال ابن عبد البر في الكافي:" وإنما يدخل في الإسلام الراغب الطائع غير المكره ".

وفي مواهب الجليل قال محمد بن يوسف المواق الغرناطي:" إنْ نطق الكافر بالشهادتين ووقف على شرائع الإسلام وحدوده ثم التزمها قُبِلَ إسلامه وإن أبى من التزامها لم يقبل منه إسلامه ".

ـ وقال الخرشي:" ولا يتقرر الإسلام إلا بالنطق بالشهادتين مع التزام أحكامها ".

ـ وقال الشنقيطي في كوثر المعاني:" الامتثال والانتهاء مدرجين تحت الشهادتين ".

ـ وقال ابن بطال في شرح صحيح البخاري:" ولو أن أهل الأوثان وحَّد بعضهم وشهد أن لا إله إلا الله، وحكم له بحكم الإسلام في منع نفسه وماله، ثم عرضت عليه شرائع الإسلام بعد ذلك، فامتنع من الإقرار برسول الله ﷺ كان لا شك بالله كافرا ".

ـ قال الطبري في تفسير " أسلم وجهه " :" فإنه يعني التذلل لطاعته والإذعان لأمره، وأصل الإسلام الاستسلام لأنه من أسلمت لأمره وهو الخضوع لأمره، وإنما سمى المسلم مسلما بخضوع جوارحه لطاعة ربه، وكما قال زيد بن عمرو بن نفيل: وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن...، يعني بذلك أسلمت لطاعة من استسلم لطاعته المزن وانقادت، وخص إسلام الوجه لأن أكرم أعضاء بني آدم وجوارحه وجهه وهو أعظمها عليه حرمة وحقا، فإذا خضع لشيء وجهه فغيره من أجزاء جسده أحرى أن يكون أخضع له ".

ـ وقال الواحدي:" أسلم وجهه انقاد لأمره وبذل له وجهه في السجود ".

ـ وقال ابن عطية في المحرر الوجيز:" وأسلم معناه استسلم وخضع ودان ".

ـ وقال الرازي عن الإسلام:" أنه لا يكون إلا بالانقياد والخضوع وإذلال النفس في طاعته وتجنب معصيته، ومعنى لله أي خالصا لا يشوبه شرك ".

ـ وقال الشنقيطي في أضواء البيان عند قوله تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ** ﴾ النساء:٦٥:" أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكّم الرسول ﷺ في جميع الأمور ثم ينقاد لما حكم به ظاهرا وباطنا ويسلم تسليما كليا من غير ممانعة ولا مرافعة ولا منازعة، وبين في آية أخرى أن قول المؤمنين محصور في هذا التسليم الكلي والانقياد التَّام ظاهرا وباطنا لما حكم به صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** ﴾ النور:٥١ ".

ـ وقال القاسمي وغيره من أهل التفسير عند قوله تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ :" لا يجدوا في أنفسهم حرجاً: الانقياد الباطن، ويسلموا تسليما: الانقياد الظاهر ".

ـ وقال البيضاوي في تفسيره:" وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ".

ـ وقال القرطبي وأبو السعود:" ينقادوا لأمرك ويذعنوا ".

ـ وقال الآلوسي في روح المعاني:" وينقادوا لأمرك ويذعنوا له بظاهرهم وباطنهم ".

ـ وقال الرازي ﴿ **ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ** ﴾ النساء:٦٥:" المراد به الانقياد في الباطن، وقوله تعالى: ﴿ **وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ المراد منه الانقياد في الظاهر ".

ـ وقال الحافظ الحكمي:" ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب ".

ـ قال ابن تيمية في الصارم:" الإسلام يجمع معنيين:

أحدها الاستسلام والانقياد فلا يكون مستكبرا، والثاني الاخلاص فلا يكون مشركا " (١).

ـ وقال فيه:" وهذا الانقياد والاستسلام هو نوع من الإرادة والعمل، ولا يكون مؤمنا إلا بمجموع الأمرين التصديق والانقياد، فمن ترك الانقياد كان مستكبرا فصار من الكافرين وإن كان مصدقا ".

ـ قال ابن القيم في إعلام الموقعين:" فإذا كان رفع الصوت فوق صوته سببا لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه، أليس هذا أولى أن يكون محبطا لأعمالهم ".

---

(١) الصارم المسلول ٣/٩٦٣.

ـ وقال ابن سعدي:" أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ﷺ ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى يختفي الحرج ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى يسلموا لحكمه تسليما بانشراح صدر وطمأنينة نفس وانقياد بالظاهر والباطن، فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، فمن استكمل هذه المراتب وكملها فقد استكمل مراتب الدين كلها، ومن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزما له فهو كافر ومن تركه مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين ".

وهذا الالتزام الذي يذكره أهل العلم يأتي في مقابل كفر الامتناع والتولي والإباء والعناد وهو من قبيل العمل، وهو غير الجحود القلبي كما توهمت المرجئة وسيأتي مزيد بيان للمسألة إن شاء الله.

ـ وقال ابن القيم في عدة الصابرين:" وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنا حتى يأتي بعمل القلب من الحب والبغض والموالاة والمعاداة فيحب الله ورسوله ﷺ ويوالي أولياءه ويعادي أعداءه ويستسلم بقلبه لله وحده وينقاد لمتابعة رسوله ﷺ وطاعته والتزام شريعته ظاهرا وباطنا ".

ـ وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ لقمان:٢٢ :" أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه ".

ـ وقال السمعاني في تفسيره:" وقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ** ﴾ من التسليم ومن الانقياد وقوله تعالى: ﴿ **فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ لقمان:٢٢ ، لا إله إلا الله، كما فسرها ابن عباس ".

ـ ونقل ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾ الأحقاف:١٣، كلام الصحابة والتابعين، ومن تلك الأقوال أن الاستقامة على لا إله إلا الله :

هي العمل بها وطاعته وعدم الشرك، وأداء الفرائض والالتزام والانقياد، وقال عمر رضي الله عنه : استقاموا والله بطاعته ولم يروغوا .

ـ وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية:" ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب إذ لو أطاع القلب وانقاد لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، قال صلى الله عليه وسلم: إن في الجسد مضغة...".

ـ وقال ابن حجر في فتح الباري:" فإن من لازم الإيمان بالله ورسوله ﷺ التصديق بكل ما ثبت عنهما والتزام ذلك، فيحصل ذلك لمن صَدَق بالشهادتين ".

ـ وقال البقاعي مبينا متى ينفع التوحيد:" وإنما يكون نافعا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه ".

ـ وقال ابن نصر المروزي:" الإيمان أن تؤمن بالله وتوحده وتصدق بالقلب واللسان وتخضع له ولأمره بإعطاء العزم على أداء ما أمر مجانبا للاستنكاف والاستكبار والمعاندة ".

ـ وقال ملا علي قاري في مرقاة المفاتيح:" المقصود من الرضا الانقياد الباطن والظاهر ".

ـ وقال:" الصبر على البلاء انقياد للقضاء ".

ـ وقال:" الانقياد الباطن المستلزم للانقياد الظاهر ".

ـ وفي التيسير شرح الجامع يغار الله للمسلم:" أي يغار أن ينقاد لسواه ".

ـ وقال ابن حجر في الفتح في باب من أبى قبول الفرائض في كتاب استتابة المرتد في شرح حديث أمرت أن اقاتل الناس:" وفيه منع قتل من قال لا إله إلا الله ولم يزد عليها، وهو كذلك ولكن هل يصير بمجرد ذلك مسلما؟ الراجح لا ، بل يجب الكف عن قتله حتى يُختبر، فإن شهد بالرسالة والتزم بأحكام الإسلام حُكِم بإسلامه، وإلى ذلك الإشارة بالاستثناء بقوله إلا بحق الإسلام ".

وفي كلامه مسألتان: الأولى: في الحكم بالإسلام بمجرد النطق بالشهادتين وقبل الالتزام والمسألة خلافية وستأتي.

الثانية: في كفر من لم يلتزم بالإسلام بعد اختباره وهذا إجماع.

ـ قال ابن تيمية في التسعينية:" لا بد أن يقترن بالعلم في الباطن مقتضاه من العمل الذي هو المحبة والتعظيم والانقياد ونحو ذلك، كما أنه لا بد أن يقترن بالخبر الظاهر مقتضاه من الاستسلام والانقياد لأصل الطاعة ".

ـ وقال في الإيمان:" فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول ".

ـ وسئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال:" يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله ". من مدارج السالكين.

ـ وقال المعلمي في رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله:" الصحابة كانوا يفهمون اتحاد معنى شهادة لا إله إلا الله التي يثبت بها الإسلام، ومعنى التزام عبادة الله تعالى وعدم الشرك به وهو المطلوب، وأيضا فالاعتراف والتصديق إنما هي بمثابة الوسيلة للالتزام، والتسليم والرضا مستلزم للالتزام بل لو قيل أن جانب الالتزام هو المغلَّب في شهادة لا إله إلا الله لما كان بعيدا ".

ـ وقال ابن القيم في أحكام أهل الذمة:" والكفر وإن اختلفت شعبه فيجمعه خصلتان: تكذيب الرسول ﷺ في خبره وعدم الانقياد لأمره ".

ـ وقال في زاد المعاد عن وفد نصارى نجران:" وفيها أن اقرار الكاهن الكتابي في رسول الله ﷺ بأنه نبي لم يدخله في الإسلام مالم يلتزم طاعته ومتابعته، فإذا تمسك بدينه بعد هذا الإقرار لا يكون ردة منه، ونظير هذا قول الحبرين له صلى الله عليه وسلم وقد سألاه عن ثلاث مسائل فلما أجابهما قالا نشهد إنك نبي، قالا: فما منعكما من اتباعي؟ ، قالا: نخاف أن تقتلنا اليهود ـ والحديث رواه أحمد والنسائي

والترمذي - ولم يلزمهما بذلك الإسلام، ونظير ذلك شهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق وأن دينه من خير أديان البرية ولم تدخله هذه الشهادة في الإسلام، ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من اهل الكتاب والمشركين له صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأنه صادق فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علم أن الإسلام أمر وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط ولا المعرفة والإقرار فقط بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهرا وباطنا ".

- وقال في مفتاح دار السعادة:" ولم يحكم لهؤلاء اليهود الذين شهدوا له بالرسالة بحكم الإسلام، هذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة السنة أن الإيمان لا يكفي فيه قول اللسان بمجرده ولا معرفة القلب مع ذلك بل لا بد فيه من عمل القلب وهو حب الله ورسوله ﷺ وانقياده لدينه والتزام طاعته ومتابعة رسوله وهذا بخلاف من زعم: أن الإيمان هو مجرد معرفة القلب وإقراره " (١).

- وقال ابن تيمية في الإيمان عن هؤلاء اليهود: فعُلم أن مجرد العلم والاخبار عنه ليس بإيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد مع تضمن ذلك الاخبار عما في أنفسهم، فالمنافقون قالوا مخبرين كاذبين فكانوا كفارا في الباطن، وهؤلاء قالوا غير ملتزمين ولا منقادين فكانوا كفارا في الظاهر والباطن ".

- وقال فيه:" لفظ الإقرار يتضمن الالتزام ثم إنه يكون على وجهين: الاخبار في مقابل التصديق، وإنشاء الالتزام في مقابل الامتناع عن الطاعة والانقياد، كما استُعمل الإقرار في نفس معنى التزام الطاعة والانقياد " (٢).

- وقال ابن حجر في الفتح:" إن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام ".

ومن هذا إعذار الرسول ﷺ لعمرو بن عبسة السلمي حين قال إني متبعك فقال له: إنك لا تستطيع ذلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني.

فإن معناه إني متبعك على إظهار الإسلام هنا وإقامتي معك فقال لا تستطيع لضعف المسلمين ولكن قد حصل أجرك فابق على إسلامك.

- وقال ابن القيم في الصلاة:" فإن الإيمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه، وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد ".

- وقال:" وليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له ".

- وقال ابن أبي العز في شرحه للطحاوية:" والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال أنا أعلم أنك صادق ولكن لا أتبعك بل أعاديك وابغضك وأخالفك لكان كفره أعظم... فالإيمان يكون تصديقا وموافقة وموالاة وانقيادا ".

---

(١) مفتاح دار السعادة ٩٤/١.
(٢) الفتاوي ٥٣٠/٧. بتصرف

ـ وقال ايضا:" فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل".

ـ وقال:" لا يثبت إسلام من يُسلِّم لنصوص الوحيين وينقاد إليهما ولا يعترض عليها ولا يعارضها، روى البخاري عن الزهري قال: من الله الرسالة وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم ".

ـ وقال ابن تيمية في الإيمان:" والكفر هو عدم الإيمان سواء كان معه تكذيب أو استكبار أو إباء أو إعراض ".

ـ وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب:" لا خلاف بين الأمة أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب الذي هو العلم، واللسان الذي هو القول، والعمل الذي هو تنفيذ الاوامر والنواهي، فإن أخل بشيء من هذا لم يكن الرجل مسلما، فإن اقر بالتوحيد ولم يعمل فهو كافر معاند ".

ـ قال ابن سعدي في تفسيره:" قال الله تعالى: ﴿ **أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾ طه:٤٨: كذب الأخبار وتولى عن الانقياد ".

فصل

أقوال السلف في كفر تارك جنس العمل

العمل الظاهر من العبادات والفرائض ومباني الإسلام تعتبر جزءا من التوحيد والإيمان وركنا فيه يزول بزواله فتارك جنس العمل كافر خارج من الإسلام والإيمان خلافا للمرجئة.

أما زوال الإيمان فلأن الإيمان مركب من قول وعمل فإذا زال العمل فقد زال الإيمان، وأما زوال الإسلام فلأنه قائم على الاستسلام بالطاعة والانقياد بالعمل فإذا زال العمل زال الإسلام ولم يبق مع تارك العمل لا إيمان ولا إسلام.

فهذا العمل الذي هو ركن الإيمان هو حقيقة الإسلام كذلك، وهو شرط من شروط التوحيد ولا إله إلا الله وهو الانقياد، والانقياد هو الإذعان العملي بالجوارح، والامتثال الظاهر المترتب على الانقياد والقبول الباطن، وقد بين السلف ما قرره الشارع وجاء موضحا في الكتاب والسنة وفهم الصحابة أن تارك العمل لا يعتبر مسلما ولا مؤمنا بل من حكم بإسلام ذلك فهم يكفرونه (١).

ـ ومن ذلك ما نقله الخلال في سننه عن الحميدي بقوله:" وأخبرت أن قوما يقولون إن من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئا حتى يموت أو يصلي مسندا ظهره مستدبرَ القبلةِ حتى يموت، هو مؤمن مالم يكن جاحدا إذا كان يقر بالفروض، فقلت هذا الكفر بالله الصراح وخلاف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفعل المسلمين، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ البينة:٥.

ـ كما ذكر الخلال في السنة عن الإمام أحمد بن حنبل نحو ذلك: حيث قال:" من قال هذا ـ الكلام السابق الذي ذكره الحميدي ـ فقد كفر بالله ورد على الله أمره وعلى الرسول ﷺ ما جاء به ".

فإذا كان السلف كفروا من لم يكفر تارك العمل، وكفروا من يقول أن تارك العمل مسلم ولا يكفر بذلك إذا كان مقرا بها، فكيف لا يكفرون من تقوم به هذه الصفة وهي ترك العمل فتأمل.

ـ قال الإمام سفيان بن عيينة:" والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصرا بقلبه على ترك الفرائض، وسموا ترك الفرائض ذنبا بمنزلة ركوب المحارم، وليس بسواء لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية، وترك الفرائض متعمدا من غير جهل ولا عذر كفر، وبيان ذلك في أمر آدم وإبليس وعلماء اليهود....وتركهم على معرفة من غير جحود فهو كفر ". أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة وغيره.

---

(١) فانظر رحمك الله إلى أهمية هذه المسألة وما سنورده من كلام السلف وإجماعهم وليسعك ما وسعهم ولازمه تفلح، ولا تلتفت إلى ما يشيعه المخالفون واللاعبون بالدين من كون هذه المسألة طنطنة لا فائدة منها وخلاف لا حقيقة له ولا ثمرة، فإن في قولهم إماتة التوحيد واستخفاف بأمر الدين.

ومثّل تاركَ الواجب بفعل إبليس واليهود، وأن كفر تارك العمل ولو مع إقراره بوجوبه ومعرفته وعدم جحوده أمر مجمع عليه بين أهل السنة، ولم يخالف فيه إلا المرجئة، فتأمل كلام مرجئة عصرنا ممن زعم أن تكفير تارك العمل محل خلاف بين أهل السنة لا يبدع المخالف فيه، وليس بين مرجئ مبتدع وسني متبع.

ـ وقال الإمام ابن رجب:" روى عن عطا ونافع مولى ابن عمر أنهما سئلا عمن قال الصلاة الفريضة ولا أصلي؟ فقال هو كافر، وكذا قال الإمام أحمد " (١).

وأخرج أثر عطا عبد الله بن الإمام أحمد في السنة والخلال واللا لكائي.

ـ بل جعل الإمام إسحاق بن راهويه هذا القول هو قول غلاة المرجئة حيث نقل ابن رجب في الفتح عنه قوله:" غلت المرجئة حتى صار من قولهم إن قوما يقولون من ترك الصلوات المكتوبات وصوم رمضان والزكاة والحج وعامة الفرائض من غير جحود لها أنا لا نكفره، يرجأ أمره إلى الله بعد، إذ هو مقر فهؤلاء الذين لا شك فيهم ". يعني المرجئة.

ـ ونقل عن المدني قوله:" أن من قال ذلك يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ".

وبمثل هذا قال التستري ووكيع بن الجراح والترمذي والآجري وابن بطة ومكحول وغيرهم من أئمة السلف.

ـ روى عن علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهم:" لا ينفع قول إلا بعمل ولا عمل إلا بقول ولا قول وعمل إلا بنية ولا نية إلا بموافقة سنة " أخرجه ابن بطة في الإبانة.

ـ وقال الأوزاعي:" لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل ".

ـ وقال ابن عيينة:" لا يكون قول إلا بعمل ".

وبمثل ذلك قال الحسن البصري وسفيان الثوري والزهري والمروزي.

ـ قال الشافعي:" وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر " رواه اللا لكائي ونقله ابن تيمية عنه في الإيمان.

ـ ونقل كلام أبي ثور وفيه:" من قال أقر ولا أعمل لم نطلق عليه اسم الإيمان ".

ـ قال الإمام التستري:" الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر " رواه ابن بطة وذكره ابن تيمية في الإيمان.

---

(١) فتح الباري ٢١/١.

ـ وقال المروزي في تعظيم قدر الصلاة:" والإيمان أصله التصديق والإقرار يُنتظر به حقائق الأداء لما أقر والتحقيق لما صدق، ومَثَلُ ذلك كمثل رجلين عليهما حق لرجل، فسأل أحدهما حقه فقال ليس لك عندي حق فأنكر وجحد، وسأل الآخر حقه فقال نعم لك علي كذا، فليس إقراره بالذي يصل إليه بذلك حقه

دون أن يوفيه وهو منتظر أن يحقق ما قال، ويصدق إقراره بالوفاء، ولو أقر ثم لم يؤد حقه كان كمن جحده في المعنى، إذا استويا في الترك للأداء ".

ـ وقال الإمام الملطي في التنبيه والرد على المرجئة:" باب ذكر المرجئة منهم من يقول: من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وحرم ما حرم الله وأحل ما أحل الله دخل الجنة إذا مات وإن زنى أو سرق وقتل وترك الصلاة والزكاة والصيام إذا كان مقرا بها يُسوف بالتوبة لم يضرَّهُ وقوعُه في الكبائر وتركُ الفرائض، وإن فعل ذلك استحلالا كان كافرا بالله مشركا ".

فتأمل كيف جعل عدم التكفير بترك الانقياد وجنس العمل من أصول مذهب المرجئة.

ـ وقال الآجري في الشريعة:" فالأعمال بالجوارح تصديقا للإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بجوارحه مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وأشباه هذه ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمنا ولم تنفعه المعرفة والقول وكان تركه العمل تكذيبا منه لإيمانه وكان العمل بما ذكرنا تصديقا منه لإيمانه ".

ثم ذكر أن ضد ذلك هو مذهب المرجئة الذين تلاعب بهم الشيطان وحذر من مقولتهم والتي هي الإرجاء الخبيث حيث قال:" من قال غير هذا فهو مرجئ خبيث ".

ـ وقال ابن بطة في الإبانة:" الإيمان قول وعمل وأن من صدق بالقول وترك العمل كان مكذبا وخارجا من الإيمان، وأن الله لا يقبل قولا إلا بعمل ولا عملا إلا بقول ".

ـ وقال:" وكل من تكلم بالإيمان وأظهر الإقرار بالتوحيد وأقر أنه مؤمن بجميع الفرائض غير أنه لا يضره تركها ولا يكون خارجا من إيمانه إذا هو ترك العمل بها في وقتها....ومن أقر بذلك وقال بلسانه ثم تركه تهاونا ومجونا أو معتقدا لرأي المرجئة ومتبعا لمذهبهم فهو تارك الإيمان فليس في قلبه منه قليل ولا كثير وهو في جملة المنافقين ".

ـ وقال أيضاً فيه:" فمن زعم أنه يقر بالفرائض ولا يؤديها ويعملها، وبتحريم الفواحش والمنكرات ولا ينزجر عنها ولا يتركها، وأنه مع ذلك مؤمن، فقد كذّب بالكتاب وبما جاء به رسوله ﷺ ومثله كمثل المنافقين الذين قالوا: ﴿ **قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ المائدة:٤١، فأكذبهم الله ورد عليهم قولهم وسماهم منافقين، على أن المنافقين أحسن حالا من المرجئة لأن المنافقين جحدوا العمل وعملوه، والمرجئة أقروا بالعمل بقولهم وجحدوه بترك العمل به، فمن جحد شيئا وأقر به بلسانه وعمله ببدنه أحسن حالا ممن أقر بلسانه وأبى أن يعمله ببدنه، فالمرجئة جاحدون لما هم به مقرون، ومكذبون لما هم به مصدقون، فهم أسوأ حالا من المنافقين ".

فانظر كيف جعل رحمه الله كفر الإعراض والامتناع والإباء أشد من كفر النفاق والجحود والتكذيب وأعظم جرما.

ـ قال ابو طالب المكي في قوت القلوب ونقله عنه ابن تيمية في الإيمان:" فمثل الإسلام من الإيمان كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى في المعنى والحكم، فشهادة الرسول غير شهادة التوحيد فهما شيئان في

الأعيان وإحداهما مرتبطة بالأخرى، فهما كشيء واحد لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له إذ لا يخلو المسلم من إيمان به يصحح إسلامه ولا يخلو المؤمن من إسلام به يحقق إيمانه من حيث اشتراط الله سبحانه وتعالى للأعمال الصالحة الإيمان، واشترط للإيمان الأعمال الصالحة، فقال في تحقيق ذلك ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ** ﴾ الأنبياء:٩٤، وقال في تحقيق الإيمان بالعمل ﴿ **وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا** ﴾ طه:٧٥، ومن كان

ظاهره أعمال الإسلام لا يرجع إلى الإيمان بالغيب فهو منافق نفاقا ينقل عن الملة، ومن كان عَقدُه الإيمان بالغيب لا يعمل بأحكام الإيمان وشرائع الإسلام فهو كافر كفرا لا يثبت معه توحيد ".

ـ وقال أيضا:" وقد اشترط الله تعالى للإيمان العمل الصالح ونفى النفع بالإيمان إلا بوجود العمل، كما اشرط للإيمان الإسلام فكما لو عمل عبد بالصالحات كلها لم تنفعه إلا بالإيمان كذلك لو آمن لم ينفعه إلا بالأعمال ".

وقد ذكر الإجماع على هذا الأصل جمع من السلف وأن العمل ركن لا يُقبل الإسلام ولا الإيمان والتوحيد إلا به، وأن ترك جنس العمل كفر، وقد اختلفت عباراتهم وكلها تدور على اصل واحد، فمن أقوالهم غير ما سبق: لا يصلح قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول إلا بعمل، ولا ينفع الإيمان إلا بعمل، ولا يجزئ الإيمان إلا بالعمل، ولا يُقبل الإيمان إلا بالعمل، ولا إيمان إلا بعمل، وغيرها.

ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام وابن بطه والآجري واللا لكائي وابن منده وغيرهم هذه الإجماعات عن أكثر من مائة وثلاثين إماما من مختلف أقطار بلاد المسلمين في الحجاز واليمن والشام والعراق وخراسان والمشرق ومصر.

منهم: عطا ومجاهد وعمرو بن دينار وابن جريج ونافع والزهري وربيعة ومالك وطاؤوس وعبد الرزاق ووهب بن منبه ومكحول والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وميمون بن مهران والاسود النخعي وسعيد بن جبير وربيع بن خشيم وعامر الشعبي وإبراهيم النخعي والأعمش وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض وشريك وابن ابي ليلى ووكيع بن الجراح ومحمد بن سيرين وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وأبو عوانة ويحي القطان والضحاك وابن المبارك والبخاري وغيرهم كثير جدا.

وأما كلام شيخ الإسلام والإمام ابن القيم وغيرهم من أئمة أهل السنة فأكثر من أن يحصر، فمنه:

ـ قال ابن تيمية في الإيمان:" لو أن قوما قالوا للنبي ﷺ نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك ونقر بالشهادتين إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه فلا نصلي ولا نصوم ولا نحج ولا نصدق الحديث ولا نؤدي الأمانة ولا نفي بالعهد ولا نصل الرحم ولا نفعل شيئا من الخير الذي أمرت به ونشرب الخمر وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك ونأخذ أموالهم بل نقتلك أيضا ونقاتلك مع أعدائك، هل كان النبي ﷺ يقول لهم أنتم مؤمنون كاملوا الإيمان وأنتم من أهل شفاعتي يوم القيامة ويرجا لكم أن لا يدخل أحد منكم النار؟ بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم: أنتم أكفر الناس بما جئت به ويضرب رقابهم إذا لم يتوبوا من ذلك ".

ـ وتكلم ابن تيمية عن خطأ الفقهاء وبعض فروعهم الفاسدة المأخوذة من المرجئة والتي لم تُعرف عن السلف ولا اختلفوا فيها بل قولهم واحد، وهؤلاء جعلوا خلافَ المرجئة خلافَ فقهاء (١).

ـ وقال في الإيمان الأوسط:" فمن عرف ارتباط الظاهر بالباطن زالت عنه الشبهة في هذا الباب، وعلم أن من قال من الفقهاء أنه إذا أقر بالوجوب وامتنع عن الفعل لا يقتل أو يقتل مع إسلامه، فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكون بها شيء من الفعل، ولهذا كان الممتنعون من قتل هذا من الفقهاء بنوه على قولهم في مسألة الإيمان وأن الأعمال ليست من الإيمان وقد تقدم أن جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع سواء جعل الظاهر من لوازم الإيمان أو جزءا من الإيمان كما تقدم بيانه ".

ـ وقال أيضا في الإيمان:" لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح ".

ـ وقال:" فالسلف يقولون ترك الواجب دليل على انتفاء الإيمان الواجب من القلب، لكن قد يكون ذلك بزوال عمل القلب الذي هو حب الله ورسوله ﷺ وخشية الله ونحو ذلك، لا يستلزم أن لا يكون في القلب من التصديق شيء، وعند هؤلاء ـ الأشاعرة والمرجئة ـ كل من نفى الشرع إيمانه دل على أنه ليس في قلبه شيء من التصديق أصلا ".

ـ وقال ابن القيم في الصلاة:" من أمحل المحال أن يقوم بقلب العبد إيمان جازم لا يتقاضاه فعل طاعة ولا ترك معصية ".

---

(١) المجموع ٢٢/٤٧.

ـ وقال فيه:" فالتصديق إنما يتم بأمرين: أحدهما: اعتقاد الصدق والثاني: محبة القلب وانقياده، ولهذا قال لإبراهيم ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ الصافات:١٠٥، وإبراهيم كان معتقدا لصدق رؤياه من حين رآها وإنما جعله مصدقا لها بعد أن فعل ما أُمِرَ به، وكذلك قوله ﷺ :" والفرج يصدق ذلك أو يكذبه "، فجعل التصديق عمل الفرج ما يتمنى القلب والتكذيب تركه لذلك، وهذا صريح في أن التصديق لا يصح إلا بالعمل ".

ـ وقال فيه:" وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح، ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم، فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقة الإيمان فإن الإيمان ليس مجرد التصديق وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد ". إلى آخر كلامه.

ـ قال ابن تيمية في الإيمان الأوسط عن المرجئة:" أخطأوا أيضا لامتناع قيام الإيمان بالقلب من غير حركة بدن ".

ـ وقال:" فيمتنع أن يكون الرجل لا يفعل شيئا مما أمر به من الصلاة والزكاة والصيام والحج ويفعل ما يقدر عليه من المحرمات مثل الصلاة بلا وضوء وإلى غير القبلة ونكاح الأمهات وهو مع ذلك مؤمن في الباطن بل لا يفعل ذلك إلا لعدم الإيمان الذي في قلبه ".

ـ وقال:" ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمنا إيمانا ثابتا في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم رمضان ولا يؤدي لله زكاة ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة لا مع إيمان صحيح ".

ـ وقال:" وإن الإيمان الباطن يستلزم الإقرار الظاهر بل وغيره، وأن وجود الإيمان الباطن تصديقا وحبا وانقيادا بدون الإقرار الظاهر ممتنع ".

وقال:" فدل بذلك على أنه لا إيمان باطن إلا بإسلام ظاهر، ولا إسلام ظاهر علانية إلا بإيمان سر وأن الإيمان والعمل قرينان لا ينفع أحدهما بدون صاحبه ".

ـ وقال:" الأمة مجمعة أن العبد لو آمن بجميع ما ذكره من عقود القلب من حديث جبريل من وصف الإيمان ولم يعمل بما ذكره من وصف الإسلام أنه لا يسمى مؤمنا، وأنه إن عمل بجميع ما وصف به الإسلام ثم لم يعتقد ما وصفه من الإيمان أنه لا يكون مسلما ".

وقال:" إن جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع سواء جعل الظاهر من لوازم الإيمان أو جزء من الإيمان "(١).

---

(١) مجموع الفتاوي ٦١٥/١.

ـ وقال في شرح العمدة:" فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية لم يكن مؤمنا ".

ـ وقال في الإيمان:" إن هذه الأعمال لازمة لإيمان القلب فإذا انتفت لم يبق في القلب إيمان ".

ـ وقال فيه:" وقد تبين أن الدين قول وعمل وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنا بالله ورسوله بقلبه ولسانه ولم يؤد واجبا ظاهرا، فلا يكون الرجل مؤمنا مع عدم شيء من الواجبات ".

ـ وقال:" فمن قال: إنه يصدق الرسول ﷺ ويحبه ويعظمه بقلبه ولم يتكلم قط بالإسلام ولا فعل شيئا من واجباته بلا خوف فهذا لا يكون مؤمنا في الباطن وإنما هو كافر، وزعم جهم ومن وافقه أنه يكون مؤمنا في الباطن وأن مجرد معرفة القلب وتصديقه يكون إيمانا يوجب الثواب يوم القيامة بلا قول ولا عمل ظاهر وهذا باطل شرعا وعقلا ، وقد كفر السلف كوكيع وأحمد من يقول بهذا القول " (١).

ـ قال الإمام محمد بن عبد الوهاب:" دين الله يكون بالقلب بالاعتقاد وبالحب وبالبغض، ويكون على اللسان بالنطق، وترك النطق بالكفر، ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام وترك الأفعال التي تكفّر فإذا اختل واحد من الثلاث كفر وارتدّ ".

ـ وقال الشوكاني في إرشاد السائل:" من كان تاركا لأركان الإسلام وجميع فرائضه ورافضا لما يجب عليه من ذلك من الأقوال والأفعال ولم يكن لديه إلا مجرد التكلم بالشهادتين، فلا شك ولا ريب أن هذا كافر شديد الكفر حلال الدم والمال ".

وأختم المسألة بكلام نفيس لشيخ الإسلام في كتاب الإيمان عن مرجئة عصره يذكرنا بمزاعم مرجئة عصرنا وفرط جهلهم وأنهم من السلفية ولمنهج السلف نقضوا وأنهم من أتباع أئمة التوحيد، وللتوحيد هدموا حيث يقول:" وكثير من المتأخرين لا يميزون بين مذهب السلف وأقوال المرجئة والجهمية لاختلاط هذا بهذا في كلام كثير منهم ممن هو في باطنه يرى رأي الجهمية والمرجئة في الإيمان وهو معظم للسلف وأهل الحديث فيظن أنه يجمع بينهما أو يجمع بين كلام أمثاله وكلام السلف ".

وإن من رحمة الله بهذه الأمة ثبات أهل العلم واتباع منهج السلف والصحابة عبر القرون فهؤلاء أهل العلم في هذا العصر يردون على أئمة الإرجاء فخرج رد اللجنة الدائمة على هؤلاء وأمثالهم، كما ووفق بعض أهل العلم في تتبع هذه الشرذمة بردود سلفية.

المسألة السادسة: أقسام الانقياد:

١ـ الانقياد القدري الكوني الربوبي المتعلق بالربوبية:

وذلك أن كل الخلق خاضعون لله منقادون لعظمته مقهورون لربوبيته، وهذا هو الإسلام القدري والعبودية القدرية الربوبية.

---

(١) مجموع الفتاوي ١٢٠/١٤.

ودليله قوله تعالى: ﴿ **فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ فصلت:١١.

٢ـ الانقياد الشرعي الأمري الديني الألوهي التعبدي:

وهذا المتعلق بالثواب والعقاب وهذا الذي يختص به المؤمنون الذين أطاعوا الله وانقادوا حين أمروا قال الله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ البقرة:١٣١.

المسألة السابعة: أركان الانقياد:

الانقياد القلبي الباطن:

وهو خضوع القلب وإقراره وعزيمته وخشوعه واخباته والتزامه وذله وانكساره ورضاه ويقينه وصدقه وإخلاصه.

قال ابن تيمية في الإيمان:" فالكفر هو عدم الإيمان سواء كان معه تكذيب أو استكبار أو إباء أو إعراض فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر ".

الانقياد الظاهر: باللسان والجوارح:

ويكون بالإذعان والامتثال والطاعة والاتباع والالتزام بالشريعة، وذلك كله بفعل الأوامر والفرائض وترك الشرك والمحرمات والنواهي.

قال ابن القيم في كتاب الصلاة:" إذ لو أطاع القلب وانقاد لأطاعت الجوارح وانقادت ".

وقال في زاد المعاد عن الإسلام:" هو المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ظاهرا وباطنا ".

وقال ابن تيمية في شرح العمدة:" فإن حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط فمن لم يفعل شيئا فما دان لله دينا ومن لا دين له فهو كافر ".

المسألة الثامنة: استلزام انقياد الباطن انقياد الظاهر، وعدم وجود الإسلام والتوحيد إذا فقد أحدهما:

لا يعتبر الانقياد إلا إذا تحقق وجود الركنين فإن وجد الانقياد الظاهر دون الباطن فصاحبه منافق وإن كان في الظاهر مسلما ومعصوم الدم.

وإن وجد الانقياد الباطن دون الظاهر فهذا لا يتصور وجوده إلا عند المرجئة لكونهم ينفون التلازم والترابط بين الظاهر والباطن.

ولو تصورنا وجوده فإنه لا يُقبل هذا الانقياد الباطن ولا يَدخلُ به في الإسلام ولا يعصم الدم ما لم يجتمع مع انقياده الباطن الانقياد الظاهر والالتزام بالشرع والعمل بمقتضى الشهادتين والعمل بالتوحيد وأداء الفرائض، وهذا العمل المتعلق بالجوارح ركن في الإيمان يكفر الإنسان بتركه بالكلية، وهذه مسألة ترك جنس العمل وتكفير السلف له خلافا للمرجئة.

قال ابن القيم في كتابه الصلاة:" لو أطاع القلب وانقاد لأطاعت الجوارح وانقادت ".

وقال حافظ الحكمي:" ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب ".

وقال ابن تيمية في شرح العمدة كتاب الصلاة:" فإن حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط فمن لم يفعل شيئا فما دان لله دينا ومن لا دين له فهو كافر ".

وتقدم كلام ابن كثير والعيني والبيضاوي والرازي وابن سعدي.

وقال الإمام البغوي في شرح السنة نقلا عن الخطابي:" المسلم قد يكون مؤمنا وقد لا يكون، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، لأن اصل الإسلام الاستسلام والانقياد، وأصل الإيمان التصديق، وقد يكون المرء مستسلما في الظاهر غير منقاد في الباطن، ولا يكون صادقَ الباطن غيرَ منقاد في الظاهر، إذ كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن " (١).

المسألة التاسعة: بم يحصل الانقياد وكيفية تحقيقه:

قال يتم الانقياد بالامتثال بفعل الأوامر، والتزام ذلك بفعل الفرائض والالتزام بالشريعة وطاعة الرسول ﷺ والإذعان لحكمه والتسليم للدين، وترك النواهي التي حرمها الله والنواقض التي يكفر فاعلها.

فائدة: تعلق الانقياد بالأمر والطاعة:

قال ابن تيمية في الصارم:" وكلام الله خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق المخبر، والأمر يستوجب الانقياد والاستسلام ".

المسألة العاشرة: هل يوجد انقياد بدون رغبة ورضا ومحبة:

الانقياد الشرعي قائم على محبة ما انقاد فيه والرغبة فيما انقاد له والرضا عنه والفرح به والذل له وكل هذا في الباطن.

---

(١) شرح السنة ١٠/١.

وتتخلف هذه الحقيقة في حالتين:

١ـ الانقياد القدري المتعلق بالربوبية.

٢ـ الانقياد النفاقي: فانقياد المنافقين الكارهين للإسلام يكون بدون انقياد باطن وبدون رضا ومحبة ورغبة كما تقدم، فلا ينفعهم في الآخرة انقيادهم الظاهر الذي تظاهروا به ولا يدخلهم الجنة ولا يرضى الله به عنهم وإن كان ينفعهم في الدنيا من ناحية عصمة دمائهم وأموالهم.

وهذا الانقياد يسمى الانقياد الحكمي في مقابل الانقياد الحقيقي، مثل الإسلام الحقيقي والحكمي، لأنه يأخذ أحكام الإسلام في الظاهر.

قال ابن تيمية في الإيمان:" فالمنافقون قالوا مخبرين كاذبين فكانوا كفارا في الباطن، وهؤلاء ـ أحبار اليهود ـ قالوا غير ملتزمين ولا منقادين فكانوا كفارا في الظاهر والباطن ".

المسألة الحادية عشرة: قيام الدين والإسلام على أمرين:

١ـ التصديق والقبول ٢ـ الانقياد.

والتصديق متعلق بالخبر والانقياد متعلق بالأمر وتقدم كلام ابن تيمية.

والكفر يكون بتخلف أحد هذين الوصفين.

قال ابن القيم في أحكام أهل الذمة:" والكفر وإن اختلفت شعبه فيجمعه خصلتان: تكذيب الرسول في خبره وعدم الانقياد لأمره ".

المسألة الثانية عشرة: العلاقة بين الانقياد والقبول والفرق بينهما:

القبول والانقياد يتناول كل منهما الآخر عند الافتراق والإطلاق، بينما إذا اجتمعا في اللفظ افترقا في المدلول وصار لكل منهما معنى يخصه، فيختص القبول بالباطن وما يتعلق بالقلب وقول اللسان، ويختص الانقياد بالظاهر وعمل الجوارح، فهي من الألفاظ التي إذا اجتمعت في اللفظ افترقت في المعنى، وإذا افترقت لفظا اجتمعت معنى وتناول كل منهما صاحبه ودل على نفس ما دل عليه.

قال ابن تيمية في الصارم عن المرجئة:" وظن من ظن أنه رأى التصديق والقبول أصلا لجميع الإيمان وغفل على أن الأصل الآخر لا بد منه وهو الانقياد وإلا فقد يصدق الرسول ظاهرا وباطنا ثم يمتنع من الانقياد للأمر ".

وقال في الإيمان عن الإقرار:" يتناول الالتزام والتصديق ولا بد منهما وقد يراد بالإقرار مجرد التصديق بدون التزام الطاعة ".

الفرق بين الانقياد والقبول:

١ـ أن الانقياد أعم من القبول، فكل انقياد شرعي يشتمل على القبول ويتضمنه، وليس كل قبول يشتمل على الانقياد، فقد يقبل الإنسان الأمر ولا ينقاد له، لكن إذا انقاد له فيعني أنه قد قبله، والمقصود الانقياد الشرعي فلا يدخل فيه انقياد النفاق والمنافق في الظاهر دون قبول في الباطن.

٢ـ أن الانقياد متعلق بالأعمال الظاهرة والقبول يتعلق باللسان والقلب والباطن.

٣ـ أن القبول يسبق الانقياد ويتقدم عليه دائما، والانقياد يتأخر عنه ويكون ثمرة له، فالإنسان أولا يقبل ثم بعد ذلك ينقاد لما قَبِلَه.

٤ـ القبول الحق الصادق يستلزم الانقياد، والانقياد يشمل ويتضمن القبول، فكل منقاد قابل وليس كل قابل منقاد.

المسألة الثالثة عشرة: الفرق بين الترك والرد:

أن الرد يكون غالبا بالقلب ومثله الجحود والتكذيب والإنكار وهذا الذي يقابل القبول، أما الترك فالأصل أنه يكون بالجوارح، ومثله الإعراض والتولي والإباء، وهذه كلها هي التي تقابل الانقياد.

المسألة الرابعة عشرة: ضابط فاقد الانقياد:

الضابط في الانقياد: هو من جاء صاحبه بالعمل وفعل الأوامر، وضابط فاقد الانقياد يكون بترك جنس العمل.

قال شيخ الإسلام:" أن جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع سواء جعل الظاهر من لوازم الإيمان أو جزء من الإيمان " (١).

المسألة الخامسة عشرة: دخول العمل في الانقياد:

جميع الأعمال التعبدية التي شرعها الله ورسوله وأمر بها سواء العبادات القلبية أو العبادات العملية داخلة كلها في الانقياد، فالخوف من علامات الانقياد والصبر والتوكل والرجاء من علامات الانقياد وأعماله، وكذا الركوع والسجود والقيام لله والصلاة والصوم والحج والزكاة من علامات الانقياد، وجميعها من أفعاله وأفراده.

قال ابن القيم في عدة الصابرين:" وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته والتزام شريعته ظاهرا وباطنا ".

وقال الآلوسي والواحدي والقرطبي وغيرهم من أهل التفسير:" وينقادوا لأمرك ويذعنوا له بظاهرهم وباطنهم ".

---

(١) مجموع الفتاوي ٦١٥/١.

قال ابن تيمية في الصارم:" وهذا الانقياد والاستسلام هو نوع من الإرادة والعمل، ولا يكون مؤمنا إلا بمجموع الأمرين التصديق والانقياد، فمن ترك الانقياد كان مستكبرا فصار من الكافرين وإن كان مصدقا ".

المسألة السادسة عشرة: علاقة الانقياد بالرضا:

الرضا من لوازمه الانقياد، ومن معاني الانقياد الرضا، فالذي لم يرض بالدين والتوحيد لا يعتبر منقادا، ولو عمل وأظهر الانقياد والتوحيد فيصير من أهل النفاق وليس من أهل الانقياد والاستسلام الحقيقي، فالانقياد يدخل فيه الرضا والعكس صحيح فالرضا بالشيء يستلزم الانقياد له وإلا كان رضاه به مكذوبا، لأن الرضا صفة تضم المحبة للشيء وقبوله والانقياد له، وما دام أن الانقياد لم يوجد فالرضا غير صحيح وليس بموجود في الحقيقة.

وفي الحديث:" ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا ".

ومعلوم أن رضا المؤمن بهذه الأركان لا يصح ولا يتم إلا بالعمل والانقياد فالرضا بالله متوقف على توحيده وعبادته والرضا بالرسول ﷺ متوقف على متابعته وطاعته قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ آل عمران:٣١.والرضا بالدين متوقف على العمل به وامتثاله والتزامه فإذا انعدم الانقياد وحلّ محله العصيان والامتناع والشرك كان الرضا والمحبة دعوة كاذبة.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

المسألة السابعة عشرة: ما أرسلت الرسل إلا بالانقياد ولأجل تحقيقه:

والدليل على هذا الأصل:

قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ النساء:٦٤.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ الحشر:٧.

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ النور:٥٤.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا** ﴾ الاحزاب:٣٦.

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ النور:٥١

وقال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ النساء:٦٥.

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ النساء:٥٩.

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي** ﴾ آل عمران:٣١.

وقال سبحانه: ﴿ **وَيَقُولُونَ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾ النور:٤٧.

ومما يستفاد من الآيات نفي الإيمان عمن لم يعمل ويطع وينقد وفاقد الانقياد كافر وليس بمسلم ولا مؤمن.

المسألة الثامنة عشرة: نفي الإيمان بالكلية عمن لم ينقد:

ويدل لهذا الأصل أدلة عظيمة منها قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾ وقوله: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ وآيات أخرى ذكرناها في المسألة السابقة.

المسألة التاسعة عشرة: علاقة الانقياد ببقية الشروط:

الانقياد يستلزم تحقيق جميع الشروط من المحبة والقبول والإخلاص والصدق واليقين والعلم، فانتفاء أي شرط يلزم منه القدح في الانقياد وانتفائه، كما أن الشروط الأخرى تستلزم الانقياد.

فالشروط تدخل في هذا الشرط من باب اللزوم والاستلزام بل ويتضمنها.

والكلام هنا عن الانقياد الشرعي الحقيقي المستلزم للانقياد الباطن، أما الانقياد الحكمي الذي يفعله المنافقون والذي ليس هو المقصود في شروط لا إله إلا الله فهذا لا يستلزم الشروط، لا يستلزم الصدق واليقين والإخلاص والمحبة والقبول، فهذا الانقياد ينجي من هدر الدم والتكفير، ولا ينجي من عذاب الآخرة.

المسألة العشرون: انقسام الانقياد إلى أصل وكمال:

الانقياد الأصل: يكفر تاركه وهو الانقياد للتوحيد وأصل الدين والإيمان والإتيان بجنس العمل وهو أصل الإسلام.

الانقياد الكامل والتام: وهذا يتفاوت فيه أهل الإيمان ويزيد ونقص ولا يكفر من أخل فيه وإن كان قد يأثم.

وهو على درجات منه الواجب الذي يأثم من تركه مع بقاء حكم الإسلام على فاعله، والمستحب الذي لا يأثم من أخل به أو تركه.

والناس يتفاوتون فيه من حيث كمال مقتضيات الانقياد ولوازمه من الرضا والمحبة والمسارعة والانصياع للدين.

أما في نفسه فإن الانقياد واجب لله فيجب الانقياد بكل شيء جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ .

والقوادح في شرط الانقياد المنقصة له:

إما أن يكون صاحبها قصر في الواجب منه وأنقص منه.

أو أنه يأتي بما يقدح فيه من الأفعال التي تستلزم معارضة كمال الانقياد.

وقوادح الانقياد على درجتين:

قوادح تزيل الإيمان بالكلية كترك التوحيد وجنس العمل أو فعل ناقض من النواقض.

قوادح تنقص كمال الإيمان ولا تنقضه من أصله كترك بعض الواجبات، أو فعل المحرمات التي دون الكفر والشرك.

المسألة الحادية والعشرون: لوازم الانقياد:

الحكم بما أنزل الله وعدم التحاكم للطاغوت.

الولاء والبراء والكفر بالطاغوت.

محبة الله وأوليائه ورسوله ﷺ وتقديم أمرهما ومحبتهما على كل شيء.

وهذه الأمور تدخل في الانقياد من باب اللزوم والتضمن معا، لأن الانقياد يتضمن الحكم بالشريعة وموالاة أوليائها ومعاداة أعداء الشريعة.

المسألة الثانية والعشرون: ترابط الانقياد والإسلام والعبادة والطاعة:

عند النظر في الغاية التي خُلق لأجلها الخلقُ نجدها تدور في فلك العبودية القائمة على الذل والخضوع.

فالصلاة شرعت من أجل الخضوع لله، وروحها في الخشوع والطمأنينة.

والخشوع والطمأنينة هي الأخرى معناها الذل والإخبات والخضوع.

والتوبة والإنابة والاوابة ترجع لمعنى الرجوع لله والخضوع له والذل له والإقبال إليه والانكسار بين يديه.

والتواضع والزهد متضمنان لحقيقة الذل لله والخضوع له.

والصلاة والصوم والحج والزكاة شرعت لتحقيق التقوى القائمة على الخوف من الله والذل له وتعظيمه والتقرب إليه ومحبته.

والخوف والرجاء والمحبة والتوكل مدارها على التذلل لله والخضوع له.

والدين من التدين وهو الالتزام، من دان بكذا إذا التزم به وانقاد وأطاع وخضع.

والألوهية هي العبودية القائمة على الذل والخضوع والانقياد.

والطاعة معناها الإذعان والانقياد للأمر وامتثاله.

والإسلام معناه الاستسلام والانقياد.

فالأمر كله حلقة متصلة متكاملة قائمة على شيء واحد هو الانقياد، فرحى الدين وأساسه مداره على الانقياد الذي مؤداه للخضوع والذل لله وحده وتعظيمه.

وهذه الحقيقة تمثل حقيقة المخلوق وحقيقة علاقته بخالقه، المخلوق يتصف بالذل والعبودية وبما خلق له من الخضوع، والخالق المتصف بما يليق به من العظمة والكبر والعزة والكمال والربوبية.

المسألة الثالثة والعشرون: الكفر والنواقض الراجعة لفقدان شروط الانقياد:

١- كفر الإعراض.

٢- كفر الإباء والاستكبار والامتناع والعناد.

ومن المكفرات والنواقض التي مناط الكفر فيها ومدارها على ترك الانقياد:

١- ترك الصلاة والفرائض.

٢- ترك الحكم بالشريعة والإعراض عن التحاكم إليها والعمل بها والالتزام بحكمها.

٣- من ظن أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ .

٤- الاستهزاء بالدين وأهله أو سبه لأن ذلك يناقض التعظيم الذي يقوم على الانقياد.

قال شيخ الاسلام في الصارم:" فالسب إهانة واستخفاف، والانقياد للأمر إكرام وإعزاز، ومُحال أن يُهين القلب من قد انقاد له وخضع واستسلم أو يستخف، فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة فإنه لا يكون فيه انقياد أو استسلام وهذا بعينه كفر ابليس ".

المسألة الرابعة والعشرون: هل من أسلم وقال لا إله إلا الله ثم لم ينقد يعتبر مرتدا أو كافرا أصليا:

القول الأول: أنه يعتبر كافرا كفرا أصليا، لكونه لم يدخل في الإسلام الصحيح الحق، لأن مجرد التكلم بالشهادتين والنطق بها دون الالتزام بالعمل بمقتضاها والانقياد لها وللشريعة لا يدخل صاحبه في الإسلام، وهذا الصحيح.

القول الثاني: أنه يعتبر مرتدا فإن لم يتب يستتاب وإلا يُقتل.

وذكر القولين ابن عبد البر في التمهيد وابن حجر في الفتح والشوكاني والخطابي وغيرهم، وقال ابن الصلاح في صيانة شرح مسلم:" ولا نقول ما قاله بعض أصحابنا من أن من قال لا إله إلا الله يحكم بإسلامه ثم يجبر على قبول سائر الأحكام، فإن حاصله راجع إلى أنه يجبر حينئذ على إتمام الإسلام ويُجعل حكمه حكم المرتد إن لم يفعل من غير أن يصير بذلك مسلما في نفس الأمر وفي أحكام الآخرة".

المسألة الخامسة والعشرون: موانع الانقياد:

١ـ مانع الجهل وضعف معرفته بالعمل والشرع.

٢ـ عدم الأهلية فقد تكون المعرفة تامة، لكن يكون مشروطا بزكاة المحل وقبوله للتزكية، فإذا كان القلب ليس فيه هذه الصفة كان بمثابة الأرض الصلدة التي لا تنتفع بالماء فالقلب القاسي الغليظ الجافي لا يعمل فيه العامل قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آَيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ** ﴾ يونس:٩٦ـ٩٧، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ يونس:١٠١،

وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ** ﴾ الأنعام:١١١.

٣ـ قيام مانع كالحسد أو الكبر، وهذا مانع إبليس من الانقياد للأمر وهو داء الأولين والآخرين وبه تخلف الإيمان عن اليهود وأبي جهل وسائر المشركين مع علمهم بصدق الرسول ﷺ .

٤ـ مانع الرئاسة والملك وإن لم يقم بصاحبه حسد ولا تكبر عن الانقياد للحق، لكن لا يمكنه أن يجتمع له الانقياد وملكه ورئاسته فيظن بملكه ورئاسته كحال هرقل وملوك الكفار الذين علموا نبوته وصدقه وأقروا بها باطنا وأحبوا الدخول في دينه لكن خافوا على ملكهم وهذا داء أرباب الملك والولاية والرئاسة

وقلّ من نجا منه إلا من عصم الله وهو داء فرعون وقومه ولهذا قالوا ﴿ **فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ** ﴾ المؤمنون:٤٧، فأنفوا أن يؤمنوا ويتبعوا وينقادوا.

٥- مانع الشهوة والمال، وهذا منع كثيرا من أهل الكتاب من الإيمان خوفا من بطلان مأكلهم وأموالهم التي يأخذونها ظلما، وكانت قريش تصد الرجل عن الإيمان بحسب شهوته فيدخلون عليه منها كما صدوا الأعشى عن الإسلام بأن محمدا يحرم الزنا ويحرم الخمر، ومنهم من امتنع عن الإسلام خوفا من أن يحرم إرث أقاربه الكفار.

٦- السبب السادس محبة الأهل والأقارب والعشيرة، يرى أنه إذا اتبع الحق وخالفهم أبعدوه وطردوه.

٧- محبة الوطن والدار ولو لم يكن له بها عشيرة فيرى الانقياد والاتباع للرسول ﷺ خروجا عن وطنه إلى الغربة.

٨- أن يتخيل أن في الإسلام ومتابعة الرسول ﷺ والانقياد له إزراء وطعنا منه على آبائه وأجداده وذما لهم، وهذا الذي منع أبا طالب وأمثاله عن الإسلام فإنهم استعظموا آباءهم وأجدادهم أن يشهدوا عليهم بالكفر والضلال وتسفيه الأحلام وتضليل العقول وأن يختاروا خلاف ما اختار، ولهذا قال الكفار لأبي طالب:" أترغب عن ملة عبد المطلب "، وهو القائل:

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتني سمحا بذاك مطيعا

٩- متابعة من يعاديه من الناس للرسول ﷺ وسَبْقُهُ إلى الدخول في دينه وتخصصه وقربه منه، وهذا كما جرى لليهود مع الأنصار لما سبقوهم للدين والانقياد امتنع اليهود مع أنهم كانوا عازمين قبل ذلك على الإذعان للرسول ﷺ .

١٠- مانع الألفة والعادة والمنشأ والتقليد، فإن العادة قد تقوى فتغلب حكم الطبيعة الأصلي، وكم من قوم ألفوا عادة فما أحبوا مخالفتها ولا ترك أثار الأباء، وهذا السبب وإن كان أضعف الأسباب معنى إلا أنه أغلبها على الأمم وأرباب المذاهب والأديان والمقالات (١).

المسألة السادسة والعشرون: خصائص شرط الانقياد:

١- أنه الجانب العملي الظاهر في الشروط بينما بقية الشروط الأصل فيها أنها قلبية ويوجد منها ما يتعلق بالعمل.

٢- أنه بمعنى الإسلام ومرادف له.

٣- أن تاركه كافر بالكلية، بل إن تارك بعض فروعه كافر كالصلاة والتزام الحكم بالشريعة.

---

(١) ذكرها ابن القيم في مفتاح دار السعادة

المسألة السابعة والعشرون: الالتزام بالشريعة:

الالتزام من لزم الشيء إذا صاحبه وداوم عليه.

وهو بمعنى الامتثال للأمر والانقياد، ضد الامتناع والتولي.

وعرفه بعض أهل العلم بأنه: إيجاب الإنسان أمرا على نفسه إما باختياره وإرادته أو بإلزام الشرع إياه فيلتزمه امتثالا وطاعة لأمر الشرع.

وقد ورد الالزام والالتزام بنصوص الشرع في مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ الفتح:٢٦، وقوله تعالى: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ هود:٢٨، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ الإسراء:١٣.

وقال ﷺ :" من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة " رواه الترمذي.

وقال ﷺ :" تلزم جماعة المسلمين وإمامهم " رواه البخاري.

وقد عرف بعض علماء الأصول التكليف بأنه: الزام مقتضى خطاب الشرع.

قال الشاطبي في الموافقات:" ومن شرط تعلق الخطاب إمكان فهمه لأنه الزام يقتضي التزاماً ".

وقد عرَّف علماء الاصول المحرم بأنه: ترك المنهي عنه امتثالا، أو ترك ما يعاقب على فعله امتثالا، والواجب ما يثاب فاعله امتثالا.

فالامتثال هو الالتزام وهو قصد الفعل والتقرب إلى الله به وبطاعته والانقياد له.

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات:" الالزام ضربان: الزام بالتسخير من الله تعالى أو من إنسان، والزام بالحكم والأمر ".

والالتزام شرط باعتبار الإسلام وصحة التوحيد.

فالتزام الشريعة وأوامر الله وفرائضه وامتثال ذلك كله هو الذي قام عليه الدين وهو مدار العبادة وهو أصل الإسلام الذي يعود للاستسلام والانقياد والالتزام .

وترك الالتزام يصير صاحبه كافرا كفر الامتناع والإعراض والتولي.

وإليك كلام أهل العلم في الالتزام ومكانته:

قال ابن رشد في البيان:" حتى يقولوا لا إله إلا الله أي: حتى يسلموا فيقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويلتزموا سائر قواعد الإسلام ".

قال ابن يوسف الغرناطي:" إن نطق الكافر بالشهادتين ووقف على شرائع الإسلام وحدوده ثم التزمها قُبِل إسلامه وإن أبى من التزامها لم يُقبل منه إسلامه ".

وقال الخرشي:" ولا يتقرر الإسلام إلا بالنطق بالشهادتين مع التزام أحكامها ".

قال المعلمي في رفع الاشتباه:" جانب الالتزام هو المغلب في شهادة لا إله إلا الله ".

وقال ابن سعدي:" ومن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر ومن تركه مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين ".

وقال ابن القيم في عدة الصابرين:" وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنا حتى يأتي ... وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته والتزام شريعته ظاهرا وباطنا ".

قال ابن حجر في فتح الباري:" فإن من لازم الإيمان بالله ورسوله التصديق بكل ما ثبت عنهما والتزام ذلك فيحصل ذلك لمن صدق بالشهادتين ".

وقال:" فإن شهد بالرسالة والتزم أحكام الإسلام حُكِم بإسلامه ".

وقال:" إن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام ".

قال ابن القيم في المفتاح عن الإيمان والإسلام:" لا بد فيه من عمل القلب وهو حب الله ورسوله وانقياده لدينه والتزام طاعته ومتابعة رسوله ".

وقال في الزاد:" والتزام طاعته ودينه ظاهرا وباطنا ".

وقال:" فإن الأخذ ببعض الكتاب يوجب الأخذ بجميعه، والتزام بعض شرائعه يوجب التزام جميعها، ولا يجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات إذ لو كان الشرع تابعا للهوى والشهوة لكان في الطبع ما يغني عنه وكان شهوة كل أحد وهواه شرعا له، قال تعالى: ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ** ﴾ " (١) المؤمنون:٧١.

قال ابن تيمية في الإيمان:" فعلم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس بإيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد ".

المسألة الثامنة والعشرون: شرك الانقياد وحكم الانقياد للمخلوق:

ينقسم الانقياد إلى قسمين:

الأول: الانقياد التعبدي:

---

(١) البدائع ١٢٢/٤.

وهو المتعلق بالعبادة والذي يقوم على الذل والخضوع والتعظيم، وهذا خاص بالله عز وجل، وصرفه لغير الله شرك، وهو من العبادات التي يجب أن نفرد الله بها.

الثاني الانقياد العادي الطبعي:

وهو طاعة المخلوق لغيره عادة من والد وزوج وأمير.

وينقسم الانقياد للمخلوق إلى:

١ـ الانقياد الواجب: وهو الانقياد للرسول ﷺ باتباع شرعه وأمره وهو في منتهاه وحقيقته انقياد لله، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ الحشر:٧، وقوله سبحانه:

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ النور:٥٤، وقوله تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ** النساء:٦٥، وقوله سبحانه: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي** ﴾ آل عمران:٣١.

وقوله ﷺ :" من أطاعني فقد أطاع الله ".

وقد قدمنا كلام أهل التفسير عن الآية في الانقياد للرسول ﷺ .

قال ابن القيم في عدة الصابرين:" وينقاد لمتابعة رسوله ﷺ وطاعته والتزام شريعته ظاهرا وباطنا ".

٢ـ الانقياد المباح: وهو طاعة المخلوق والانقياد لأمره إذا كان في المباح.

٣ـ الانقياد الشركي:

وهو صرف الانقياد التعبدي لغير الله، وذلك بالانقياد للمخلوق مع التذلل له وتعظيمه والغلو فيه، أو بطاعة المخلوق في معصية الله واتباعه في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، ويسمى هذا شرك الطاعة، قال سبحانه: ﴿ **وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ الأنعام:١٢١، وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** ﴾ الاعراف:٣.

ومن أنواع الطواغيت المتبوع والمطاع من دون الله، وقد فصلنا شرك الانقياد والطاعة في كتابنا التوحيد وحقيقة الشرك وشرحنا للنواقض.

قال ابن تيمية:" وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة والعامة المتبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة، فتجد هؤلاء المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعُه والحرام ما حرّمه والحلال ما حلّله والدين ما شرعه إما دينا وإما دنيا، ثم يُخوّفُ من امتنع من هذا الشرك وهو لا يخاف أنه أشرك به شيئا في طاعته بغير سلطان من الله " (١).

---

(١) المجموع ٩٨/١.

المسألة التاسعة والعشرون: هل العلم يُلزم الانقياد والإسلام أم لا:

هذه المسألة حققها ابن القيم رحمه الله وهي مسألة قدرية وهي الاهتداء والهداية، ولها علاقة بفهم الحجة وقيام الحجة.

قال ابن القيم:" وهنا أختلف في مسألة عظيمة وهي أن العلم هل يستلزم الاهتداء ولا يتخلف عنه الهدى إلا لعدم العلم أو نقصه وإلا فمع المعرفة الجازمة لا يتصور الضلال؟

فقالت فرقة: من عرف الحق معرفة لا يشك فيها استحال أن لا يهتدي وحيث ضل فلنقصان علمه، واحتجوا من النصوص بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ فاطر:٢٨، وبقوله تعالى:

﴿ **وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ سبأ:٦، وبقوله تعالى: ﴿ **وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ التوبة:٩٣، وبقوله تعالى: ﴿ **بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ الروم:٢٩، وبقوله تعالى: **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** الملك:١٠، وبقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ** ﴾ البقرة:١١٨، وبقوله تعالى: ﴿ **يعملُون السُّوءَ بِجَهَالَةٍ** ﴾ النساء:١٧، وقال السلف: كل من عصى الله فهو جاهل، وقال ﷺ :" اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "، وقال ﷺ :" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين".

وقالت الطائفة الأخرى: العلم لا يستلزم الهداية، وكثيرا ما تكون الضلالة عن عمد وعلم لا يشك صاحبه فيه، بل يؤثر الضلال والكفر وهذا شيخ الضلال إبليس قد علم أمر الله بالسجود واعترف بالبعث لآدم ولم يشك فيه، فخالفه وعاند الأمر وباء بلعنة، وكفره كفر عناد محض لا كفر جهل.

ومما يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى** ﴾ فصلت:١٧، وقول موسى لفرعون: ﴿ **قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا** ﴾ الإسراء:١٠٢، وقال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ النمل:١٤، وقال تعالى: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ الأنعام:٣٣، وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة:١٤٦، وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ الأنعام:١١٤، وقال تعالى: ﴿ **كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ** ﴾ آل عمران:٨٦، وقال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ** ﴾ البقرة:٨٩، وقال تعالى: ﴿ **بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾ البقرة:٩٠، قال ابن عباس:" لم يكن كفرهم شكا ولا اشتباها ولكن بغيا منهم حيث صارت النبوة في ولد اسماعيل ".

ومن نظر في سيرة الرسول ﷺ مع قومه ومع اليهود علم أنهم كانوا جازمين بصدقه، وقد قال أبو جهل للمسور بن مخرمة حين سأله عن عدم إيمانه بالرسول ﷺ مع تصديقه له:" قالت بنوا هاشم منا نبي

فمتى ندرك هذه ". حسدا وغيرة، وأمية بن الصلت كان ينتظر الرسول ولما بعث وتيقن صدقه قال لا أؤمن بنبي من غير ثقيف، وهذا هرقل تيقن أنه رسول الله ولم يشك فيه وآثر الضلال والكفر واستبقاء ملكه، ولما سأله اليهود فأجابهم قالوا نشهد أنك نبي قال فما منعكم أن تتبعوني قالوا إن اتبعناك ستقتلنا يهود ولم يصيروا مسلمين بهذه الشهادة ولم يحكم لهؤلاء اليهود الذين شهدوا له بالرسالة بحكم الإسلام، لأن مجرد الإقرار والإخبار بصحة رسالته لا يوجب الإسلام إلا أن يلزم طاعته ومتابعته، وإلا فلو قال أنا أعلم أنه نبي ولكن لا أتبعه ولا أدين بدينه كان من أكفر الكفار كحال هؤلاء المذكورين، وهذا أمر

متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة الفقه فالإيمان لا يكفي فيه قول اللسان بمجرده ولا معرفة القلب مع ذلك، بل لا بد فيه من عمل القلب وهو حبه لله ورسوله وانقياده لدينه والتزامه لطاعته ومتابعته رسوله، ومن قال إن الإيمان هو مجرد اعتقاد صدق الرسول فيما جاء به وإن لم يلتزم متابعته وعاداه وأبغضه وقاتله لزمه أن يكون كل هؤلاء مؤمنين وهذا الزام لا محيد عنه.

وقالوا قد بين القرآن أن الكفر أقسام: أحدها كفر صادر عن جهل وضلال وتقليد الأسلاف وهوكفر أكثر الأتباع والعوام، والثاني كفر جحود وعناد وقصد مخالفة الحق ككفر من تقدم ذكره وغالب ما يقع هذا النوع في من له رئاسة، والثالث كفر إعراض محض لا ينظر فيما جاء به الرسول ولا يحبه ولا بغضه ولا يواليه ولا يعاديه بل هو معرض عن متابعته ومعاندته، وهذان القسامان أكثر المتكلمين ينكرونهما، ولا يثبتون من الكفر إلا الأول، ويجعلون الثاني والثالث كفرا لدلالته على الأول لا لأنه في ذاته كفر فليس الكفر عندهم إلا مجرد الجهل.

ثم بين الإمام ابن القيم القول الصواب وأن الطائفتين أصابت ولم تحرر محل النزاع:" كلا الطائفتين ما خرجت عن موجب العلم ولا عدلت عن سنن الحق، وإنما الاختلاف والتباين بينهما من عدم التوارد على محل واحد.

وبيان ذلك أن المقتضى قسمان:

الأول: مقتضى لا يختلف عنه موجبه ومقتضاه لقصوره في نفسه بل يستلزم العلة التامة لمعلولها.

الثاني: مقتضى غير تام يختلف عنه مقتضاه لقصوره في نفسه عن التمام أو لفوات شرط اقتضائه أو قيام مانع منع تأثيره.

فإن أريد بكون العلم مقتضيا للاهتداء الاقتضاء التام الذي لا يتخلف عنه أثره بل يلزمه الاهتداء بالفعل، فالصواب قول الطائفة الثانية، وأنه لا يلزم من العلم حصول الاهتداء المطلوب.

وإن أريد بكونه موجبا أنه صالح للاهتداء مقتضيا له، وقد يتخلف عنه مقتضاه لقصوره أو لفوات شرط أو قيام مانع، فالصواب قول الطائفة الألى.

ثم ساق موانع الاهتداء وهي:

ضعف المعرفة وعدم الأهلية وزكاة المحل أو قيام مانع من حسد أو الرئاسة والملك أو الشهوة والمال أو محبة الأهل والعشيرة والدار والوطن أو مخالفة ما ألفه وتعوده.

إذا عرف أن المقتضى نوعان:

فالهدى المقتضي وحده لا يوجب الاهتداء، والهدى التام يوجب الاهتداء.

فالأول: هدى البيان والدلالة والتعليم ولهذا يقال هُدي فيما اهتدى.

والثاني: هدى البيان والدلالة مع إعطاء التوفيق وخلق الإرادة، فهذا الهدى الذي يستلزم الاهتداء ولا يتخلف عن موجبه فمتى وجد السبب وانتفت الموانع لزم وجودُ حكمه.

ثم ذكر هنا مسألة وهي: هل قيام المانع وعدم الشرط يضعف المقتضى ويسلبه اقتضاءه أم تُضعِف هذه الموانع العلم حتى لا يصير مؤثرا أو يبقى بحاله والمانع غلب فكان الحكم له.

والتحقيق أن الموانع تحجبه وتعميه وربما قلبت حقيقته من القلب، والقرآن دل عليه، قال تعالى:

﴿ **وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ الأنعام:١١٠، وقال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** ﴾ الصف:٥، وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ الأنفال:٢٣.انتهى كلامه رحمه الله (١).

المسألة الثلاثون: التعظيم من الانقياد:

تعظيم الله وشرعه وتوقير رسوله ﷺ من مستلزمات الانقياد وهو من توحيد الله.

قال تعالى: ﴿ **مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** ﴾ نوح:١٣، قال ابن عباس: عظمة وقال مالكم لا تعظمون الله حق عظمته، وقال قتادة: عاقبة، وقال ابن زيد: الوقار: الطاعة.

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ الزمر:٦٧.

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ الأنعام:٩١.

وقال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ** ﴾ الحج:٣٠.

وقال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ الحج:٣٢.

والحرمات تشمل الحرم والحج ومناهي الله والأمر والنهي وترك كل ما يغضبه، فيجب توحيد الله بتعظيمه وحده سبحانه وتوقير أمره وشرعه ورسوله وعدم منازعته كبره وعظمته.

قال ابن القيم في طريق الهجرتين:" التعظيم هو أثر من آثار المحبة، وهي وجود تعظيم في القلب يمنع الانقياد لغير محبوبه، فيقال هذا التعظيم المانع من الانقياد لغير المحبوب هو أثر من آثار المحبة وموجب من موجباتها لا أنه نفس المحبة، فإن المحبة إذا كانت صادقة أوجبت للمحب تعظيما لمحبوبه يمنعه من

(١) مفتاح دار السعادة ص ٩١-١٠٧ بتصرف.

انقياده إلى غيره، وليس مجرد التعظيم هو المانع له من الانقياد لغيره بل التعظيم المقارن للحب هو الذي يمنع ".

المسألة الحادية والثلاثون: الانقياد للقرآن والتحاكم إليه والعمل به:

من الانقياد الواجب الانقياد لأحكام القرآن وأوامره والتحاكم إليه وهو في الحقيقة انقياد لله تعالى، لأن القرآن كلام الله وأمره ودينه، كما أن الانقياد للرسول ﷺ يكون باتباع سنته وأمره، وهو في الأخير انقياد لله.

قال ابن حزم في الإحكام:" لما كان القرآن هو عهد الله إلينا والذي ألزمنا الإقرار به والعمل بما فيه وجب الانقياد لما فيه ".

ومن الأدلة الدالة على وجوب الانقياد للقرآن واتباعه والعمل به وكفر من تولى عنه ونبذه وامتنع عن امتثاله:

١ـ قوله تعالى: ﴿ **اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ الأنعام:١٠٦، فجعل اتباع القرآن الذي هو الانقياد والامتثال من لوازم كلمة التوحيد لا إله إلا الله وشروطها.

٢ـ وقال سبحانه: ﴿ **اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** ﴾ الأعراف:٣، فأمرهم سبحانه بالانقياد لكتابه وأن يوحد الله بهذا الانقياد، ونهى عن الشرك فيه بالانقياد لغير الله وطاعة المخلوقين في معصية الله.

٣ـ وقال تعالى: ﴿ **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ يونس:١٠٩، والأمر للرسول ﷺ أمر لأمته.

٤ـ وقال سبحانه: ﴿ **وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾ الزمر:٥٥.

٥ـ وقال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة:١٠١، والنبذ هو بمعنى الترك والامتناع والإعراض والإباء، وقد ذمهم الله وكفرهم حيث امتنعوا عن الانقياد للقرآن والإذعان وعدم العمل به.

المسألة الثانية والثلاثون: الانقياد للرسول ﷺ :

الانقياد للرسول ﷺ فهو في حقيقته انقياد لله تعالى، لأن الرسول مبلغ عمن أرسله وهو الله تعالى، فأمر الرسول ﷺ وشرعه وحكمه هو في الحقيقة أمر لمن أرسله وحكمه وشرع له، وإذا كان كذلك فالانقياد للرسول ﷺ انقياد لمرسله وطاعة له كما قال سبحانه: ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ النساء:٨٠.

قال ابن القيم في المدارج:" الرضا بنبيه ورسوله يتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه ".

مسألة: حقيقة الانقياد للرسول ﷺ تكون بالإذعان لأمره والالتزام بطاعته، وعدم التولي عنه، واتباع كل ما جاء به، مع الرضا والتسليم والعمل بسنته وهديه من دون زيادة ولا نقص، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع، وعصيان الرسول ﷺ والامتناع عن طاعته واتباعه والتولي عنه هو كفر بالله.

قال ابن القيم في عدة الصابرين:" وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته والتزام شريعته ظاهرا وباطنا ".

وقال في مفتاح دار السعادة:" لا بد فيه من عمل القلب وهو حب الله ورسوله، وانقياده لدينه والتزام طاعته ومتابعة رسوله ".

وقال ابن أبي العز:" لا يثبت إسلام من لم يُسلّم بنصوص الوحيين وينقاد إليهما ولا يعترض عليهما...فالواجب كمال التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق ويوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وحد المُرسل بالعبادة والخضوع والذل والانابة والتوكل ".

قال ابن تيمية في الصارم:" إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمزلة من سمع الرسالة من الله كإبليس، وهذا مما يبين لك أن الاستهزاء بالله ورسوله ينافي الانقياد له، لأنه قد بلغ عن الله أنه أمر بطاعته، فصار الانقياد له من تصديقه في خبره، فمن ينقد له فهو إما مكذب له أو ممتنع عن الانقياد لربه، وكلاهما كفر صريح ".

مسألة: الأدلة على وجوب الانقياد للرسول ﷺ : (١).

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ الحشر:٧.

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ النور:٥٤.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا** ﴾ الأحزاب:٣٦.

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ النور:٥١.

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ النساء:٥٩.

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي** ﴾ آل عمران:٣١.

---

(١) وقد ورد الأمر بطاعته في أكثر من ثلاثين موضعاً من كتاب الله، قاله الأمام أحمد.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ** ﴾ النساء:٦٤.

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ آل عمران:٣٢.

وقال تعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ آل عمران:٥٠.

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ** ﴾ الأنفال:٢٠.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ الفتح:١٧.

وقال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ النساء:٦٥.

وقال سبحانه في من لم يطع الرسول: ﴿ **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ النساء:١٤.

وقال سبحانه: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ النور:٦٣.

وقال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ الأنفال:١٣.

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا** ﴾ النساء:٦١.

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ المجادلة:٥.

مسألة: البدع فيها معارضة للانقياد:

مما يعارض الانقياد للرسول ﷺ الابتداع في الدين، والتقليد المذهبي مع الإعراض عن النصوص وغيره والأخذ بالرأي والعقل وترك النص.

مسألة: من أمثلة انقياد الصحابة رضوان الله عليهم للرسول ﷺ تركهم الخمر وقولهم انتهينا بمجرد سماع الأمر بتحريمه، والحجاب بمجرد نزول آيات الحجاب، واستقبالهم الكعبة وهم في صلاتهم لبيت المقدس ولم يتأخروا حتى يخرجوا من الصلاة، وإذعان أبي بكر رضي الله عنه لقوله تعالى: ﴿ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا** ﴾ النور:٢٢، فعفا وأنفق على مسطح، وجلوس ابن مسعود عند باب المسجد لما سمع الرسول ﷺ يقول: اجلسوا.

المسألة الثالثة والثلاثون: دخول ترك النواقض في الانقياد:

قدمنا أن حقيقة الانقياد قائم على أمرين:

الأول: الالتزام بالدين ومقتضى الشهادتين.

الثاني: عدم القيام بناقض ينقض الإسلام.

قال سليمان بن سحمان:

وخامسها فالانقياد وضده   هو الترك للمأمور أو فعل مفسد

على ذلك ففعل أي ناقض من نواقض الإسلام المكفرة تنقض شرط الانقياد من أصله.

مبحث

الإســـلام وعلاقته بالانقياد

المسألة الأولى: تعريف الإسلام في اللغة:

لفظ الإسلام مشتق من الفعل: سَلِمَ يَسلَمُ إسلاماً وتسليماً واستسلاماً ومسالمة.

وفعل سَلِمَ في اللغة يدور على معنيين:

١ـ برئ ونجا ووقى وخلص:

ومن هذا الباب اسم الله عز وجل السلام فهو المبرأ السالم الخالص من العيوب والنقائص، والمسلّم لغيره المخلّص والواقي والمنجي، وسُمِيتْ الجنة دار السلام لسلامتها وخلوصها من الآفات.

٢ـ انقاد وأذعن وأطاع والتزم وامتثل وأخذ:

ومن هذا الإسلام: هو الانقياد والطاعة لله وامتثال أمره والتزامه والإذعان له وإظهار الخضوع والقبول وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي ﷺ ، وهذا الذي يحقن الدم فإن كان معه تصديق وإقرار بالقلب سُمي إيماناً، وقوله " أسلمت وجهي لله ": أي انقدت، وهذا المعنى يعود في النهاية للمعنى الأول فإن الإسلام الذي هو الانقياد، وكل إذعان وانقياد سمي بذلك لبراءته من الامتناع ولأنه يسلم ويخلص من الإباء والترك والاستكبار ذكر ذلك الأزهري وغيره من أئمة اللغة.

الألفاظ المرادفة للفظ الإسلام:

الطاعة ـ الاستسلام ـ العبادة ـ الانقياد ـ الإذعان ـ الامتثال ـ الالتزام ـ الدين.

فكل هذه العبارات يجتمع فيها معنى الانقياد والتسليم والاستسلام والإذعان فهي ألفاظ لمعنى واحد وتتقارب كثيرا في الدلالة.

المسألة الثانية: المراد بالإسلام في الشرع:

التعريف الشرعي للإسلام يحمل نفس المعنى اللغوي القائم على الانقياد.

قال الأزهري:" يقال فلان مسلم، فيها قولان: أحدهما: هو المستسلم لأمر الله، والثاني: هو المخلص لله العبادة ".

وأفضل من عرّف الإسلام وأتى بحقيقته وأوضحه وفسره وبين مبادئه وأصوله وقواعده وأركانه بتعريف جامع مانع شيخ الإسلام والمسلمين الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه الأصول الثلاثة، بقوله: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

فجمع بتعريفه الحقيقة الشرعية للإسلام وأصوله، ووافق تعريفه معانيه في اللغة التي ذكرها اللغويون من الإخلاص والانقياد والسلامة والبراءة.

شرح تعريف الإسلام:

أولا: الاستسلام لله بالتوحيد:

ومعناه: الإذعان والانكسار والذل والخضوع لله بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

والاستسلام لله بتوحيده في ربوبيته: بأن يعتقد ويقرّ ويؤمن أن الله ربُّ كلّ شيء ومليكه وأنه القادر على كل شيء والعالم بكل شيء مما يثمر تعظيمه.

والاستسلام لله بتوحيده في أسمائه وصفاته: باعتقاد الكمال المطلق المقدس له وحده من جميع الوجوه، وتنزيهه عن كل نقص وعيب، وإثبات كل ما أثبته الله لنفسه من دون تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

والاستسلام لله بتوحيد ألوهيته: يتحقق بالذل لله والخضوع له وطاعته والانقياد له بعبادته وحده لا شريك له والكفر بكل ما يعبد سواه والبراءة منه، والقيام بحقه والالتزام بدينه وامتثال شرعه وحكمه وأمره وعدم مخالفة ذلك.

فائدة: لا يُقبل استسلام لله ولا إسلام وانقياد بلا توحيد، فلو استسلم العبد لله ولغيره لكان مشركا ولا يعتبر مسلماً، فالمسلم الحق هو من لا يعبد إلا الله ولا يعظم إلا الله، فكما أنه ليس له رب سوى الله فكذلك لا معبود له ولا إله غير الله.

فائدة: قيام الاستسلام لله بالتوحيد على القول والعمل:

يكون بالقول والاعتقاد والعمل ولا يكفي أحدها، ولا يسمى المسلم مسلما بما في قلبه من التوحيد، بل لا بد من قوله التوحيد بلسانه، وعمله التوحيد بجوارحه ظاهراً حتى يتحقق منه وصف الإسلام المقتضي للاستسلام والذي هو الآخر عمل وقول فمن لم يقم به الركن العملي فليس بمستسلم ومن ثم ليس بمسلم والإسلام هو أمر عملي ظاهر كما سيأتي وليس في الباطن.

فائدة: لا يكون التوحيد بلا استسلام:

كما أن الاستسلام بلا توحيد لا يقبل، وصاحبه يعتبر مشركا غير مسلم، كذلك التوحيد بلا استسلام لا يقبل ويعتبر صاحبه كافرا مستكبرا، وتقدم في الانقياد كلام ابن تيمية.

ووجه إدخال الاستسلام على التوحيد ليتبين الجانب التعبدي الانقيادي القائم على العمل الظاهر وليس مجرد الباطن وهذا من سعة فقه الإمام صاحب التعريف.

فائدة: الاستسلام القدري القهري لا يدخل في العبادة ولا هو المقصود بالإسلام الشرعي كما سيأتي.

ثانيا: الانقياد له بالطاعة: هذا يعتبر الركن الثاني للإسلام:

ومعناه فعل الواجبات والأوامر وترك المحرمات والنواهي.

وبعبارة أخرى عبادة الله وطاعته التي هي فعل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والتروك الظاهرة والباطنة.

والانقياد هو الخضوع والذل والامتثال وليس مجرد القبول والإقرار فهذا لا يكفي.

وهذا الركن العملي هو الفيصل بين أهل السنة والمرجئة كما تقدم.

فائدة: لا تقبل الطاعة بدون انقياد:

فالانقياد والطاعة قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، بل ويفسر كل منهما الآخر، فطاعة الله بدون انقياد يورث البدع وعدم المتابعة للرسول ﷺ وامتثال شرعه وأمره وفعل ما أمر، كما أن الانقياد لله بدون طاعة يورث الكبر والإباء والاستكبار عن عبادته والإعراض عن دينه، والعكس كذلك.

فائدة: دخول أركان الإسلام في الانقياد بالطاعة:

أركان الإسلام ومبانيه القائمة على الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبمجموعها يحصل الانقياد بالطاعة الذي هو الإسلام، وبالشهادتين اللتين هما التوحيد يحصل صحة الإسلام وركنه الأول وهو الاستسلام لله بالتوحيد.

فائدة: دخول توحيد المتابعة في الانقياد بالطاعة:

توحيد المتابعة القائم على شهادة أن محمدا رسول الله: لأن عبادة الله لا تقبل إلا إذا كانت موافقة لما جاء به رسوله ﷺ ، وقدمنا الكلام عن الانقياد للرسول ﷺ .

ثالثا: البراءة من الشرك وأهله:

وقد بينا هذه المسألة والنقولات حولها في شرحنا لشرط المحبة فراجعه تجده بتمامه.

المسألة الثالثة: أدلة الإسلام من القرآن والسنة:

ورد الإسلام في آيات كثيرة من كتاب الله منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ آل عمران:١٩.

٢ـ وقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾

آل عمران:٨٥.

٣ـ وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

آل عمران:١٠٢.

٤ـ وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ لقمان:٢٢.

٥ـ وقال تعالى: ﴿ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ الحج:٣٤.

ـ أما في السنة فورد الإسلام مُبيَّناً مفسراً في أحاديث كثيرة أشهرها:

١ـ حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :" بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان " رواه البخاري ومسلم.

وقد وردت روايات له بدل شهادة (إيمان بالله ورسوله) (أن يوحد الله) (أن يُعبد الله).

٢ـ عن عمرو بن عَبَسةَ السلمي رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال ما الإسلام؟ قال:" أن تسلم قلبك لله عز وجل وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك، قال فأي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت "رواه أحمد.

٣ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً وفيه:" فتجيء الأعمال يوم القيامة وفيه" ثم يجيء الإسلام فيقول

يا رب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله تعالى:" إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أعطي " رواه أحمد.

المسألة الرابعة: أقوال السلف وأهل العلم في حقيقة الإسلام:

قال الطبري:" هو إخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له ".

وقال أيضا:" الطاعة له وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه ودون إشراك غيره من خلقه في العبودية والألوهية ".

وفي تفسير الآلوسي روح المعاني قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه:" الإسلام هو التسليم والتسليم اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والإقرار هو الأداء والأداء هو العمل، وأن المؤمن من يُعرف إيمانه في عمله والكافر يعرف بإنكاره ".

وقال قتادة:" الإسلام شهادة ان لا إله إلا الله والإقرار بما جاء به رسوله ﷺ من عند الله، وهو دين الله الذي شرعه لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره ولا يجز إلا به ".

وقال أبو العالية:" الإسلام: الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر الفرائض لهذا تبع ".

وقال البغوي:" أسلمت وجهي: انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي وخص الوجه لأنه أكرم الجوارح للإنسان فإذا خضع خضعت الجوارح ".

وقال ابن قتيبة:" الإسلام هو الدخول في السلم أي الانقياد والمتابعة ".

وقال المروزي:" هو خضوع لله بالطاعة ".

وقال القرطبي:" الإسلام في الشرع الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية ".

وقال ابن تيمية:" الإسلام يجمع معنيين أحدهما الانقياد والاستسلام والثاني إخلاص ذلك وإفراده ".

وقال ابن رجب:" الإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده لله ".

وقال ابن تيمية في الإيمان وغيره:" فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده ".

وقال:" وحقيقة الفرق أن الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله، هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دونما سواه، فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً، فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب والجوارح، كما أن الإيمان بمحمد ﷺ لا يتم ولا يصح إلا بركنين تصديقه، والانقياد له بالتزام شريعته ".

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب:" وأصل الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والموالاة فيه وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله ".

وقال:" إن التوحيد يكون على القلب بالاعتقاد وبالحب والبغض ويكون على اللسان بالنطق، وترك النطق بالكفر، ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام وترك الأفعال التي تكفر، فإذا اختل واحدٌ من هذه الثلاث كفر وارتد ".

وقال عبد الرحمن بن حسن:" والإسلام حقيقته أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله تعالى وينقاد له بالتوحيد والطاعة كما قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ لقمان:٢٢. وإحسان العمل لا بد فيه من الإخلاص ومتابعة ما شرعه الله ورسوله ".

وقال:" أصل الإسلام وأساسه أن ينقاد العبد لله تعالى بالقلب والأركان مذعنا له بالتوحيد ".

قال ابن القيم:" والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسوله واتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل ".

وقال:" وما نجا مِن شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وتقرب بمقت المشركين لله ".

المسألة الخامسة: إطلاقات الإسلام إلى عام وخاص:

الأول: الإسلام العام:

وهو الدين الذي جاء به الأنبياء جميعاً، فهو يشترك فيه الجميع وهو التوحيد قال الله عن الأنبياء:

﴿ **يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا** ﴾ المائدة:٤٤.

الثاني: الإسلام الخاص:

وهو الذي جاء به نبينا محمد ﷺ وبعث به، واختص به من الدين والشريعة والمنهاج من الفرائض والواجبات والمنهيات، يدل له قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ آلا عمران:٨٥.

المسألة السادسة: أنواع الإسلام: حقيقي وحكمي:

الإسلام الحقيقي:

هو الإسلام الحقيقي القائم بالمسلم المؤمن والذي يوافق باطنُه ظاهرَه، ويدخل به صاحبُه الجنة وهوضد الكفر ويعتبر مسلماً حقاً وحكماً ويترتب عليه أحكام الآخرة.

الإسلام الحكمي:

وهو الذي نحكم على صاحبه وفاعله بالإسلام الظاهر دون الباطن والذي تجري به أحكام الدنيا من أحكام النكاح والميراث والجنائز والذبائح وغيرها وعصمة الدم والمال ويتوقف عليه أحكامها ويثبت بالإقرار بالشهادتين أو إظهار شعائر الإسلام.

فمعنى حكمي:

أي أن صاحبه قد أتى بما يُحكم بإسلامه وتجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا ولو لم يكن في الحقيقة مسلماً عند الله بل يكون مرتدا كافراً أو مشركا أو منافقاً.

ولا يعني حكمنا عليه بالإسلام أننا لا نكفره متى فعل مكفراً وظهر منه.

ويدل لهذا الأصل قوله ﷺ :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ".

وقوله تعالى: ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ** ﴾ التوبة:٥.

فقوله وحسابهم على الله:

يدل على الإسلام الحكمي، وأن الحقيقي هو ما يحاسب عليه الله بالجنة ويقبلُه، وإذا لم يقبله فإنه يبقى حكمنا على صاحبه بالإسلام لقوله التوحيد ويعصم دمه في الدنيا وأما في الآخرة فمصيره النار لكفره ونفاقه باطنا، كما يدل لهذا الأصل قصة خالد بن الوليد مع مجاعة والكافر الذي أسلم فقتله أسامة بن زيد.

وقوله إلا بحقها: يدل على أن من فعل كفرا وأظهره أو علمنا به فإن قوله لكلمة التوحيد لا يعصم دمه، وكذا لو زنا محصنا أو قتل فإنه يقتل ويهدر دمه.

المسألة السابعة: لا يقبل الإسلام إلا بإيمان يصححه:

وهذه قاعدة مقررة لا يكون إسلام إلا بإيمان ولا يكون إيمان إلا بإسلام.

فلا بد للإسلام حتى يكون عند الله مقبولاً من إيمان يصححه، وهو أصل الإيمان وليس الإيمان الكامل، كما أنه لا بد للإيمان حتى يقبل من إسلام يصححه وليس الإسلام المطلق الكامل، وتقدم بيان ذلك.

المسالة الثامنة: كفر من زعم صحة دين اليهود والنصارى وأنهم مسلمون:

من الكفر البواح المجمع عليه اعتقاد صحة أي دين غير دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ والذي بني على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة والزكاة والحج والصوم.

ويدل لهذا الأصل قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ آل عمران:٨٥.

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ النساء:١١٥.

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ الحشر:٧.

وقوله سبحانه: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ النساء:٦٥.

وآيات كثيرة جدا في هذا الباب.

وقول الرسول ﷺ :" والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار ".

وقوله ﷺ :" لو أن موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي ".

وحكم عيسى عليه السلام آخر الزمان بشريعة محمد ﷺ .

وقد أجمع العلماء على كفر من ظن أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى.

إلا أن هذا الأصل العظيم وُجد من يسعى لهدمه من المتسمين بالمفكرين وأدعياء السلام والحوار والتعايش ولقاء الحضارات والتقريب بين الأديان، وأن اليهود والنصارى من زمن الرسول ﷺ إلى يومنا مسلمين بنص القرآن وليسوا كفاراً وأنهم ناجون من النار وأن اليهودية والنصرانية أديان سماوية متبعة ويجوز اتباعها والبقاء عليها.

وعقدوا لكفرهم هذا وردتهم المؤتمرات واللقاءات لتأصيل هذا الكفر البواح والردة الصراح والعياذ بالله منهم ومنها.

المبحث الثاني

الكفر المقابل لشرط الانقياد

أولاً: كفر الإعراض والتولي

المسألة الأولى: تعريف الإعراض وحقيقته:

الإعراض عن الشيء الصدود عنه والتولي عنه وعدم الإقبال إليه.

وقال بعض أهل العلم أصله من العُرض بالضم، وهو الجانب والظهر، لأن المعرض عن الشيء يوليه بجانب عنقه صادا عنه وكذا يعطيه ظهره ودبره.

والتولي قد يكون بالجسم وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار ولا يلزم منه الإدبار.

فمعنى الإعراض:

عدم الانقياد والامتثال والإذعان، وذلك بترك العمل، والصدود عن الشريعة والفرائض، والتولي عن الطاعة وعدم الاستماع لأوامر الله وعدم المبالاة بها وعدم القبول لها وترك حكم الله والتحاكم إليه.

قال ابن كثير في تفسيره:" كذّب بقلبه وتولى بفعله ".

وقال ابن تيمية في الإيمان الأوسط:" والمتولي هو العاصي الممتنع عن الطاعة ".

وقال:" التولي في الطاعة والتكذيب في الإخبار ".

وقال المروزي:" التولي ترك الفرائض ".

وقال ابن القيم في المدارج:" وأما كفر الإعراض فإنه يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة ".

وقال ابن سعدي في تفسيره:" كذب الأخبار وتولى عن الانقياد ".

وقال محمد بن عبد الوهاب:" الناقض العاشر: الإعراض عن الدين لا يتعلمه ولا يعمل به ".

المسألة الثانية: أسماء الإعراض:

التولي ـ الصد ـ الترك ـ المخالفة ـ الامتناع.

الفرق بين التولي والإعراض:

قال الماوردي في تفسيره:" يتولى عن الداعي ويعرض عما دعا إليه ".

وقال السيوطي في قطف الأزهار:" والإعراض والتولية قيل هما بمعنى واحد، وقيل التولية بالجسم والإعراض بالقلب، وقيل التولية الرجوع عوداً على بدء والإعراض الأخذ في عرض الطريق، فالمتولي أقرب أمراً من المعرض عليهما ".

المسألة الثالثة: أدلة كفر الإعراض:

﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ النور:٤٧-٥٤.

وهذه الآيات نص في كفر الإعراض وكفر المتولي عن العمل، وأن ترك العمل والطاعة والواقع في ذلك كافر وما هو بمؤمن، وأن الإعراض متعلق بالحكم بالشريعة وما أنزله سبحانه، وأن مجرد الإعراض والتولي عن الطاعة نفاق أكبر صريح وكفر ناقل عن الملة.

قال ابن تيمية في الصارم المسلول:" فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول ﷺ وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن، وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول ﷺ وإرادة التحاكم إلى غيره مع أنه ترك محض فكيف بالنقض والسب ".

وقال تعالى: ﴿ **ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ آل عمران:٢٣.

وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ الأنفال:٢٣.

وقال تعالى: ﴿ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ الأنبياء:٢٤.

وقال تعالى: ﴿ **وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ** ﴾ الأنبياء:٣٢.

وقال تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ** ﴾ الأنبياء:١.

وقال تعالى: ﴿ **بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ الأنبياء:٤٢.

وقال تعالى: ﴿ **بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ المؤمنون:٧١.

وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ** ﴾ الأحقاف:٣.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ ص:٦٧-٦٨.

وقال تعالى: ﴿ وَآَتَيْنَاهُمْ آَيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ الحجر:٨١.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ الشعراء:٥-٦.

وقال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ المدثر:٤٩-٥١.

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آَيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآَيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ طه:١٢٤-١٢٦.

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآَيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ السجدة:٢٢.

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ البقرة:٢٤٦.

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ آل عمران:٢٠.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران:٣٢.

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران:٦٤.

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ ﴾ النساء:٨٩.

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ المائدة:٤٩.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ الأنفال:٢٠.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ طه:٤٨.

وقال تعالى: ﴿ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾ المعارج:١٧.

وقال تعالى: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ القيامة:٣١-٣٢.

وقال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ العلق:١٣.وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ المدثر:٢٣.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آَيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ طه:١٢٦.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آَيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لقمان:٧.

وقال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة:١٠١.

وقال تعالى: ﴿ **وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ يس:١٠

وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ الزخرف:٣٦.

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا** ﴾ النساء:٦١.

ومن السنة:

١ـ قول الرسول ﷺ في ثلاثة نفر دخلوا المسجد والرسول يحدث وكان منهم من أعرض وخرج فقال الرسول ﷺ فيه:" والثالث أعرض فأعرض الله عنه ".رواه البخاري.

٢ـ قول المشركين لأبي طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال: هو على ملة عبد المطلب فأبى التوحيد وأعرض عنه.

٣ـ قال عبد ياليل للنبي ﷺ :" والله لا أقول لك كلمة إن كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك وإن كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أكلمك ".

وذكر ابن هشام في السيرة نحوه:" والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك ".

وقد جعل ابن القيم قول (عبد ياليل) وما فعله من قبيل كفر الإعراض.

٤ـ قول الرسول ﷺ :" والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " رواه البخاري.

المسألة الرابعة: كلام أهل العلم في كفر الإعراض:

ـ قال المروزي:" التولي ترك الفرائض ".

ـ وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ :" فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول ﷺ ".

ـ وقال أيضا:" كذّب بقلبه وتولى بفعله ".

ـ وقال ابن تيمية في الإيمان:" فعلم أن التولي ليس هو التكذيب بل هو التولي عن الطاعة فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما أخبر ويطيعوه فيما أمر وضد التصديق التكذيب وضد الطاعة التولي ".

ـ وقال في الصارم المسلول:" فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول ﷺ وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول ﷺ وإرادة التحاكم إلى غيره مع أنه ترك محض وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقض والسب ".

ـ وقال في التسعينية:" والكفر أعم من التكذيب فكل من كذّب الرسولَ ﷺ ، كافر وليس كل كافر مكذباً بل من يَعلمُ صدقَه ويُقر به وهو مع ذلك يبغضه أو يعاديه كافر، أو من أعرض فلم يعتقد لا صدقه ولا كذبه، كافر وليس بمكذب ".

ـ وقال:" وحقيقة هذا القول هو الجهل البسيط والكفر البسيط الذي مضمونه الإعراض عن الإقرار بالله ومعرفته وحبه وذكره وعبادته ودعائه " (١).

ـ وقال في درء التعارض:" كل من لم يقر بما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن الإيمان به أو أعرض عنه اتباعاً لما يهواه أو ارتاب فيما جاء به ".

ـ وقال في الإيمان:" التولي في الطاعة والتكذيب في الإخبار ".

ـ وقال فيه:" فنَفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقبول ".

ـ وقال:" وأصل ضلال هؤلاء الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والحكمة وابتغاء الهدى في خلاف ذلك، فمن كان هذا أصله فهو بعد بلاغ الرسالة كافر لا ريب فيه " (٢).

ـ وقال:" من أعرض عنه وإن لم يكذب به فإنه يكون يوم القيامة في العذاب المهين " (٣).

ـ وقال ابن القيم في المدارج والمفتاح وغيره:" وأما كفر الإعراض فإنه يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة ".

ـ وقال في طريق الهجرتين:" إن العذاب يُستحق بسببين:

إحداهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

فالأول كفر إعراض والثاني كفر عناد، وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل ".

---

(١) الصفدية ٩٧/١. الدرء ٢٨٥/٧.
(٢) المجموع ٤٩٧/١٢.
(٣) مجموع الفتاوي ١٠٧/٢٠.

ـ وقال في مختصر الصواعق:" فجعل الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ والالتفات إلى غيره هو حقيقة النفاق، كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيمه وارتفاع الحرج عن الصدور بحكمه والتسليم لما حكم به رضاً واختياراً ومحبة، هذا حقيقة الإيمان، وذلك الإعراض حقيقة النفاق ".

ـ وقال في الفوائد:" أن المدعو إلى الإيمان إذا قال لا أصدق ولا أكذب ولا أحب ولا أبغض ولا أعبده ولا أعبد غيره، كان كافراً بمجرد الترك والإعراض ".

ـ وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب:" الناقض العاشر: الإعراض عن الدين لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ** ﴾ السجدة:٢٢.

ـ قال ابن سعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾ طه:٤٨." كذّب الأخبار وتولى عن الانقياد ".

ـ وقال ابن سعدي:" أخبر الله أن طائفة من الخلق قد أبوا إلا إعراضاً عن الحق وصروفاً عن دعوة الرسل فقال: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ** ﴾ الأحقاف:٣، وأما الذين آمنوا فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم وتلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالانقياد والتعظيم ".

ـ وقال عبد اللطيف آل الشيخ:" إذا كان أصل الإيمان موجود والتفريط والترك إنما هو فيما دون ذلك من الواجبات والمستحبات، وأما إذا عُدم الأصل الذي يدخل به في الإسلام وأعرض عن هذا بالكلية فهذا كفر إعراض ".

ـ وقال ابن حزم في الإحكام:" أهل زماننا يقولون نحن المؤمنون بالله وبالرسول ونحن طائعون لهما ثم يتولى طائفة منهم بعد هذا الإقرار فيخالفون ما وردهم عن الله ورسوله أولئك بنص حكم الله تعالى ليسوا مؤمنين ".

ـ وقد ذكر أبو السعود والبيضاوي والنسفي وغيرهم من المفسرين:" أن التولي عن الطاعة كفر ".

ـ وفي تفسير القرطبي للتولي:" قال قتادة: كذّب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله ".

ـ وفيه:" وقال الفراء: لم يكن كذّب برد ظاهر ولكنه قصر عما أمر به من الطاعة فجعل تكذيباً ".

المسألة الخامسة: الإعراض والتولي الأصل أنه من الكفر العملي:

الإعراض حقيقته قائم على ترك جنس العمل والتولي عن طاعة الله وعدم امتثال أوامره وشرعه وفرائضه.

قال ابن تيمية في الصارم:" ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول ﷺ وإرادة التحاكم إلى غيره مع أنه ترك محض ".

وفي الإيمان الاوسط:" والمتولي هو العاصي الممتنع عن الطاعة ".

والترك متعلق بالجوارح فيدخل في جملة الأفعال وكما أن ترك الشرك والكفر والمحرمات عبادة عملية، فكذلك ترك الإيمان والطاعة والانقياد كفر عملي.

وقد يكون المعرض قابلا بقلبه وعنده أصل القبول لكنه لا ينقاد ولا يعمل ويكون كافراً.

قال ابن تيمية في الإيمان:" فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقبول ".

وقال ابن كثير أيضاً:" كذّب بقلبه وتولى بفعله ".

ولا يعني هذا أن الإعراض لا يكون بالقلب ولا يتعلق به، بل قد يكون اعتقادي إذ هو لازم له مرتبط به، فإن المعرض عن الطاعة لم يعرض بجوارحه إلا بعد أن هان في قلبه عظمة الله وذهب الإذعان القلبي والقبول أو ضعف وهذه مسألة التلازم بين الظاهر والباطن.

المسألة السادسة: هل يوجد إعراض في الجوارح بدون إعراض من القلب والعكس:

هذه المسألة مبنية على مسألة تلازم الظاهر والباطن والتي يخالف المرجئة فيها، إذ ينكرون التلازم والترابط، وقد قرر ابن تيمية المسألة في كتاب الإيمان، وذكرنا كلام أهل العلم في هذا الباب في مواضع.

والمقصود أنه لا يوجد إيمان في القلب مع إعراض وتولي وامتناع عن الطاعة في الجوارح، أما وجود إقبال وانقياد في الجوارح والظاهر، وإعراض ورد وإنكار في القلب فهذا يتصور من المنافق.

المسألة السابعة: أقسام الإعراض:

الأول: الإعراض القلبي الاعتقادي وله نوعان:

إعراض قولي: بعدم التصديق ولا التكذيب وعدم الاستماع للحق.

وإعراض عملي: بعدم قبول الحق ومحبته ولا الإقرار به ولا الاستسلام له ولا أيضاً رده وإنكاره وبغضه.

الثاني: الإعراض العملي المتعلق بالظاهر وعمل الجوارح:

ويكون بالتولي عن الطاعة وترك العمل وعدم الانقياد.

فالإعراض العلمي القلبي يقابل شرط القبول والعملي يقابل شرط الانقياد.

المسألة الثامنة: الإعراض من أنواع الكفر:

كما أن الكفر يكون بالتكذيب والجحود، يكون بالترك والتولي ويكون بالإعراض، وكما يكون بالاعتقاد والعمل والقول يكون كذلك بمجرد الترك والرفض.

المسألة التاسعة: الفرق بين الإعراض وبين التكذيب والجحود والرد:

الإعراض هو مجرد التولي والترك، فلا يكذب ولا يصدق ولا يقر ولا يجحد ولا يقبل ولا يرد.

أما كفر التكذيب والجحود فيكون بالتكذيب وعدم التصديق وبالجحود وعدم الإقرار.

فإذا قارن الإعراض رد وتكذيب وجحود، فإنه لا يصير كفره كفر إعراض، وإنما يسمى بالصفة التي اتصف بها من جحود وتكذيب ورد ونحوه، وقد فرق الله سبحانه بين كفر الإعراض والتولي والتكذيب في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾ القيامة:٣١-٣٢.

من جهتين:

أنه عطف التولي على التكذيب، ثم جعل التولي في مقابل فعل الصلاة كما جعل التكذيب في مقابل التصديق، مما يدل على أن التولي عدم العمل وترك الطاعة وليس هو التكذيب.

قال ابن تيمية في الإيمان:" فعُلم أن التولي ليس هو التكذيب بل هو التولي عن الطاعة، فإن الناس عليهم أن يصدقوا الرسول ﷺ فيما أخبر ويطيعوه فيما أمر وضد التصديق التكذيب وضد الطاعة التولي ".

وقال في التسعينية:" والكفر أعم من التكذيب فكل من كذّب الرسول ﷺ كافر وليس كل كافر مكذباً بل من يَعلمُ صدقَه ويقرُّ به وهو مع ذلك يبغضه أو يعاديه كافر أو من أعرض فلم يعتقد لا صدقه ولا كذبه كافر وليس بمكذب ".

المسألة العاشرة: أنواع الإعراض:

١- إعراض معه إباء وامتناع ورفض وإصرار وهذا كفر مستقل يسمى كفر الإباء والامتناع والعناد، وهذا من يعلم ولا يعمل ويمتنع ويرفض.

٢- إعراض قائم على الترك المجرد للطاعة والعمل، بسبب التفريط وعدم مبالاة وعدم الإصغاء والاستماع للحق. وسيأتي الفرق بينهما.

قال ابن تيمية في الدرء:" كل من لم يقرَّ بما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن الإيمان به أو أعرض عنه اتباعاً لما يهواه أو ارتاب فيما جاء به ".

وقال:" فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقبول ".

المسألة الحادية عشرة: هل يعذر المعرض الجاهل:

الجهل على قسمين:

الأول: جهل ناتج عن عدم وجود العلم وعدم إمكانيته، كما يحصل لأهل البوادي الذين لم يجدوا من يعلمهم، وهذا القسم إن كان صاحبه من أهل الإسلام ولم يقع في الشرك فهذا يعذر ولا يكفر، وإن كان

واقعا في الشرك فيكفر صاحبه وتجري عليه بعض أحكام الكفر كالتي تتعلق بالنكاح والتوارث والصلاة عليه، أما القتل واستباحة الدم والمال فلا، كذلك العذاب يوم القيامة فلا يكون قبل الحجة الرسالية.

الثاني: جهل سببه التفريط في التعلم والإعراض وعدم طلب الحق، وهذا غير معذور على الإطلاق.

قال ابن القيم في طريق الهجرتين:" فإن قيل فهل لهذا عذر في ضلاله إذا كان يحسب أنه على هدى، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ الزخرف:٣٧.

قيل لا عذر لهذا وأمثاله من الضلال الذين منشأ ضلالهم الإعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ ولو ظن أنه مهتدي فإنه مفرط بإعراضه عن اتباع داعي الهدى فإذا ضل فإنما أتي من تفريطه وإعراضه، وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول إليها فذاك له حكم آخر والوعيد في القرآن يتناول الأول وأما الثاني فإن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه ".

وتقدم كلامه في أن العذاب يُستحق بسبب الإعراض أو التكذيب.

مسألة: وهل يسمى العاجز عن معرفة الحق معرضاً؟:

محل خلاف، والصحيح أنه لا يسمى معرضاً وكفره كفر جهل لا كفر إعراض.

المسألة الثانية عشرة: أسباب الإعراض:

١- الجهل وعدم العلم وبلوغ الحجة.

٢- الإهمال والتفريط وعدم الاهتمام والحرص والمبالاة.

٣- الرغبة عن الدين والزهد فيه.

٤- الانشغال بالدنيا من المال والملك ونحوه.

٥- الشك في الحق والتباس الأمر.

٦- الكبر والحسد والعناد والإباء.

٧- النفاق أو بغض الدين وعدم محبة الحق، وهذا والسابق هما كفر مستقل وليسا من كفر الإعراض.

٨- التقليد.

المسألة الثالثة عشرة: الفرق بين الامتناع والإعراض والتولي:

إن الامتناع هو الإصرار على ترك الانقياد ورفض الامتثال للشريعة والالتزام بالدين، وهذا بخلاف الإعراض فهو ترك مجرد للعمل من غير امتناع.

فيجتمع الإعراض والامتناع في أن كلاً منهما ترك للعمل وفيهما عدم الانقياد.

إلا أن الامتناع يقارنه إصرار على ترك العمل ورفض له فيأبى الالتزام والامتثال.

مسألة: الفرق بين الإعراض والتولي:

تقدم الكلام في ذلك، والتحقيق أنهما بمعنى واحد، وقد يكون في المعرض زيادة عدم مبالاة واهتمام.

مسألة: الفرق بين الإعراض والشك:

قال ابن تيمية:" وليس كل كافر مكذباً بل قد يكون مرتاباً إن كان ناظراً فيه أو معرضاً عنه بعد أن لم يكن ناظراً فيه "(١).

المسألة الرابعة عشرة: الإعراض يعتبر سبباً للكفر ووصف له وهو كفر في نفسه:

فالإعراض يعتبر نوعاً من أنواع الكفر وصفة له وسبباً له، فهو يأتي في مقابل الشك والعناد والتكذيب، فالكفر له أسباب منها الإعراض ومنها العناد ومنها الشك ومنها التكذيب، وهي في نفس الأمر تعتبر أسباباً وصفاتٍ للكفر مثل الإعراض والنفاق والشك.

كما أن الإعراض هو كفر بذاته وناقض للدين ولو لم يقارنه شيء فهو كفر محض في نفسه فمن ترك العمل والطاعة وعبادة الله فهو كافر كفر إعراض وتولي، مثله مثل الشرك بالله أو الاستهزاء بالدين أو بغضه أو تولي الكفار.

وهذا الأصل تخالفنا فيه المرجئة حيث يزعمون أن مجرد الإعراض ليس كفراً في ذاته، إنما الكفر فيما يقارنه من الشرك وعدم الإيمان أو التكذيب، أما الإعراض والتولي عن الطاعة وترك العمل وعدم الانقياد فهذا عندهم ليس كفراً مستقلاً.

المسألة الخامسة عشرة: الإعراض والتولي من أعمال النفاق:

والدليل على هذا الأصل قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا** ﴾ النساء:٦١.

وقال سبحانه: ﴿ **وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾ التوبة:٧٦-٧٧.

قال ابن تيمية في الصارم المسلول:" من تولى عن طاعة الرسول ﷺ وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن، فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول ﷺ وإرادة التحاكم إلى غيره مع أنه ترك محض ".

---

(١) المجموع ٧٩/٢.

المسألة السادسة عشرة: أنواع المعرضين:

الإعراض يصدر من الكافر الأصلي الذي لم يسلم، ويسمى كفرُ هذا كفرَ الإعراض.

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ** ﴾ الأحقاف:٣.

والإعراض الذي يصدر من المسلم فإذا فعله كان بذلك الفعل مرتداً كما قال سبحانه: ﴿ **وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾ التوبة:٧٦-٧٧.

فلا يعمل بالدين إما جهلاً منه مثل أهل البوادي أو يعرض عن العمل ويمتنع كسلاً وتهاونا وكل هذا يعتبر ردة مخرجة من الإسلام.

وعلى ذلك فالإعراض على قسمين: إعراض أصلي وإعراض ردة.

المسألة السابعة عشرة: من أسلم وأعرض عن الدين ولم ينقد له ولم يلتزم به هل يعتبر مرتداً أو كافراً أصلياً:

قولان لأهل العلم ذكرناها في الانقياد.

المسألة الثامنة عشرة: الإعراض عن الدين كفر مخرج من الملة:

وهذه المسألة يخالف فيها المرجئة ومحل بيانها في باب الإيمان وكونه قولاً وعملاً واعتقاداً، وأن الكفر كذلك وأن تارك العمل كافر وليس بمؤمن ولا مسلم.(١).

والإعراض كفر بذاته وبمجرد حصوله يصير المتصف به كافراً مرتداً أو منافقاً، وهو من قبيل التروك.

قال ابن تيمية في الصارم المسلول:" فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول ﷺ وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين، وليس بمؤمن وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره مع أنه ترك محض فكيف بالنقض والسب ".

المسألة التاسعة عشرة: انقسام الإعراض إلى تام وجزئي:

والمقصود في مبحثنا هذا الإعراض التام عن الدين والتولي عن الطاعة.

أما الإعراض والتولي عن عمل معين وحكم في قضية عينية فهذا لا يُكفرُ به إلا الخوارج وصاحبه عندنا مؤمن ناقص الإيمان كذلك إعراض بعض المقلدين عن الدليل إذا بلغه، أخذ بالمذهب أو رأي شيخه.

---

(١) وقد خصصناها بكلام ومبحث مستقل لأهميتها ولمخالفة مرجئة عصرنا فيها.

قال عبد اللطيف آل الشيخ:" إذا كان أصل الإيمان موجوداً، والتفريط والترك إنما هو فيما دون ذلك من الواجبات والمستحبات وأما إذا عُدِمَ الأصلُ الذي يدخل به في الإسلام وأعرض عن هذا بالكلية فهذا كفر إعراض ".

المسألة العشرون: أنواع المعرض عنه ومتعلقه:

١ـ الإعراض عن الإيمان بالله والدخول في الإسلام.

٢ـ الإعراض والتولي عن الانقياد العملي والطاعة والامتثال والعمل والالتزام بالشريعة وفعل الأوامر والفرائض.

٣ـ الإعراض عن الحكم بما أنزل الله والتحاكم إلى الشريعة.

٤ـ التولي عن الرسول ﷺ وحكمه والإيمان به وأمره.

وجميع هذه الأمور يكفر من أعرض عنها.

قال ابن تيمية:" الإعراض عن الإقرار بالله ومعرفته وحبه وذكره وعبادته ودعائه.(١).

المسألة الحادية والعشرون: الشرط الذي افتقده المعرض:

الأصل أن المعرض افتقد شرط الانقياد لكلمة التوحيد، إلا أن من المعرضين من فقد شرط القبول والمحبة والعلم والإخلاص والصدق واليقين.

والأول: من كان إعراضه عملياً، والثاني: الذي يكون إعراضه اعتقادياً.

لأن ضابط الإعراض هو ما كان متعلقا بالدين لا يعمل به ولا يتعلمه.

وضبطه ابن القيم بأن يعرض بقلبه وسمعه فلا يصدق ولا يكذّب ولا يوالي ولا يعادي ولا يرد ولا يقبل.

المسألة الثانية والعشرون: حكم إعراض المكذّب أو تكذيب المعرض:

لو كذّب المعرض أو أن المكذّب المعاند أعرض عن الرسول ﷺ والشرع، فإن كفرَه لا يعتبر كفر إعراض وإنما هو كفر تكذيب وهو أشد من كفر الإعراض.

لأن المعرض لا يصدق ولا يكذب لا يقبل ولا يرد لا يحب ولا يبغض فمتى جحد أو كذّب أو أبغض فإنه لا يعتبر معرضاً، وإنما جاحداً مكذباً مبغضاً.

فالمكذب إذا أعرض أو المعرض إذا كذّب فإن الإعراض يصير سببا لكفره وصفة له، وتصير حقيقة الكفر هي التكذيب وصفته الإعراض.

---

(١) الصفدية ٩٧/١.

المسألة الثالثة والعشرون: أوجه كون الإعراض كفراً وناقضاً للإسلام:

المعرض لم ينقد للدين، والانقياد هو الشرط الأعظم للا إله إلا الله، وهو الركن الأساسي الذي قام عليه الإسلام والتسليم والاستسلام.

فمن لم يعمل بالدين هو في الحقيقة لم يسلم ولم ينقد، ومن لم يتعلم الدين ولا أحبه ولا أخلص فيه ولا قبله هو في الحقيقة لا يُعتبر منقاداً للشريعة.

فكلٌّ كافرٍ غيرُ منقادٍ، وليس كل فاقد للانقياد يشترط أن يقوم به ناقض آخر فقد يكون الممتنع عن الشريعة والمعرض عن الدين والمتولي عن الطاعة محباً للدين صادقاً مخلصاً لا يشرك ولا يوالي الكفار ويكفر بالطاغوت وقابل للإسلام ولكن لا يعمل ولا ينقاد فلا يكون مسلماً.

المقصود أن عدم الانقياد كفر مستقل حتى ولو توفر في المعرض والممتنع فاقد الانقياد جميع شروط لا إله إلا الله وترك جميع نواقض الإسلام، لأن مجرد ترك العمل كفر مستقل.

ثم يقال أيضاً أن الإيمان يتضمن طاعة وانقياداً وقبولاً وتسليماً واستجابة وخضوعاً وذلاً لله ولدينه، والإعراض يضاد ذلك كله وينافيه ويناقضه فلا يصير مع صاحبه إيماناً من الأصل.

فالمعرض ممتنعٌ ومتولٍ ومنصد وتارك، فالإعراض موصوف بالترك والامتناع والتولي، وهذا كفر وناقض للإيمان، لأن الإيمان قول وعمل إذا زال العمل زال معه الإيمان وهذا الأصل قرره السلف وعلماء أهل السنة في كل زمان ومكان.

فكفر المعرض والممتنع عن الانقياد حصل من جهات:

الأول: من جهة الإيمان فتارك العمل لا إيمان معه ولا تصديق مقبول له.

لأن الإيمان متكون من أركان القول والعمل ومن فقد ركناً فقد الإيمان كله، لأن الأصل يزول بزوال ركنه.

الثاني: هي من جهة الإسلام والتوحيد والعبادة.

إذ أن الإسلام قام على الاستسلام والانقياد، والعبادة قائمة على الذل والخضوع، والتوحيد قائم على عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه.

وتارك العمل لم يستسلم ولم ينقد فهو غير مسلم، كما أنه لم يخضع ولم يذل لله فهو غير عابد له، كما أنه غير موحد ولا أتى بالشهادتين، لأن التوحيد ألا يعبد إلا الله، ومن لم يعبد الله لا يعتبر موحداً، بل هو كافر تارك للتوحيد وقد سماه الله كافراً مستكبراً كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ غافر:٦٠، فكفرهم لكونهم هدموا أحد ركني التوحيد.

الثالث: من جهة شهادة أن محمداً رسول الله:

لأن هذه الشهادة تستلزم الانقياد للرسول ﷺ واتباعه وطاعته والعمل بأوامره، بل ولا تقوم هذه الشهادة إلا بهذه الأفعال والأوصاف، فهي مقتضى هذه الشهادة، فتارك العمل كافر بشهادة أن محمداً رسول الله، والكافر بها كافر ليس بمسلم.

إذا تقرر ذلك تبين أن المعرض والممتنع وتارك العمل كفارٌ وليسوا بمؤمنين ولا من أهل القبلة ولا مسلمين، بل كفرهم كفر أكبر يخرج من الملة.

المسألة الرابعة والعشرون: الممتنع والمعرض فاقدان للانقياد وتاركان لجنس العمل ولم يأتيا بأركان الشهادتين:

يجتمع في المعرض والممتنع:

فقد الانقياد.

وفاقد الانقياد مناط كفره متعلق بترك جنس العمل.

وفاقد الانقياد لم يأت بأركان لا إله إلا الله إذ أركانها:

عبادة الله وحده والبراءة من الشرك والكفر بالطاغوت، فقد يكون العبد لا يشرك ويكفر بالطاغوت ولكن لا يعبد الله، فيكون كافرا كفر امتناع واستكبار وإعراض.

كذلك فاقد الانقياد كافر بشهادة أن محمداً رسول الله لأنها قائمة على طاعة الرسول ﷺ واتباعه.

المسألة الخامسة والعشرون: الممتنع والمعرض مستكبران عن عبادة الله:

سمى الله تعالى تارك العبادة المعرض عنها مستكبراً وتوعده بالنار حين قال سبحانه: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ غافر:٦٠.

ووجه تسمية تارك العبادة مستكبراً لأنه ينافي الذل والتواضع والعبودية التي من أجلها خُلق الخلق، والعبادة تقوم على الذل، والذل ضد الكبر، فمن لم يعبد الله لا يعتبر ذلّ لله ولا خضع له، ومن لم يذلَّ ويخضعْ لله فإنه يعتبر في الحقيقة مستكبراً.

المسألة السادسة والعشرون: أوجه الاستدلالات من الأدلة على كفر المعرض:

١ـ أن الله عز وجل نفى الإيمان عنهم من أصله كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ النور:٤٧ـ٤٨.

قال ابن تيمية في الإيمان:" فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول ".

وقال:" ففي القرآن والسنة من نفي الإيمان عمن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة ".

قال ابن كثير في تفسيره الآية:" وأياً كان فهو كفر محض ".

٢ـ أن الله سبحانه جعل الإعراض والتولي عن طاعته كفراً كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ آل عمران:٣٢. قال ابن كثير:" فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر ".

٣ـ أن الله أثبت للمعرض حكم النفاق وأن الإعراض من صفات المنافقين كما في قوله تعالى:

﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا** ﴾ النساء:٦١.

قال ابن تيمية في الصارم:" فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول ﷺ وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن فالمؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فالنفاق يثبت والإيمان يزول بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره ". قال تعالى: ﴿ **وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾ التوبة:٧٦ـ٧٧.

المسألة السابعة والعشرون: عواقب الإعراض وصفات المعرض:

قال ابن القيم في الصواعق:" وصف الله المعرضين عن الوحي بالجهل والضلال والحيرة والشك والعمى والريب، وأن منشأ ضلالهم الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ ومعارضته بما يناقضه ".

وقال الشنقيطي في الأضواء في عواقب الإعراض:" فمن نتائجه السيئة أن صاحبه أعظم الناس ظلماً ـ جَعلُ الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق ـ وعدم الاهتداء أبدا ـ انتقام الله من المعرض عن التذكرة ـ

كونه كالحمار ـ الإنذار بصاعقة ـ تقييض القرناء من الشياطين ـ أنه في ظنك من الحياة ـ يحشر أعمى ".

المسألة الثامنة والعشرون: الفرق بين الإعراض والاعتراض:

الاعتراض إعراض وزيادة، إذ يقارنه معارضة ومناقضة ومصادمة للنصوص.

المسألة التاسعة والعشرون: أقسام المعرضين:

الاول: العالم يعلم أنه معرض ولا يرغب في الانقياد والطاعة، وهذا كفره من باب الإباء والامتناع.

الثاني: الجاهل المفرط الذي لا يعلم أنه معرض، وهذا هو المقصود هنا وتقدم أقسام الجهل.

المسألة الثلاثون: ترك التعلم والتفقه من الإعراض:

من الإعراض عن الدين ترك طلب العلم الذي يتعلق بأمور التوحيد والعبادة وما لا يعذر الجاهل فيه ولا يسع المسلم جهله، والمقصود الأعظم من العلم العمل به، والعمل بالعلم والانقياد بالطاعة هو طريق المنعم عليهم غير المغضوب عليهم اليهود الذين يعلمون ولا يعملون ولا الضالين العاملين من غير علم وهدى.

المسألة الحادية والثلاثون: مشركوا زماننا وقعوا في كفر الإعراض:

عوام عباد القبور وكذا الحاكمون بغير ما أنزل الله والمتولون للكفار لا يعذرون في كفرهم، لأن الحجة قامت عليهم فمنهم من أصر وعاند ومنهم من أعرض عن تعلم الدين والتوحيد فهم لا يصغون لمن يعلّم وينصح بل قد يعادونه وينبذونه ويصدون الناس عنه ويؤذونه فهم بين العناد والتفريط.

هذا إذا قلنا أن المشرك يعذر بجهله، وإلا فإن الشرك لا يعذر أصحابه من ناحية التكفير وأحكام الدنيا.

المسألة الثانية والثلاثون: بعض أصناف المعرضين:

١ـ الشيوعيون ٢ـ الليبراليون ٣ـ العلمانيون.

٤ـ القانونيون الذين أعرضوا عن الشريعة.

٥ـ الحاكمون بغير ما أنزل الله ممن نحى الشريعة وامتنع عن العمل بها.

٦ـ المتحاكم إلى الطاغوت والمحاكم القانونية الوضعية من غير إكراه.

٧ـ الذين يتولون الكفار ويظاهرونهم على المسلمين.

٨ـ المرجئة الذين دعوا إلى ترك تعلم التوحيد وتكفير المخالفين له والمشركين والمرتدين.

٩ـ المنكرون لكفر الإعراض وهم المرجئة.

١٠ـ المتكلمون الذين يقدمون العقل على النقل.

المسألة الثالثة والثلاثون: الشيوعيون والليبراليون والعلمانيون من المعرضين:

الشيوعيون من المعرضين:

لكونهم لا يدينون بدين ولا ينقادون للشريعة ولا يؤمنون بالله.

أما الليبراليون:

فلكونهم يقولون الناس أحرار غير مقيدين ولا يجب أن ينقادوا لأحد.

والعلمانيون:

لكونهم لا يعملون بالشريعة في أمور حياتهم.

المسألة الرابعة والثلاثون: بم يزول الإعراض ويتحقق عدمه:

يزول وينعدم الإعراض بالانقياد للشريعة والإذعان لها وفعل أوامر الله وفرائضه، ولو كان مع ذلك تقصيراً فيها إلا أن عنده أصل الانقياد والإذعان والعمل.

ثانياً: كفر الامتناع والاستكبار والإباء

المسألة الأولى: تعريفه:

كفر الامتناع هو الرفض وعدم القبول والتأبي وعدم الانقياد.

قال الراغب:" كفر الكبر هو التعاظم والترافع عن الحق، والكبرياء: الترفع عن الانقياد وذلك لا يستحقه غير الله تعالى قال سبحانه: وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الجاثية:٣٧.

وقال صلى الله عليه وسلم:" يقول الله عز وجل:" الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما أدخلته النار " رواه مسلم.

قال ابن فارس:" أبى: الهمزة والباء والياء تدل على الامتناع، والإباء: أن تعرض على الرجل الشيء فيأبى قبوله ".

وقال الراغب في المفردات:" الإباء شدة الامتناع فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء ".

وقال". الكبر والاستكبار تتقارب، فالكبر الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر ما كان على الله بالامتناع عن قبول الحق والإذعان له بالعبادة ".

قال النسفي:" الاستكبار عن الإذعان للحق، وهو أقبح استكبار ودليل على دناءة صاحبه وفرط ظلمه ".

وقال الغزالي:" الكبر إن ظهر على الجوارح تكبر وفي نفسه كبر ".

وقد يكون الامتناع معه كبر وإباء وعدم قبول، وقد يكون مجرداً من ذلك، وهو كفر ترك العمل والانقياد والإعراض والتولي، فمجرد ترك العمل كفر، وعدم الانقياد كفر قارنه كبر وعدم قبول وإباء وعدم خضوع وذل وتواضع.

والأصل أن الممتنع مصدق ومقرّ بالشريعة بل وقابل بها بقلبه ولسانه، ولكن كفره من جهة توليه عن الطاعة وعدم انقياده بجوارحه .

المسألة الثانية: ما يضاد الانقياد:

الترك والامتناع والإباء والإعراض والاستكبار والرفض والاستنكاف والتولي.

وكلها بمعنى متقارب محصّلها ترك العمل والطاعة وعدم الالتزام بالشريعة.

المسألة الثالثة: أسماؤه:

بعض أهل العلم يسمي كفر الامتناع بالجحود العملي والاستحلال العملي، لكونه متعلقاً بأعمال الجوارح ولكونه مستلزماً للجحود والتكذيب القلبي.

وبعض العلماء يسمي هذا النوع من الكفر بكفر العناد.

وعرّفه الأزهري في تهذيب اللغة: هو أن يعرف بقلبه ويقر بلسانه ويأبى أن يقبل الإيمان ككفر أبي طالب.

وقال السمعاني في تفسيره:" وكفر العناد هو أن يعرف الله تعالى بقلبه ويعترف بلسانه، ولكن لا يتدين به ولا يتخذه دينه ككفر أبي طالب فإنه عرف الله ورسوله بقلبه وأقر بلسانه ".

وقال ابن القيم في طريق الهجرتين ومفتاح دار السعادة:" إن العذاب يُستحق بسببين:

إحداهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

فالأول كفر إعراض والثاني كفر عناد، وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل ".

والصحيح أن كفر العناد يشمل كفرين:

١ـ الإباء والاستكبار ٢ـ الجحود

مسألة: كفر الامتناع مستقل وليس داخل في الرد المقابل للقبول، وإن كان فيه نوع رد، فإن كل كفر لا يخلو من وجه رد.

المسألة الرابعة: حقيقة كفر الامتناع والترك والاستكبار والإباء:

هو تارك الانقياد للشريعة وعدم الالتزام بالدين ولا امتثال الفرائض.

وهذا كفره حصل بضد ذلك بترك العمل أو جنس العمل لا آحاده وأفراده، وبالامتناع عن الشريعة وعدم الالتزام الظاهر لها.

وهذا مذهب أهل السنة وسط بين الخوارج الذين يكفّرون بفعل المعاصي وترك آحاد الواجبات، والمرجئة الذين لا يكفّرون إلا بالجحود للأعمال والاستحلال للمحرمات، أما مجرد الترك والامتناع والإعراض عن العمل بالكلية وترك جنس الأعمال فلا يكفّرون به بل ويجعلون من يكفّر به من الخوارج، وهذا محل اختلاف وفيه حصل انشقاق الأمة وخرجت الخوارج والمرجئة في كل زمان.

مسألة: يكون الإباء بالجوارح ويكون بالقلب كما في قوله تعالى: ﴿ **كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴾ غافر:٣٥.

﴿ **وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ** ﴾ التوبة:٨. ﴿ **قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ** ﴾ النحل:٢٢.

مسألة: كفر الامتناع والإباء أكثر كفر العالمين، فكفر إبليس امتناع وترك السجود، وكفر هرقل بالامتناع عن الشريعة والانقياد لها، وكفر المرتدين كان بالامتناع عن الزكاة وليس بجحودها وإنما عدم الانقياد لها.

وتقدم الكلام عن الفرق بين كفر الامتناع وكفر الإعراض.

مسألة: كفر الامتناع قد يكون معه استكبار وإباء، وقد يكون مجرد عن ذلك وإنما امتناع عن العمل وإعراض عن الدين وتولي عن الطاعة والعمل من دون كبر وحسد وإنما يترك العمل بالكلية تهاوناً وكسلاً وتفريطاً، وقد لا يظن أن هذا يخرجه من الملة، فكل هذا لا يخرج عن كونه كفراً والأول أشد كفراً وهو الذي يقارنه الاستكبار والعناد أو الحسد.

قال ابن تيمية في الإيمان الأوسط:" وكفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن أصله من جهة عدم التصديق فإن إبليس لم يخبره أحد بخبر بل أمره الله بالسجود فأبى واستكبر وكان من الكافرين، فكفره بالإباء والاستكبار وما يتبع ذلك لا لأجل تكذيب ".

وقال المروزي في تعظيم قدر الصلاة:" وهل كان كفره إلا بترك سجدة واحدة أمر بها فأباها ".

بل إن أهل العلم أوجبوا قتال من امتنع عن شعيرة واحدة أو فرض واحد واختلفوا في كفره.

قال ابن حجر معلقاً على تبويب البخاري: قتل من أبى قبول الفرائض:" قتل من امتنع من التزام الأحكام الواجبة والعمل بها ".

وقال ابن العربي في أحكام القرآن:" فقد اتفقت الأمة على أن من يفعل المعاصي يحارب كما لو اتفق أهل بلد على العمل بالربا وعلى ترك الجمعة والجماعة ".

قال ابن قدامة وكافة الفقهاء عن الأذان وصلاة العيد:" فإن اتفق أهل بلد على تركه وامتنعوا وجب

قتالهم ".

وقال ابن تيمية:" كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين ببعض شرائعه كما قاتل أبو بكر والصحابة مانعي الزكاة وعلى ذلك اتفق الفقهاء ".

وقال:" وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة وإن كانوا يصلون الخمس ويصومون رمضان وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة فلهذا كانوا مرتدين وهم يقاتلون على منعها وإن أقروا

بالوجوب "(١).

وقال:" والصحابة لم يكونوا يقولون هل أنت جاحد ".

---

(١) المجموع ٥٤٨/٢٨.

واستدل أهل العلم على قتال الممتنع بقوله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾ الأنفال:٣٩، وقوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ** ﴾ **التوبة:٥**، وقوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ البقرة:٢٧٩، وآية الحرابة وقول الرسول ﷺ :" أمرت أن أقاتل الناس ".

المسألة الخامسة: ترك العمل على قسمين:

١ـ أن يتركه عن عناد وكبر وعدم قبول ورضا ولا خضوع فيأبى قلبه، وهذا كفر الإباء والاستكبار.

٢ـ أن يكون تركه مجرداً عن هذه الصفة، وإنما يتولى عن طاعة الرسول ﷺ ويعرض كسلاً وتهاوناً أو لعدم الرغبة والهمة ، وهذا الامتناع والتولي كفر عند أهل السنة، معصية عند المرجئة، وتسمى المسألة بترك جنس العمل أو الامتناع عن الشريعة وهو داخل في عموم كفر الإباء والاستكبار.

المسألة السادسة: أدلة كفر الاستكبار والإباء والامتناع:

١ـ قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ البقرة:٣٤.

٢ـ وقال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ النساء: ١٧٣.

٣ـ وقال تعالى: ﴿ **وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا** ﴾ نوح:٧.

٤ـ وقال تعالى: ﴿ **وَيَقُولُونَ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ النور:٤٨.

٥ـ وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آَيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ غافر:٦٠.

٦ـ وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا** ﴾ النساء:٦١.

٧ـ وقال تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آَيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ الجاثية:٨.

٨ـ قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آَيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ لقمان:٧.

٩- وقال تعالى: ﴿ **وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ يس:١٠.

١٠- وقال تعالى: ﴿ **فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ** ﴾ الانشقاق:٢٠-٢١.

١١- وقال سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ الأعراف:٣٦.

١٢- وقال تعالى: ﴿ **إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ ص:٧٤.

١٣- وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ** ﴾ المرسلات:٤٨.

١٤- وقال تعالى: ﴿ **فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾ القيامة:٣١-٣٢.

١٥- وقال تعالى: ﴿ **إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ** ﴾ الغاشية:٢٣-٢٤.

١٦- وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ فصلت:٢٦.

١٧- وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ** ﴾ الصافات:٣٥-٣٦.

١٨- وقال سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا** ﴾ الفرقان:٥٠.

١٩- وقال سبحانه: ﴿ **لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا** ﴾ النساء:١٧٢.

٢٠- وقال تعالى: ﴿ **وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ التوبة:٨.

٢١- وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ** ﴾ المعارج:٢١-٢٢.

٢٢- وقال تعالى: ﴿ **فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ** ﴾ الأحقاف:١٠.

٢٣- وقال تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا** ﴾ الإسراء:٩٤.

٢٤- وقال تعالى: ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ** ﴾ التوبة:٥.

٢٥- وقال تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ الأنفال:٣٩.

٢٦- وقال تعالى: ﴿ **قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** ﴾ البقرة:٩٣.

٢٧- وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ الأنفال:٢٣.

٢٨ـ وقال تعالى: ﴿ **كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ** ﴾ الشورى:١٣.

وقال الرسول ﷺ :" الكبر بطر الحق وغمط الناس "رواه مسلم.

وقال ﷺ :" لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ".

ومن أدلة هذا الكفر قَتْلُ الرسول ﷺ لمن نكح امرأة أبيه لامتناعه عن الشريعة.

وقتال أبي بكر رضي الله عنه لمانعي الزكاة المرتدين.

المسألة السابعة: أقوال أهل العلم:

قال الطبري:" وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وحكمه وإلى الرسول ليحكم بيننا رأيت المنافقين يصدون عنك يعني بذلك يمتنعون من المصير إليك لتحكم بينهم ويمنعون من المصير إليك غيرهم ".

قال ابن قدامة في المغني:" لا يجحدها إلا معاند للإسلام يمتنع من التزام الأحكام غير قابل لكتاب الله وسنة رسوله ".

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري:" ولو أن أهل الأوثان وحّد بعضهم وشهد أن لا إله إلا الله وحكم له بحكم الإسلام في منع نفسه وماله، ثم عرضت عليه شرائع الإسلام بعد ذلك فامتنع من الإقرار برسول الله كان لا شك بالله كافراً ".

وقال ابن تيمية في الإيمان الأوسط:" والمتولي هو العاصي الممتنع عن الطاعة ".

وقال:" إن العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرمه عليه، واعتقاد انقياده لله فيما حرمه وأوجبه فهذا ليس بكافر، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه، أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبى أن يذعن لله وينقاد فهو إما جاحد أو معاند، ولهذا قالوا من عصى الله مستكبراً كإبليس كفر بالاتفاق، ومن عصى مشتهياً لم يكفر عند أهل السنة والجماعة وإنما يكفره الخوارج، فإن العاصي المستكبر وإن كان مصدقاً بأن الله ربه فإن معاندته له ومحادته تنافي هذا الصديق وبيان هذا أن من فعل المحارم مستحلاً فهو كافر بالاتفاق فإنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه، وكذلك لو استحلها من غير فعل، والاستحلال اعتقاد أن الله لم يحرمها، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها، وهو يكون لخلل في الإيمان بالربوبية ولخلل في الإيمان بالرسالة ويكون جحدا محضا غير مبني على مقدمة، وتارة يعلم أن الله حرمها ويعلم أن الرسول إنما حرم ما حرم الله ثم يمتنع عن التزام هذا التحريم ويعاند المُحرِّم، فهذا أشد كفراً ممن قبله، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذبه، ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته، وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمرداً واتباعاً لغرض النفس، وحقيقته كفر هذا لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، ويقول أنا لا أقرّ

بذلك ولا ألتزمه وأبغض هذا الحق وأنفر عنه، فهذا نوع غير النوع الأول وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع"(١).

وقال أيضاً فيه:" كفر إبليس أنه سمع أمر الله له فلم يكذب رسولاً ولكن لم ينقد للأمر ولم يخضع له واستكبر عن الطاعة فصار كافراً ".

هذا وقد بين السلف الأمر وأوضحوه وفرقوا بين المسألتين وجعلوا تارك جنس العمل والمعرض والممتنع عن الدين الذي لم ينقد ولم يلتزم الالتزام الظاهر كافراً خارجاً عن الملة ولم يجعلوه بمنزلة فاعل المحرمات والكبائر والمقصر في الواجبات مع أدائها في الأصل.

وقال:" من أطلق من الفقهاء أنه لا يكفر إلا من يجحد وجوبها فيكون الجحد عنده متناول للتكذيب بالإيمان ومتناول للامتناع عن الإقرار والالتزام "(٢).

قال ابن القيم في المدارج:" وأما كفر الإباء والاستكبار فنحو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار ونما تلقاه بالإباء والاستكبار، وهذا كفر من عرف صدق الرسول وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباء واستكباراً وهو الغالب على كفر أعداء الرسل ".

فضابط الاستكبار والإباء عدم الانقياد.

قال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ النمل:١٤.

فكفر هؤلاء لعدم الانقياد الذي هو الامتناع والإباء.

المسألة الثامنة: الكفر الذي حصل فيه خلاف:

تنكر المرجئة كفر الإعراض وكفر الامتناع والتولي والإباء العملي كما تنكر كفر الجهل.

ولا تعترف وتعتبر إلا ما كان عن عناد مع تكذيب.

قال ابن القيم:" المبتدعة الذين حكموا بنجاة الكفرة وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفار ـ المقلدين والجهلة ـ وإن كانوا جهالاً مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم، كما يحكى عن بعض أهل البدع أنه لا يحكم لهؤلاء بالنار وجعلهم بمنزلة من لم تبلغه الدعوة، وهذا لم يقل به أحد من أئمة المسلمين لا الصحابة ولا التابعين ولا من بعدهم "(٣).

---

(١) الصارم المسلول ص ٥٢١.
(٢) المجموع ٩٨/٢٠.
(٣) طريق الهجرتين ٤٤٨.

المسألة التاسعة: موقف الخوارج الجدد والمرجئة المعاصرة من كفر الامتناع وتارك العمل والانقياد:

نبتت نوابت في عصرنا ذهبوا إلى ما ذهبت إليه الأوائل من الخوارج والمرجئة بل وزادوا في الغلو، ولم يفرقوا بين الانقياد والالتزام الذي يكفر به تاركه ومن فعل المعاصي وترك آحاد الأعمال، ولم يفهموا كلام السلف وأهل السنة في الباب ولم يميزوا بين الامتناع والجحود ويتضح هذا الأمر بمثال:

لو أن لرجل دينا على ثلاثة غرماء:

الأول منهم: أنكره وجحده وقال ما أخذت منك مالاً.

والثاني: قال نعم اقترضت منك وأقر بذلك ولكني امتنع عن السداد، وقال للدائن: لن أسددك ولن ألتزم لك بحقك وافعل ما تشاء.

والثالث: أقر بالدين والتزم به ووعده بالسداد وأذعن له بحقه وامتثل ولكن أخره وماطل به وتهاون في أداء حقه.

فالأول: هو الجاحد، والثاني: هو الممتنع، والثالث: المماطل المتهاون.

ومثل ذلك في الشريعة وفروضها وواجباتها بين الجاحد والممتنع والمتهاون المتكاسل فيها:

فالأول: كفره محل إجماع، وقد قدمنا إجماع السلف على ذلك.

والثاني: لا تكفره المرجئة بل ولا يعترفون بوجود هذا القسم ويدرجونه في الأول، لأن الالتزام عندهم والانقياد لا يكون إلا بالقلب وهذا محله وتفسيره ومعناه عندهم، والامتناع والترك هو كذلك بالقلب وليس بالجوارح، ولا يميزون بين الامتناع والجحود ولا بين الانقياد والالتزام وبين الإقرار والقبول والتصديق، وخالفوا بذلك أهل السنة الذين يعدون هذا ركناً في الإيمان والإسلام والتوحيد وتاركه ناقض للإسلام.

والثالث: تكفره الخوارج وتجعله مثل الثاني، ولا تميز بين ركوب المحارم وترك الفرائض، ولا بين ترك جنس العمل وترك آحاد الأعمال والتهاون فيها، فكفروا مطلقاً وخالفوا أهل السنة وجعلوا القسم الثاني والثالث نوعاً واحداً، ومن فعل كبيرة أو تهاون في واجب مع التزامه ببقية الشريعة وانقياده للدين وفعله الواجبات وعدم استحلاله المحرمات، جعلوه مثل الممتنع عن الشريعة المعرض عن الدين الغير ملتزم به الرافض له التارك للعمل.

ـ قال المروزي في تعظيم قدر الصلاة:" والإيمان أصله التصديق والإقرار يُنتظر به حقائق الأداء لما أقر والتحقيق لما صدّق، ومثل ذلك كمثل رجلين عليهما حق لرجل:

فسأل أحدهما حقه فقال ليس لك عندي حق فأنكر وجحد. وسأل الأخر حقه فقال نعم لك علي كذا، فليس إقراره بالذي يصل إليه بذلك حقه دون أن يوفيه وهو منتظر أن يحقق ما قال ويصدق إقراره بالوفاء، ولو أقرّ ثم لم يؤد حقه كان كمن جحده في المعنى، إذاً استويا في الترك للأداء ".

وقال ابن تيمية:" ومورد النزاع هو فيمن أقرّ بوجوبها ـ الصلاة ـ والتزم فعلها ولم يفعلها وأما من لم يقرّ بوجوبها فهو كافر باتفاقهم وليس الأمر كما يفهم من إطلاق بعض الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم: أنه إن جحد وجوبها كفر وإن لم يجحد وجوبها فهو مورد النزاع، بل هناك ثلاثة أقسام:

أحدها: إن جحد وجوبها فهو كافر بالاتفاق.

والثاني: أن لا يجحد وجوبها لكنه ممتنع من التزام فعلها كبرا أو حسداً أو بغضاً لله ورسوله، فيقول أعلم أن الله أوجبها على المسلمين والرسول صادق في تبليغ القرآن، ولكن ممتنع عن التزام الفعل استكباراً أو حسداً للرسول أو عصبية لدينه أو بغضاً لما جاء به الرسول فهذا ايضاً كافر بالاتفاق، فإن إبليس لما ترك السجود المأمور به لم يكن جاحداً للإيجاب فإن الله تعالى باشره بالخطاب وإنما أبى واستكبر وكان من الكافرين، وكذلك أبو طالب كان مصدقاً للرسول ﷺ فيما بلغه لكنه ترك اتباعه حمية لدينه وخوفا من عار الانقياد واستكباراً عن أن تعلو استه رأسه، فهذا ينبغي أن يتفطن له، ومن أطلق من الفقهاء أنه لا يكفر إلا من جحد وجوبها فيكون الجحد عنده متناولاً للتكذيب بالإيجاب ومتناولاً للامتناع عن الإقرار والالتزام، كما قال تعالى: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ الأنعام:٣٣.

وقال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ النمل:١٤. وإلا فمتى لم يقرّ ويلتزم فعلها قُتل وكُفر بالاتفاق.

والثالث: أن يكون مقراً ملتزماً لكن تركها كسلاً وتهاوناً واشتغالاً بأغراض له عنها فهذا مورد النزاع كمن عليه دين وهو مقر بوجوبه ملتزم لأدائه لكن يماطل بخلاً أو تهاوناً.

وهنا قسم رابع: وهو أن يتركها ولا يقرّ بوجوبها ولا يجحد وجوبها لكنه مقرّ بالإسلام من حيث الجملة فهل هذا من موارد النزاع أو من موارد الإجماع ولعل كلام كثير من السلف متناول لهذا وهو المعرض عنها لا مقراً ولا منكراً، وإنما هو متكلم بالإسلام فهذا فيه نظر، فإن قلنا يكفر بالاتفاق فيكون اعتقاد وجوب هذه الواجبات على التعيين من الإيمان لا يكفي فيها الاعتقاد العام، كما في الخبريات من أحوال الجنة والنار، والفرق بينهما أن الأفعال المأمور بها المطلوب فيها الفعل لا يكفي فيها الاعتقاد العام بل لا بد من اعتقاد خاص، بخلاف الأمور الخبرية فإن الإيمان المجمل بما جاء به الرسول ﷺ من صفات الرب وأمر المعاد يكفي فيه ما لم ينقض الجملة بالتفصيل، ولهذا اكتفوا في هذه العقائد بالمجمل وكرهوا فيها التفصيل المفضي إلى القتال والفتنة بخلاف الشرائع المأمور بها فإنه لا يكتفي فيها بالمجمل بل لا بد من تفصيلها علماً وعملاً، وأما القاتل والزاني والمحارب فهؤلاء إنما يقتلون لعداوتهم على الخلق لما في ذلك من الفساد المتعدي ومن تاب قبل القدرة عليه سقط عنه حد الله ولا يكفر أحد منهم، وأيضاً فالمرتد يقتل لكفره بعد إيمانه وإن لم يكن محارباً، فثبت أن الكفر والقتل لترك المأمور به أعظم منه لفعل المنهي عنه "(١). فانظر إلى هذا البيان وتقريره لمذهب أهل السنة في كفر الممتنع تارك العمل والانقياد.

---

(١) مجموع الفتاوي ٩٧/٢٠.

المسألة العاشرة: تفاوت درجات الكفر:

لما كان الكفر على درجات كانت النار دركات فأشدّ الكفار كفراً من يصدّ عن عبادة الله وعن دينه، ثم المنافقين، ثم المعاندين المستكبرين، ثم المعرضين، ثم الجهال.

قال ابن القيم في طريق الهجرتين:" طبقة رؤساء الكفر وأئمته ودعاته الذين كفروا وصدوا عباد الله عن الإيمان والدخول في دينه رغبة ورهبة فهؤلاء عذابهم مضاعف عذاب الكفر وعذاب صد الناس قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ** ﴾ النحل:٨٨.

وهؤلاء مقابل دعاة الهدى في السعداء، ولا ريب أن الكفر يتفاوت فكفر أغلظ من كفر كما أن الإيمان يتفاوت، وغلظ الكفر من ثلاثة أوجه: المعطلة والدهرية والكفر عناداً والسعي في إطفاء نور الله وصدّ عباده عن دينه بما تصل إليه قدرتهم فهؤلاء أشد الكفار عذاباً بحسب تغلظ كفرهم وهل يستوي في النار عذاب أبي طالب وأبي لهب وأبي جهل ". بتصرف

تنبيه: تقدمت كثير من المسائل المتعلقة بهذا الكفر عند الكلام عن الانقياد والكلام عن كفر الإعراض كأوجه الكفر فيه وغيرها.

ختاماً أسأل الله القبول والتوفيق بمنه وكرمه، وأن ينفع بهذه الرسالة أهل التوحيد والإيمان ويرد بها باطل أهل الزيغ والنكران، ويجعلها جهاداً نلقى الله به لإعلاء كلمته ونصرة دين نبيه، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يدّخرها لنا شهادة حين الوقوف بين يديه والقدوم إليه ويحلل بها علينا رضاه

والله المستعان هو حسبنا وحده ونعم الوكيل.

والحمد لله ربِّ العالمين

انتهى المجموع والحمد لله على التمام

وصلاة الله وسلامه على خير الأنام

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الـفهـرس

الفهرس التفصيلي

مؤلفات ورسائل أبي علي المرضي

سلسلة نقض العقائد المعاصرة:

١ـ نقض عقائد المعتزلة الزيدية والرافضة والباطنية

٢ـ نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية

٣ـ نقض عقائد الخوارج الجدد والمرجئة المعاصرة

٤ـ المذاهب الفكرية والجماعات المنحرفة الضالة (لا زال القلم جاريا فيه)

٥ـ كشف الشبهات (لم يكتمل)

٦ـ موقف المتكلمين والصوفية من توحيد الألوهية

سلسلة موسوعة العقيدة:

١ـ التوحيد وحقيقة الشرك

٢ـ مسائل الإيمان وحقيقة الكفر= الأسماء والأحكام (لا زال القلم جارياً فيه)

٣ـ توفيق رب البرية في حل المسائل القدرية

٤ـ الميثاق

٥ـ الغيبيات (لم يكتمل)

٦ـ القول المبين في حكم مظاهرة الكفار والمشركين (البيان الثاقب بشرح حديث حاطب)

٧ـ الانقياد للشريعة والالتزام بالدين وكفر الممتنعين عنها والمعرضين

٨ـ وقواعد الولاء والبراء

سلسلة الشروح:

١ـ شرح نواقض الإسلام

٢ـ شرح شروط لا إله إلا الله

٣ـ قراءات في كتب العقيدة والتوحيد

٤ـ شرح كتاب التوحيد

٥ـ التقريرات على شرح الطحاوية

٦ـ حاشية شرح الأصفهانية لابن تيمية (لم يكتمل)

كتب الحديث والفقه وأصوله:

١ـ المسائل الفقهية من أحاديث بلوغ المرام (لا زال القلم يجري فيه)

٢ـ ما يحتاجه المجتهد والفقيه من المصطلح وأصول الفقه والحديث والتفسير والعلوم

٣ـ أقوال الأشاعرة في أصول الفقه

٤ـ شرح جمع الجوامع للسبُكي

٥ـ مناظرة إمام الزيدية

٦ـ الصيام مسائل وأحكام

٧ـ مسائل الحج

٨ـ البيوع المعاصرة مع شرح كتاب البيوع من المقنع لابن قدامة

٩ـ فُرَق النكاح والنسب ومثبتاته

كتب أخرى:

١ـ بلوغ الأرب في معرفة شعوب الأرض وقبائل العرب

٢ـ موسوعة التاريخ

٣ـ المقامات حول الدعوة السلفية وأئمتها وكتبهم

٤ـ شرح العوامل المائة في النحو للجرجاني